الجزء الرابع ٣٧٨ المجلد الخمسون

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق

«مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً»

شوال ١٣٩٥ هـ
تشرين الأول «اكتوبر» ١٩٧٥ م

بقايا الفصاح

الأستاذ شفيق جبري

أعود إلى موضوع : بقايا الفصاح ، وكلما عدتُ إلى هـذا الموضوع تبين لي فيه وجه جديد ، فإذا كنت أرى في بعض هذه الألفاظ التي تشيع على ألسن العامة أصلاً فصيحاً فإني أرى فيها وجهاً آخر ، ولست أدري أكنت مصيباً في هذا الرأي أم كنت مخطئاً ، إني أرى أن لغـة العامة قبل العصور التي انحدر فيها الأدب كانت أقرب من اللغة الفصحى وقد يكون السبب في هذا القرب بُعد الأعاجم عن ديارنا ، فلمّا وقـع الاختلاط بالأعاجم انحدرت لغة العامة بعض الشيء وبقيت في هذا الانحدار بقايا من الفصاح لا نزال نسمعها إلى يومنا هذا ، وكيف كان الأمر فإن هذا رأي من الآراء يجوز فيه الأخذ والردّ .

من هذه البقايا مادة : وَرِش ، فكثيراً ما نسمع في لغة العامّة ، ولا سيّما لغة السّيدات : هذا الصبي ورش ، وهم يريدون بذلك أنه كثير الحركة ، كثير الضجة ، كثير اللعب ، إذا وقعت يده على شيء أخذه وربما كسره أو عطله أو ما يشبه ذلك . وما سمعت أن هذه المادة تطلق على الكبار ، ولكنهم يطلقونها على الصغار ، ولا سيما الصبيان . وإني لفي

يومٍ من أيام مطالعاتي خطر ببالي هذا المثل « بِعلّةِ الوَرَشان يأكل رُطَبَ المُشان » ، ويضرب على نحو ما هو مدوّن في المعجمات لمن يظهر شيئاً والمراد منه شيء آخر ، فأحببت أن أعرف ما هو هذا الوَرَشان وإذا هو على نحو ما جاء في القاموس المحيط طائر لحمه أخف من الحمام ، وفي أثناء تفتيشي عن معنى الورشان مررت بمشتقات هذه المادة ، وفي جملتها : الورِش ككتف ، النشيط ، الخفيف من الإبل وغيرها ، وهي بهاء ، فالصبي ورش والبنت ورشة . فنحن نرى أن الورش التي عاشت على ألسن العامة أصلها فصيح ، وأن بين المعنى العامي والمعنى الفصيح تقارباً ، فالصبي الورش الذي تكثر حركاته وتكثر ضجاته ويكثر لعبه بكل ما تمتد إليه يده إنما هو خفيف بطبعه ، نشيط . وإذا كانت المفردات التي تعرب عن هذا المعنى كثيرة في اللغة فإني أعتقد أن مادة الورش التي استفاضت في لغة العامة لا تعدلها مادة ثانية في قوتها .

وما دمنا نعرض لطائفة من صفات الصبيان فلا بأس أن نذكر مادة ثانية يستعملونها في مخاطبة الصبيان ، فإن المرأة إذا أرادت أن تزجر طفلها عند تناول شيء مضرّ أو أن تزجره عند إفساد شيء أو كسر شيء قالت له : كخ ! ماذا نجد في القاموس المحيط ، إنا نجد : كخ كخ ، وتشدّد الخاء فيها وتنوّن وتفتح الكاف وتكسر ، واختارت العامة كسر الكاف وتشديد الخاء ، يقال هذا عند زجر الصبي عند تناول شيء وعند التقذر من شيء ، ولم يذكر الفيروزابادي أصل هذه المادة ، أهي عربية أم هي أعجمية ، وقد قيل فيها إنها عربية ، وقيل إنها فارسية ، وصرح ابن الأثير وغيره من أهل الغريب بأنها غير عربية . هذا ما جاء في شرح ديباجة القاموس ، وقد قرأت في موضع من المواضع أن هذه المادّة تقولها العجم ، وأن العرب يقولون مادّة ثانية على وزن : قد ، ولكني نسيت هذه المادة .

وإذا كانوا يستعملون : كخ كخ عند زجر الصبي عند تناول شيء وعند التقذر من شيء فإنهم عند تعليل الصبي بنقش يلوحون له به يقولون : دَحْ . ففي اللغة : داح ، نقش يلوّح للصبيان يعلّلون به ، إلا أن العامة حذفت الألف من داح وقالت : دحّ ، بتشديد الحاء جرياً على عادتها في التسهيل .

ولننتقل الآن من لغة الصبيان إلى عمل آخر لا يبعد عنه الصبيان . أذكر أني لما كنت في وزارة المعارف من أربعين سنة زارتني سيدة أميركية وأخذت تثني على إمام المحدثين في الشام المرحوم الشيخ بدر الدين الحسني ، وكانت معجبة بوقاره ونور وجهه . قلت لها : ما الذي جاء بك إلى سورية ؟ قالت : إني مختصة بالخطوط الشرقية ، فحسبت أن الأمر جدّ فقلت لها : هل تكتبين لي خطاً بيدك ؟ فأمسكت بالقلم وكتبت على ورقة وأعطتني الورقة ، فدققت في الورقة فلم أفهم شيئاً ، فأطلعت عليها المرحوم الأمير جعفر الحسني ، مدير دار الآثار وقلت له : ما هذا الخط ؟ فحسب مثلي أن الأمر جد ، فنظر قليلاً ثم قال : هذا ما نسميه خربشة الجاج ، أي الدجاج ، والعامة تحذف الدال على سبيل التخفيف ، فبقيت في ذهني لفظة الخربشة فرجعت إلى القاموس المحيط فوجدت في اللغة : خربش الكتاب أفسده ، فالخربشة فصيحة ، وهي أدلّ مادة على هذا النوع من الخط الذي لا هو عربي ولا هو أعجمي ، فالخربشة عبارة عن خطوط تلقى على ورقة ولا تدل على شيء ، فإذا كانت : دَحّ وإذا كانت : كخ كخ من لغة مخاطبة الصبيان فإن الخربشة من عمل هؤلاء الصبيان .

وما علينا بعد هذا إذا عرضنا لبعض الملابس . من الألفاظ الشائعة في لغة العامة : الشاشية . إنهم يريدون بها خرقة يغطون بها إبريقاً أو كأساً أو شيئاً آخر ، أو يريدون بها ما يُلف على الرأس ، فالمادة شائعة

كثيراً في لغة العامة وهي من بقايا الفصاح وحسبنا أن نجدها في شعر البحتري ، في هجائه الحارثي :

مرَّ بنا الدامر يختال في شاشية شوهـــاء مغبرَّه

فلا شك في أن الشاشية في هذا المقام ضرب من الملابس ، وقد تكون من النوع الذي يلفثونه عن الرأس ، وكيف كان الأمر فالمادَّة فصيحة .

وأخيراً فلنبحث عن تصرّف العامة في معاني بعض الألفاظ الفصيحة . نجد في اللغة أن معنى : سنح لي رأي : عرض ، إلاّ أن العامة تخطت هذا المعنى في مخاطباتها وخلقت لهذه اللفظة معنى آخر ، فإذا أسرف أحد في المطالبة بشيء أو إذا أفحش في بعض كلامه أو إذا جاوز الحدّ في أمرٍ من الأمور قالوا : اسنحوه أي لا تبالوا به ، أهملوه ، فالمعنى العامي اختلف كثيراً عن المعنى الفصيح ، وهكذا نجد أن العامة تستعمل حريتها في التصرف في معاني الألفاظ الفصيحة .

أفلا نرى أن لغة العامة تقرب كل يوم من اللغة الفصحى باستعمالها بقايا الفصاح التي لصقت بأذهانها من سنين طويلة أو باطلاعها على ما تمرّ به من الألفاظ الفصيحة في الصحف ودور الإذاعة ، وأن من الواجب أن نعمل على الزيادة في إصلاح لغة العامة بالأساليب المختلفة حتى يأتي اليوم الذي تكون فيه المسافة بين اللغتين ، الفصحى والعامة ، قريبة جداً . وعلى هذا الشكل لا نفسد هذه اللغة الشريفة التي أورثتنا إياها أحقـــاب بعيدة وصقلت هذا الميراث الكريم عصور مديدة .

شفيق جبري

نظرة في
معجم المصطلحات الطبيّة
الكثير اللغات

للدكتور أ . كليرفيل
نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر
وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

- ٢٨ -

الدكتور حسني سبح

١٠١١٥ خالد ، مُؤبَّد ، دائم — 10115 Perpètuel, elle

وأفضل مُستديم وأبدي

١٠١١٦ تحيُّر ، تردُّد — 10116 Perplexité

وأفضل إرتباك ، تحير

10117 Persévération, intoxication par une idée (psch.)

١٠١١٧ إستمرار ، تسمُّم بفكرة ما (علم النفس)

وأرجح مُثابَرة ، إستمرار فكرة متسلطة

١٠١١٨ إستمرار إرتجاجي — 10118 persévération clonique

وأفضل الارتجاج المستمر أو المُثابِر

١٠١١٩ استمرار مُخْطرب — 10119 persévération clonique

وأفضل التوتُّر العَضَلي المستمر

١٠١٢٢ لَفيف الممرِّضين — 10122 personnel soignant

وأرجح هَيْئة التَطبيب أو مِلاك التَطبيب أو المعالجة

10123 Perspiration cutanée (insensible)

١٠١٢٣ تبادُلٌ جلديٌّ (غير مشعور به)

وأرجح نَدْي جِلْدي أو تَعرُّقٌ خفيف (طفيف جداً)

10126 Perte , déperdition , déchet

١٠١٢٦ فَقْد ، خسارة ، نَقْص ، ضَياع

وأفضل نَقْص ، خَسارة ، ضَياع وفُضالة

10127 perte de poids

١٠١٢٧ خِفّة الوَزْن

وأفضل نَقْص الوزن

10131 Pervenche

١٠١٣١ عِناقيّة (نبات)

في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي : عِناقيّة وِنْكة . وجاء في الشرح : زهرة العناق . وتسمى وِنكا في دمشق وهو تعريب اسمها العلمي، والاسم العلمي هذا من السوق المتسلقة في بعض أنواعها . جنس زهر من الفصيلة الدفليّة

10132 Perversion

١٠١٣٢ تَضْلال

10135 perversion sexuelle

١٠١٣٣ تضلال جِنْسي ، عَهارة جِنْسية

سبقت الملاحظة على هاتين اللفظتين (١) . وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة المصطلح الثاني بالانحراف الجنسي وهو الأفضل .

10134 perversité

١٠١٣٤ إفساد ، إضرار

وأفضل فِسْقٌ ، دَعارة ، انحراف

10135 Pesanteur, poids

١٠١٣٥ ثَقالة ، جاذبيّة الأرض ، ثِقْل

(١) الصفحة ٢٨٩ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

10135 Pesanteur (dans le bassin)

وأفضل ثُقْـل ، وَوَزْن في اللفظة الأولى وثِقَل (في الحوض) أو الشعور بالثِقَل في الحوض كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[١]

١٠١٣٦ ثقالة المِعدَة
10136 pesanteur, d'estomac

وأفضل التُخَمَة أو البَشَم[٢] والشعور بالثِقَل أو الإمتلاء في المعدة ، كما جاء في الترجمة الإنكليزية من المعجم الأصلي[٣]

١٠١٣٧ مِيزان الطِفل
10137 Pèse - bébé

وأرجح مِيزان الرُضَّع

١٠١٣٩ فِرزَجَة
10139 Pessaire

10140 pessaire obturateur anti conceptionnel

١٠١٤٠ فِرْزَجة سادَّة ، مانِعة للحمل

لقد وردت فَرْزَجة بفتح الفاء في تاج العروس (طبعة الكويت) وكذلك في معجم دوزي . ففي اللفظة الأولى يراد بها العقَّار المستعمل بطريق المهبل ، ويرادفها التحْميلة

---

(١) (bearning down) في اللفظة الأولى و (feeling of weight in the pulvis) في اللفظة الثانية .

(٢) في لسان العرب : والتُخَمة بالتحريك الذي يصيبك من الطعام إذا استوخَمْتَه.البَشَم تُخَمة من الدَّسم وقيل هو أن يكثر من الطعام حتى يَكْرُبَه .

(٣) (sensation of pressure or pain in the stomach, fulness of the stomach) .

المهبلية أو الحمول المهبلي كما تقدم في لفظة (ovule)(١) كما أنها تدل على أداة على هيئة الكعكة مصنوعة من مادة لدنة توضع قرب عنق الرحم في المهبل ، ويستفاد منها لتقويم الرحم في حال ميلها(٢). أما اللفظة الثانية فهي أداة على هيئة الكعكة أيضاً إلا أنها ذات غشاء يغشي الفراغ فيها ليحول دون وصول النطفة الى عنق الرحم .

لذا أرجح في ترجمة اللفظة الأولى فرزجة وتحميلة مهبلية أو حمول مهبلي ، وكعكة مهبلية (وهو الاسم الدارج بين النساء) وفي الثانية كعكة مهبلية سادّة .

10143 peste bovine, typhus contagieux

١٠١٤٣ طاعون البقر ، حمّى نمشية معدية

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة تعريب لفظة تيفوس (٣)

10144 peste bubonique

١٠١٤٤ طاعون دبيلي أو عقدي

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة طاعون دبلي . ويدعى الطاعون الشرقي أيضاً كما جاء في الترجمة الإنكليزية من المعجم الأصلي (٤)

(١) الصفحة ٧٠٢ من المجلد التاسع والأربعين من هذه المجلة .

(٢) لفظة (pessary) في معجم ستدمان الطبي (Stedman's Medical Dictionavy) .

(٣) الصفحة ٢٢٢ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة

(٤) (oriental plague) .

11046 peste indienne , peste pneumonique

١٠١٤٦ طاعُونٌ هِنْدي ، طاعونٌ رئوي
وذات الرئة الطاعونية كما جاء في الترجمة الإنكليزية من المعجم الأصلي (١)

10148 Pestiféré , ée

١٠١٤٨ مطْعُون ، مُصاب بالطاعون
وطَعين أيضاً

10149 Pestilence

١٠١٤٩ وَباء ، جائحة
وطاعون أيضاً ، كما جاء في معجم ستدمان الطبي (٢)

10150 Pestilentiel, elle

١٠١٥٠ وَبائي
وأفضل ناقل للطاعون ومُحْدِث للطاعون أو الوباء كما جاء في معجم ستدمان الطبي (٤)

10156 Petite taille (au - dessous de la moyenne)

١٠١٥٦ قَدٌّ قَصير (ماتحت المتوسط)
قامة قصيرة (مادون الرَبْعة أو المربوع) (٣)

10158 Petits pois; pois vert

١٠١٥٨ بِسلَّة (بَزَاليا) حِمَّص أخضر
وبَسلىٌّ (بَزَاليا) كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية للمرحوم مصطفى الشهابي

---

(١) (plague pneumonia) .

(٢) لفظتا (pestilence) و (pestilential) في معجم (Stedman's Medical dictionary) .

(٣) في لسان العرب : ورَجل مَرْبوع ومَرتبع ومُرْتَبَع ورَبْع ورَبَعة ورَبْعة ، أي مربوع الخَلْق لابالطويل ولا بالقصير .

١٠١٥٩ صَخْري — 10159 Pétreux, euse

حَجَري صَخْري كما جاء في الترجمـــة الانكليزية من المعجم الأصلي [١]

١٠١٦١ عَجْنٌ ولَمْكٌ — 10161 Pétrissage, malaxage

وأرجح جَبْلٌ ، ولعلّ هذه اللفظه هي الأقرب لما يقصد منها في معجم طبي ، مع اهمال معظم المعاجم لهذه اللفظة . واستدركها دوزى [٢] وليس للفظـة لَمْك أن تفي بالمعـنى المطـلوب [٣] .

١٠١٦٢ زيت حَجَري ، بَترول — 10162 Pétrole

وأرجح نِفْط (دُهْن صخري)

١٠١٦٥ الحَوْر (بَراعِيم) — 10165 Peuplier (bourgeons de)

والصحيح الحَوَر بفتح الواو ، والحَوْر لفظة عامية

١٠١٦٧ أكّال ، قارِض — 10167 Phagédénique , rongeant , eante

وأفضل آكِل ، قارِض

١٠١٧٣ بَلْعَمَة — 10173 Phagocyte

١٠١٧٤ بَلْعَمَة — 10174 Phagocytose

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة اللفظة الأولى بِبَلْعَم والثانية بالبَلْعَمَة وهو الأفضل

---

(١) (petrous , petrosal , petro - stony) .

(٢) معجم دوزي في لفظة جَبْل .

(٣) في تاج العروس : واللَمْك مَلْك العجين وهو مقلوب عنه ، ومَلَك العجين علكه وأملكه نقلها الجوهري إذا انعم عجنه ، وفي الصحاح شدّ عجنه وقال مرة أجاد عجنه .

10183 Pharmaceutique ١٠١٨٣ أقراباذيني
وكذلك علم الأدوية والمَقاقِير ودَوائي وعقّاري . وأقر مجمع اللغـــة العربيـة في القاهرة ترجـمة (pharmaceutics) بالصيدلانيّات (المواد الصيدلية)

10184 Pharmacie (science) ١٠١٨٤ صَيْدَلة (عِلْم)

10185 Pharmacie (officine) ١٠١٨٥ صَيْدَلِيّة (دكان)
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة اطلاق الصيدلة على :
١ ـ فن تحضير الأدوية وتقديمها .
٢ ـ (اجزاخانة) وهي دكان الصيدلي
أرى أن ماوضعته اللجنة هوالصحيح والمتعارف عليه في جميع البلادالعربية.

10187 Pharmacodynamie ١٠١٨٧ مَبْحَثُ تأثير الأدوية
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة فِعْل العَقاقير ، وجاء في الشرح : علم يعنى بدراسة العقاقير في الأحياء

10187 Pharmacognosie ١٠١٨٨ مَبْحَثُ تشخيص العقاقير
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة وَصْف العقاقير ، وهو الأفضـل ، وجاء في الشرح : فرع من علم العقاقير يعنى بدراسة الخواص الطبية للعقاقير الخام

10189 Pharmacologie ١٠١٨٩ عِلْم خواص الأدوية ، أقراباذين
وأفضل علم الأدوية أو العقاقير ، كما أقره مجمع اللغة العربية في القاهرة

10190 Pharmacophilie , pharmacomanie
١٠١٩٠ وَلَعٌ بالأدوية ، جِنّة الأدْوِية
وأفضل أُلفةُ الأدوية وهَوَس الأدوية

10191 Pharmacopée , Codex

١٠١٩١ دُسْتور الصَيْدلة ، دُستور الأدوية

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة دُسْتور الأدوية ودستور العقاقير ، وجاء في التعريف :وصف رسمي للعقاقير المعترف بها ومستحضراتها وطرق تحضيرها .

10192 Pharmacothérapie

١٠١٩٢ إستِيدْواء (مَعالجة بالأدوية)

وأرجح المعالجة بالأدوية أو بالعقاقير

10195 pharyngite

١٠١٩٥ دُغام ، ذَاتُ البلعوم

10196 pharyngite granuleuse

١٠١٩٦ دُغام حُبَيْبي

10197 Pharyngite latérale ou faux piliers

١٠١٩٧ دُغامٌ جانبي

وأفضل أن يقال إلتهاب البلعوم في اللفظة الأولى والتهاب البلعوم الحُبَيْبي في الثانية والتهاب البلعوم الجانبي (الضخامي) كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١) ولا أرى أن لفظة دُغام تعني بالمعنى المطلوب(٢)

10200 Phase dispersante ou de dispersion

10201 phase dispersée

١٠٢٠١ صَفحة مُبَعْثَرَة

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة (phase) بطَوْر وهو الصحيح ، فتصبح ترجمة اللفظة الأولى بالطَوْر المُبَعثر أو طور التبعثر

---

(١) (pharyngitis lateralis hypertrophica)

(٢) في لسان العرب : الدُّغام وجع يأخذ في الحلق . هذا وسبق للجنة أن ترجمت لفظة (gorge) بالحلق (اللفظة ٦١٢٤) .

10202 phase initiale (Q R S) du complexe ventriculaire

١٠٢٠٢ صَفْحة إبتدائية للمُشْتَرك البُطَيْني

وأرجع الطور البدئي للمجموعة البُطينية أو المركب البطيني اشارات (Q R S) في (م ق ك) المخطــط القلبي الكهربائي (١)

10203 phase terminale (T) du complexe ventriculaire

١٠٢٠٣ صَفْحة إنتهائية للمُشْتَرك البطيني

الطور النهائي إشارة (T) من المجموعة البطينية أو المركب البطيني (م ق ك) مخطط القلب الكهربائي (٢)

10204 Phénacétine, phénedine para - acétophénétidine , éthoxypara - acétanilide

١٠٢٠٤ فِناسَتين ، فَنَدين ، فَنيدرين خليّ - رفيف ، أتوكسي آنيليدا الخليّ - رفيف

وأفضل فناستين ، فَنَدين ، بارا آسيتُو فينيدِن ، أتوكسي بارا آسيتانيليد

10206 phènomène affetif

١٠٢٠٦ حادِثة إنفعالية

وأرجع ظاهرة عاطفية (٣)

10207 phénomène d'atavisme

١٠٢٠٧ حادِثَة تأسّل ، حادِثة وِراثة الأجداد

ودرجت على ترجمة (atavisme) بالوراثة الراجعة أو المرتدة

---

(١) الصفحة ٩٠ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٣١١ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) الصفحة ٢٩٠ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

لذا أرجح ظاهرة الوراثة الراجعة أو وراثة الأجداد [١] وليس للتأسل[٢] ان يدل على المعنى المطلوب إذ المقصود من مدلول اللفظة ظهور حالة من الحالات الخلقية أو النفسية سبق ظهورها في أحد الأجداد ولا سيما الأبعدين[٣]

10210 phémomène de contrainte ١٠٢١٠ حادثة جبر أو إعتصاب
وأفضل ظاهرة إكراه أو اغتصاب

١٠٢١١ - ١٠٢١٨ أفضل استبدال ظاهرة بحادثة

10222 p H , point isoélectrique

١٠٢٢٢ نقطة التماثل الكهرباوي
ت . أ كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة وقد أهملتها اللجنة ، نقطة التساوي الكهربائي

10223 Phimosis ١٠٢٢٣ ضيق القلفة الأمامي
وأرجح تضيق القلفة

10228 Phlébo - anesthésie, anesthésie intraveineuse

١٠٢٢٨ تخدير وريدي ، تخدير في الوريد
وأرجح تخدير وريدي ، بالوريد (أي عن طريق الوريد)

10230 Phlébotomie, saignée veineuse
وأفضل شق الوريد أو بطه ، فصد وريدي

---

(١) في لسان العرب : وتأسل أباه نزع اليه في الشبه كتأسنه .

(٢) لفظة (atavism) في معجم ستدمان الطبي (Stedman's Medical Dictionory) .

10231 Phlébotomus pappatasii

١٠٢٣١ فاصِدة پاپاتاسية
وأرجح ثاقِب الوريد أو ماص الدم باباتاسي وذُباب الرَمْل، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١) وقد أقر مجمع اللغة العربية في القاهرة تعريب اللفظة (فيبلوتومس) ذبابة الرمل، وجاء في الشرح : نوع من الذباب ينقل حمى باباتاسي، وهي حمى ذبابة الرمل . أقول وتعرف هذه الحمى في سورية بحمى ثلاثة الأيام (fièvre de trois jours)

10232 Phlegmatia alba dolens, œdème blanc douloureux

١٠٢٣٢ إلتهاب الوَرِيد الأبيض المؤلم، خَزَب أبيض مؤلم
وأرجح التَوَرّم (أو الالتهاب) الأبيض المؤلم، الوَذَمة (١) البيضاء المؤلمة، والتورم الخثري، والتورم الأبيض، والساق البيضاء، كما جاء الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٢)

10233 Phlegmon

١٠٢٣٣ خُرَاجة مُنْتَشِرة (فِلغَمُون)
وأرجح فَلْغَمون كما أقره مجمع اللغة العربية في القاهرة وجاء في الشرح : التهاب حاد منتشر مُتَقَيّح في النسج الضامة تحت الجلد أو المخاطية . ولا أرى لزوماً لخراجة منتشرة، هذا وقد سبق للجنة أن ترجمت (abcès) بخراج بصفة التذكير (اللفظة ١٣) وكذلك قرار مجمع اللغة العربية في القاهرة أيضاً

---

(١) (sand fly).

(٢) الصفحة ١١٤ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) (thrombotic phlegmasia , leukophlegmasia , milk leg, white leg).

10236 phlycténulaire

١٠٢٣٦ نَفاطي

وأفضل نَفْطي وودَقي . وأقر مجمع اللغة في القاهرة ودَقي. واللفظة الأخيرة صحيحة فيما تكوّن من العلة في ملتحمة العين(١). لأن ماتعنيه لفظة (phlyctène) في الأصل الحويصل المتكون في الجلد إثر الحرق من الدرجة الثانية ويمتلىء بسائل مصلي بين البَشَرة والأدَمة(٢) هذا مايبدو في حرق الجلد وبعد إرهاق اليد بالعمل(٣)

10237 Phobie , peur morbide

١٠٢٣٧ رُعْبٌ ، خَوْفٌ شَديد ، وَجْف

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : رَهْبة ج رَهَبات ، وجاء في الشرح : وهي أحوال مرضية تصيب النَفْس بنوع من الخوف

10239 Phosphatase

١٠٢٣٩ فُصفاتاز

10240 Phosphate

١٠٢٤٠ فُصفات

10241 Phosphaturie

١٠٢٤١ بِيلَة فُصْفاتية

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة رسم phosphourus بالسين (فسفور) وهو الشائع فتصبح المصطلحات السابقة فسفاتاز ، فسفات بيلة فسفاية وكذلك الألفاظ التالية (الارقام

---

(٣) لفظة (phlyctena) في معجم ستدمان (Stedman's Medical Dictionary).

(٤) في لسان العرب : والنَفْطة بثرة تخرج في اليد ملأى ماء، إذا كان بين الجلد واللحم ماء قيل نَفِطت تنفط نفطاً ونفيطاً .

١٠٢٤٣ ، ١٠٢٤٤ ، ١٠٢٤٥ ، ١٠١٤٦ ، ١٠٢٤٧ ، ١٠٢٤٨ ،)

١٠٢٤٢ نَتوْماص ، شَرارَة العَيْن — 10242 Phosphatène

وأرجح بَصِيص[1] بالضغط. لأن ماتعنية اللفظة الشعور باللمعان الضوئي عند ضغط المقلة [2]

١٠٢٤٧ فصفورية (انسهام فصفوري) — 10247 Phosphorisme

وأرجح انسهام فسفوري وحده ، فقد أقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الفسفورية ترجمة لـ (phosphorescence) وجاء في الشرح : وهي ظاهرة من نوع الفلورية وإنما تختلف عنها باستمرار إشراق الضوء من الجسم مدة بعد انقطاع الضوء الواقع عليه ، فيُرى الجسم مضيئاً في الظلام باللون الخاص به .

50249 Photisme , pseudophotisthésie , sensation visuelle secondaire

١٠٢٤٩ خيال بَصَري ، حِس بصري ثانوي

وأرجح إبصار مُحْدَث ، شُعور بصري كاذِب ، حِس بَصَري ثانوي ، لأن ماتعنيه اللفظة شعور البصر باللون وبالضوء عند تحريض احدى الحاسات الأخرى كالسمع والذوق والشم واللمس أو الحرارة وحتى بالتفكير بأحد الأشياء [3]

١٠٢٥١ خَوْف الضوء أو النور — 10250 Photophobie

(١) في لسان العرب :البَصيص البَريق. وبَص الشيء يبص بصاً وبصيصاً بَرَق وتلألأ ولَمَع .

(٢) لفظة (photism) في معجم بلاكستون (Blakiston's New Gould Medical Dictionary) .

(٣) معجم بلاكستون أيضاً .

سبقت الملاحظة على هذه اللفظة[1]. وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : رُهاب الضوء وجاء في الشرح : حاسية العين الشديدة للضوء ويحدث في الأرماد الشديدة والالتهابات داخل العين

10251 Photopsie

١٠٢٥١ تخيل ضيائي

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : الإبصار الوَمَضي ، وجاء في التعريف : رؤية مايشبه الشَّرَر أو الوَميض بسبب مرض بالشَّبَكية

10252 Photothérapie

١٠٢٥٢ استضواء

وأفضل المعالجة الضوئية

10253 Phototropisme, phototaxie, phototactisme

١٠٢٥٣ إنسياق إلى الضوء ، انحياز للضوء ، اتجاه نحو الضوء

وأرجح انتحاء ضوئي ، اتجاه نحو الضوء والسعي إلى الضوء

10257 Phtiriase , pédiculose

١٠٢٥٧ داءُ القَمْل ، تَقْميل ، تَقَمُّل

وأرجح القَمَل وحده ، كما اقره مجمع اللغة العربية في القاهرة

10258 Phtisie galoppante

١٠٢٥٨ سُحاف ذَريع

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهـرة ترجمـة اللفظة الأولى بالسِّل وهو الشائع

10263 Phylogénèse , phylogénie

١٠٢٦٣ نُشُوء الجِنْس ، نُشُوء جِنْسِي

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة نُشُوء النَوْع وجاء

(١) الصفحة ٢٩١ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

في التعريف : تاريخ تطور نوع من الكائنات الحية ، بعد أن قرر المجمع المذكور تخصيص جِنْس ترجمة لِ (sexe)

١٠٢٦٤ علم الغَرائِز ، علم وظائف الأعضاء — 10264 Physiologie

١٠٢٦٥ غريزي — 10265 Physiologique

سبقت الملاحظة على هذين اللفظين[1] وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة علم الوظائف ، ووظائف الأعضاء وفسيولوجيات في اللفظة الأولى ، ووظائفي وفسيولوجي في اللفظة الثانية. وأفضل فزيولوجيا وفزيولوجي قياساً على استعمالها لفظتي فزيائي (فيزيقي كما هو شائع في مصر وحدها)

١٠٢٦٦ مُعالجة بالعوامل الطبيعية — 10266 Physiothérapie

وأفضل المعالجة الفزيائية

١٠٢٦٨ حاثّات نباتية ، أُكسين — 10268 Phythormone , auxine

وأرجح هُرْمُون نباتي ، أُكسين

١٠٢٧٣ وَخْز ، نخز ، جَرْس — 10273 Picotement

وأفضل وخز ونخز ، ألم خفيف[2]

١٠٢٧٤ مُرْسُمِّين (بيكروتُوكسين) — 10274 Picrotoxine

وأرجح بكروتكسين (السُّم المر)

10276 Pièce de concentration (cylindre de molybdène dans l'ampoule de Coolidge)

---

(١) الصفحة ٢٩٢ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في تاج العروس : نغز بينهم أغرى وحمل بعضهم على بعض كنزغ ونغزهم النشغاز كرمان أي نزعهم النزاع ، ونغز الصبي دغدغه كنزغه . الجرس : الصوت

١٠٢٧٦ قِطْمَة التكاثف (اسطوانة المولبدن في حبَابة كوليج)
وأرجح قطعة التركيز (اسطوانة من ملبدان كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة) في مصباح كولج ، والَهدَف في مصباح كولج كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١) .

١٠٢٧٩ قَدَمٌ عَرْجاء 10259 Pied bot
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الَحنَف . وجاء في الشرح : تشوه في القدم فتلتوي إما في الشكل أو الوضع

١٠٢٨١ قَدَمٌ رَوْحاء 10231 pied bot varus
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الَحنَف القَفَدي ، وجاء في الشرح : تشوه في القدم فيه ينقلب الأخمص للانسية بالنسبة للخط الوسطي للساق ، وفيه يمشي المصاب على الَحرْف الوحشي للقدم

١٠٢٨٢ قَدَمٌ رَوْحاء قَفْداء 10282 pied bot varus équin
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الَحنَف الأنخسي القفدي وعرّفه : تشوه في القدم فيه ينقلب الأخمص إلى الجانب الأنسي من الخط الوسطي للساق وقد انثنيت القدم على الأخمص

١٠٢٨٣ كَف الهرّ ، كَفْهر 10283 pied - de - chat
رِجْل الهر أو برسّية ثنائية المسكن كما جاء في معجم الالفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي (٢) للبحث صلة

---

(١) (target of Coolidge tube) .

(٢) وهو نبات اسمه العلمي (gnaphale dioïque) قلّ أن يستعمل .

الكلمات الدخيلة على العربية الأصيلة

٣

المرحوم الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

القسم الثاني : الإضافات

(أ)

آخُنْد : من الفارسية (آخوند ahund) بمعنى معلم (كبير القوم ، عظيمهم). باللهجة العراقية تستعمل صفة للعالم الديني .

آدْريس : « بإمالة كسرة الراء »من التركية (adres) عن الفرنسية (adresse = عنوان، علوان ، بالنون أو اللام بعد العين ، بمعنى) مايكتب على غلاف (الظرف) : اسم المرسل إليه ومكان إقامته الخ . وإن كان لها في الفرنسية معان أخرى .

آرسلان : تركية ، تكتب آرسلان وتلفظ آسلان aslan كما تكتب بالحروف التركية الجديدة . في الأصل بمعنى (الأسد) . ومجازاً : (الشجاع ، الجسور) . باللهجة السورية لقب أسرة مشهورة (في اللاذقية) .

أركيلة : انظر ماذكرته عنها في كلمة (شيشة) ص٥٤٤ من المجلد٤٨ من ملاحظات.

نشر بعض القسم الأول من هـذا البحث في العـدد الثاني من المجلد الثامن والأربعين « ص ٥١٩ - ٥٥٠ » في حياة صاحبه . ثم نشر بعضه الآخر في العدد السابق « ج ٣ص٤٨٤-٤٩٣» دون الإشارة إلى ما كان، وتتابع في هذا العدد وفي العدد الذي يليه نشر القسم الثاني، وبه يكتمل المقال. رحم الله الفقيد وجزاه عن العربية خير الجزاء «لجنة المجلة».

آرمغان : بالتركية (armağan) . في الأصل بمعني هدية . وباللهجة الحلبية تطلق على مايحمله القادم من سفر إلى بلده ، من الهدايا لأهله وللأصحاب . بالفصحى هي (التَّلْهِنَة) وهي ما يهديه المسافر (أَتْهَنُهم ، ولَتْهَنْتهم) .

إسْطَمْبَه : بالتركية (istampa) من التليانية (stanpa) للبُوهة المبللة بحبر الأختام الموضوعة في علبة من المعدن والمستعملة لتحبير الختم أو سواه من الرواسم الحرفية المصنوعة من المطاط .

آغة : من التركية (ağa) عن الفارسية (آقا) بالقاف . في الأصل بمعنى (أفندي / آمر) ثم خصصت لمقدّم الخدم والأتباع . فباللهجة السورية لزعيم طائفة من القوم (ج أغوات) ، ومن الأمر الحلبية أسرة (آغة القلعة / قاطر آغة) .

أكي دُنْيا : من التركية محرفة عن (يكي دنيا Yeni dunya) من يكى (بالكاف المنونة = جديد) و (دنيا = الدنيا) ومعنى الكلمتين (الدنيا الجديدة أي أمريكة وأسترالية) . باللهجة السورية تطلق على الثمر المعروف بالمشمش الهندي . أما بالتركية فيسمى هذا الثمر (مالطة أريكى Malta erigi = جَنَريك مالطة) . باللهجة الحلبية هو (أنكى دنيا) بزيادة النون بعد الألف .

آلَش : من التركية (آليشمق alişmak = اعتاد) . باللهجة السورية لمن يتعوّد (يتمرن ، يتمرس) على الشيء .

آمان : بالتركية يلفظونها amân بمدّ الألف الثانية وتفخيمها ، من العربية (أمان) وعند الترك هي نداء استغاثة ورجاء . وانتقلت بهذا المعنى إلى اللهجات السورية .

أُوتيل : من الفرنسية hôtel = فندق ، نُزُل . وهو (اللُوكَنْدة) باللهجة اللبنانية .

أُوكازْيُون : من الفرنسية (occasion = زمنٌ موافق ، ملائم / فرصة) . شائعة الاستعمال باللهجات السورية .

(ب)

بابُوج : من التركية (پاپوج papuç) محرفة عن الفارسية (پاپوش papus .پا = قَدَم ، رِجْل / پوش = ساتر من مصدر (پُوشيدَنْ pusiden = سَتَرَ ، غطّى) ، لنوع من الحذاء .

بازِرْباشي : من الفارسية (بازار bazar = السوق) والتركية (باش = رأس / رئيس) بمعنى رئيس سوق البيع والشراء . يقال إن كلمة (بازار) مركبة من (باز = بَعْدُ) و (آوَر = استجلاب) مشتقةً من المصدر (آوَرْدَنْ averden = جَلَبَ ، استَجْلَبَ) . وفي حلب لقب أسرة مشهورة .

بـاص : من الفرنسية (autobus ، مختصرةً من الجزء الثاني من الكلمة الفرنسية bus = باص) باللهجة السورية تطلق على السيارة الكبيرة من وسائط نقل الركاب .

بَتِنْجان : من التركية محرفة عن (باذَنْجان) المعربة من الفارسية (پاتنگان patingan) بالباء المثلثة التحتية والكاف الفارسية ، للخضرة المعروفة . هذا باللهجة الشامية . أما باللهجة الحلبية فهو (بَانجان بحذف الذال . وهو (الكَهْكَم) بالفصحى .

بَرادي : مفردها (بَرْدايَة) من الفارسية (پرده perde) بالباء المثلثة التحتية . في الأصل بمعنى : غطاء ، ستار ، ولا سيما للنافذة أو الشباك .

بِراظان : من التركية (borazan) ، محرفة عن الفارسية (بُوري زَنْ burizen) من (بورى = بوق ، صور) و (زَنْ = ضارب ، من المصدر : زَدَن zeden = ضَرَبَ) أي نافخ بالبوق . وهي من المصطلحات العسكرية وغلب استعمالها على آلة النفخ نفسها .

بَرْبيش : من التركية (مارپوج marpuç) بالجيم المثلثة النقط محرّفة عن الفارسية (ماريوش marpus) من (مار = أفعى ، حيّة) و (پوش pus = غطاء ، ثوب . من المصدر (پوشيدن pusiden = ستَر ، غطّى ، أي غطاء الحية ، جلد الحية ، ثوبها المنسلخ عنها) تشبيهاً لمطلق الأنبوب المطاط وعلى التخصيص لانبوبة (النارگيلة) ومعرّبها (نارجيلة وهي جوزة الهند) لأن القارورة التي يدخن بها التنباك كروية تشبه جوزة الهند . وباللهجة الحلبية (نَرْبيج ، بالنون) [انظر ماجاء من الشرح عن النارجيلة في كلمة (شيشة) ص ٥٤٤ من المجلد ٤٨] .

بِرَك : من التركية (بورَك börek) لنوع من المعجنات تصنع من رقاق العجين الدسم ، تُلوى وتحشي لحماً مفروماً أو جبنة ثم ، تقلى بالسمن .

بِرْغي : محرفة عن التركية (بورغو burgu) لما يثقب به / مثقب ، آلة ثقب على الإطلاق . باللهجة السورية تطلق على المسمار المحوّى .

بَرْلمان : من الفرنسية (parlement) للبناء الذي يجتمع فيه نواب الأمة ، وهو مجلس النواب .

بَس : فارسية بمعنى حسبُ / فقط . وفي القاموس المحيط ، بمعنى حسْبُ أو هو مسترذل (قوله مسترذل دليل على أنها غير عربية) قلت : إنها ليست من (بَسْ بَسْ بفتح الباء ، لزجر الإبل) ولا من (بُس بُس بضم الباء ، لدعاء الغنم) .

بَشْكير : من التركية (پَشكير peskir) عن الفارسية (پيشگير ــ pisgir) من (پيش = أمام) و (گير = قابض) من المصدر (گرفتن giriften = قَبَضَ ، مَسَكَ) وهي مقومة يضعها الطاعم على صدره اتقاء ماقد يتناثر من الطعام .

بَشْقَه : من التركية (باشقه baska) بمعنى (غير / شيء آخر / شيء مخالف) وتلفظ باللهجة السورية (بَشْآ) بالألف ، وبالألف المفخمة في حلب .

بِمبَايَة : من التركية (بومبا bomba) محرفة بإضافة (يه) ، محرفة عن اليونانية bombos بمعنى الفرقعة . تطلق على كرة معدنية محشوة بالمواد المنفجرة . وفي (لاروس الصغير) أنها من التليانية .

پَنْچَر : بالباء والجيم المثلثي النقط[١] . محرفة عن الفرنجية puncture (ثقب ، وخز) . تستعمل لانثقاب دولاب السيارة ، خاصة .

بُوسْطَة : من التركية (پوسته posta) عن التليانية (posta) . في الأصل بمعنى واسطة نقل بين بلدتين . وفي اليوم الحاضر تطلق على المصلحة التي تتولى نقل الرسائل والمطبوعات والأمانات والرزم .. الخ من بلد إلى بلد . وهي (البريد) بالفصحى .

بُوسْطَهجي : من التركية (پوسته ، الآنفة الذكر) و (جي = أداة وصف) لمن يقوم بتوزيع البريد (رسائل ومطبوعات وغيرها) إلى أربابها المرسل بها إليهم . هو بالفصحى (موزّع البريد) .

بُوليس : من التركية (polis) عن الفرنسية police وهذه عن اليونانية (politeia) بمعنى : منظمة بلدية [كلمة polis اليونانية معناها بلدة / مدينة] . تطلق تخصيصاً على الموظف من قبل الدولة لحفظ الأمن في البلد . وهو بالفصحى (شرطي) .

---

(١) في عامية دمشق وما حولها بالباء والشين : بَنْشر .

بُـويْ : من الانكليزية (boy ، تقابل الفرنسية garçon بمعنى مواطن خادم في المستعمرات) وإطلاقاً كل من يقوم بخدمة في المقاهي أو المطاعـم .

بَيْرَقْدار: من التركية (بيراق bayrak = عَلَم / و (دار ، الفارسية = صاحب ، مالك ، محافظ) مثل (سنجقدار) تماماً . مصطلح عسكري لمن يحمل علم الجيش . وفي سورية ، لقب أسرة شهيرة . [في المعاجم التركية أن أصل (بايراق) هو (بَيْرَاق ؟) من العربية . لكنني لم أجد في معاجمنا العربية ما يؤيد هـذا الزعم] (*) .

بينْسه : محرفة عن (الفرنسية pince من اللاتينية punctum) لمطلق أداة ذات شعبتين للالتقاط . وتخصيصاً للمنقاش ، ولها أنواع شتى فيجب وصفها بحسب موضع الاستعمال (للقط الأهداب ، للقط اللسان ، للتضميد ، للتشريح .. الخ) .

بَنطَلون : من الفرنسية pantalon ، للقطعة من الملابس ذات الفرعين التي تضم وسط البدن ، كل فرع يغطي إحدى الفخذين . وفي بعض اللهجات تلفظ (بنطرون) بالراء .

(*) هذه الألقاب العسكرية جميعها ، أتت مع (الأنكشارية) في الفتح العثماني للبلاد العربية (عهد السلطان ياوزسليم) . وكلمة (أنكشارية) تركية محرفة عن (يكيجري ، بالكاف المنونة والجيم المثلثة، yeniçeri)أي(العسكر الجديد) وهو جيش أسس في القرن الرابع عشر أسسه السلطان أورخان . وقد حل محله (الجيش التركي النظامي) في عهد السلطان محمود الثاني الشهير بـ(صاحب التنظيمات) يوم بلغ إستبداد الأنكشارية الزبى وقامـوا بعصيانهم سنة ١٨٢٦ . فقضى عليهم السلطان نهائياً .

بْيُونْباغ: من التركية (بيون باغى qoyun bağı) بحذف الياء وبدمج الكلمتين من (بيون = رقبة، عنق) و (باغ = رباط، ربطة) و (ي للاضافة) وهي بمعنى (ربطة الرقبة، كرافات) والكلمة شائعة الاستعمال باللهجة العراقية والسورية .

(ت)

تَايْرات: من الانكليزية (tire تلفظ تايْر جمعوها تايرات) الإطار من المطاط ، المستعمل لدواليب السيارات ، باللهجة العراقية ، كما جُمع كَوْشوك ، المحرّف عن caoutchouc الفرنسية على (كواشيك) باللهجة السورية .

تَرْبَه دار: محرفة عن التركية (تُربه دار türbedar) من (تربة ، العربية = المقبرة) و (دار الفارسية = ناظر ، محافظ) من المصدر (دَاشْتَن dasten = حافَظ) لقب خاص للموظف الذي يتولى حراسة مدافن رجال الدولة العظام في العهد العثماني [انظر الحاشية الواردة حول كلمة : بيرقدار] .

تَكْسي : من الفرنسية (taxi ، المختصرة هي نفسها من (taxi - auto) لسيارة الركوب ذات المعدّ (taximètre وهو جهاز يَعُدّ الثمن المحدّد بحسب المسافة التي يتقاضى عنها سائق السيارة الأجرةَ من الراكب .

تِفَنْكة : محرفة عن الفارسية (تفنك tüfenk أو تُفَك tûfek لما يطلق عليه الآن (البارودة) .

تَلْغراف : من التركية عن الفرنسية télégraphe وهذه من اليونانية (têle = بعيد) و (graphein = كتابة) . في الأصل ، للجهاز

الذي يستعمل لنقل المواسلات إلى مكان بعيد بوساطة الاهتزازات الكهرباوية المنتقلة بأسلاك معدنية . باللهجات العربية اشتقت من الكلمة : (تيّل ، يتيّل) بمعنى أرسل برسالة بوساطة التلغراف . الفصحى الآن هي (البرقية) لما يقابل télégramme . والفعل (أبرق ، يُبرق) بدلاً من (تيّل ، يتيّل) المذكورتين .

تَلفُون : من التركية عن الفرنسية téléphone وهذه من اليونانية (tête = بعيد) و (phônê = صوت) للجهاز الذي ينقل صوت المتكلم إلى المخاطب المستمع عن بُعد أو أيّ صوت . باللهجات السورية اشتقت كلمة (تلفن / يُتلفن / تَلْفين) بمعنى تكلم ويتكلم وأمر أن يتكلم بهذا الجهاز مع المخاطب . في الفصحى الآن اصطلح على الجهاز (هاتف [١]) وبدلاً من الكلمتين اصطلح على (هتف يهتِف ، اهتِفْ) .

تَمَلّي [٢] : من التركية (temelli) عن اليونانية (تمل temel = أساس البناء ، أصل) و (لي li = أداة بمعنى ذو) . فباللهجة المصرية تطلق على مايعني (دائماً ، في كل آن ، على الدوام والاستمرار) .

تَنشُورة : تركية ، عن الفارسية (تنوره tennure = اللباس الطويل العريض - كالجبة - الذي يلبسه الدرويش للقيام بفتلته المعروفة) . باللهجتين

---

(١) قلت : الهاتف اسم فاعل ، لمن يهتف ، فكان الأصح أن يقال (مهتاف) وزان مفعال على اسم الآلة ، للجهاز المعلوم .

(٢) ذكرني بها - مشكوراً - رئيس مجمعنا الفاضل الدكتور حسني سبح وقد سمعها في زياراته القطر الشقيق مصر لحضور جلسات مجمع اللغة العربية (مؤتمر المجامع العربية) .

السورية واللبنانية تطلق على ضرب من الثياب تلبسه النساء (وهو بالفرنسية jupon) .

تيـمُور : تركية (تلفظ timur) وحالياً تلفظ (دمير demir) أي(الحديد) المعدن المعروف . على أن كلمة (دمير) تدل زيادةً ، على الأنجر (الهَوْجَل ancre) المستعمل في البواخـر للإرساء . ومجازاً تدل على معنى (متصلب الرأي / عنيد / مُصرّ) .

(ج)

جـاطْ : من الفرنسية (jatte عن اللاتينية jabata) لصفحة (قصعة) مستطيلة مصنوعة من الصيني (بورسلان) . أكثر استعمالها باللهجة الشاميـــة .

جاكِيت : «بإمالة كسرة الكاف» من الفرنسية(jaquette)قطعة من اللباس التي تلبس فوق (الصدرية gilet) وفي معاجمهم أنها مشتقة من jaques = لقب استهزائي للقرويين . فتأمل كيف تتطور معاني الكلمات !

جـانِم : بالتركية من الكلمة الفارسية (جان can = روح / قلب / عزيز) و (م = ضمير متكلم ، بالتركية) . كلمة تحبّب بمعنى (عزيزي / روحي .. الخ) . باللهجة الحلبية تستعمل كما في التركية .

جيرْنال : من الفرنسية (journal) لتلك الصحيفة التي تنشر الأخبار وسواها . باللهجة السورية تستعمل خاصةً للجريدة التي تحتوي على صـــور الأزياء (الموديل) .

جينْبلاط : محرفة عن التركية (جان پولاد can pulat) عن الفارسية (جان = روح / حياة / قوة / قدرة) و (پولاد = فولاذ) .

ومعنى الكلمتين : ذو القوة الفولاذية / قوي / شجاع) . لقب أسرة مشهورة الآن في لبنان (بيروت) .

جِنْدَرْمَة : محـرفة عن الفرنسية (gendarme من gens d'armes أي رجال السلاح = فئة من الضباط تقوم بحفـــظ الأمن الداخلي . لايزال هذا الصنف قائماً في لبنان . أما في سورية فكان يطلق عليه (الدَّرَك) وقد ألغي واكتفي بصنف الشرطة .

جَنَريك : «بإمالة كسرة الراء»من التركية،محرفة عن (جان أريكى Can erigi) (جان = الروح ، القلب / المحبوب ، العزيز) و (أريك erik) التركية ، للثمـرة المعروفة وهـو النوع الأخضر اللذيـذ من الثمر المعروف .

جُـوخ : من التركية (چوخة çuha وتلفظ : چـوها ، بالهاء) عن الفارسية (چوقه çuka) للنسيج المعروف المصنوع من الصوف .

جُوخدار : من التركية (چوخه çuha وتلفظ چوها ، بالهاء ، محرفة عن الفارسية (چوقه çuka ، بالقاف) ومن (دار ، الفارسية = مالك ، حافظ) . والكلمة تلفظ عندهم (چوها دار çuhadar) وهي لقب لـ (حافظ الثياب) في العهد الانكشاري . وفي سورية لقب أسرة شهيرة . [انظر الحاشية الواردة حول كلمة : بيرقـــدار] .

(چ) « مثلثة النقاط »

چـارَه : من التركية عن الفارسية (çare بمعنى : وسيلة ، تدبير ، علاج، طريقة تسوية) باللهجتين العراقية والحلبية خاصةً تستعمل بالمعنى التركي والفارسي . باللهجة الشامية يستعمل للمعنى ذاته كلمة :

خواص (كقولهم : مالها خواص) .

چَطَلْ : من التركية (Çatal) في الأصل لما هو ذو شعبتين ومقبض واحد . وباللهجة الحلبية خاصة (للشوكة) التي يتناول بها الطعام (بالفرنسية fourchette) وهي (الفيرْتيكة) باللهجة الحلبية أيضاً .

چَلَبي : من التركية (çelebi) وهذه من (چلب çeleb) أي (أفندي ، والأخ الكبير) ومثلها [چالاب çalab أي (معبود ، مولى] ، والكلمة غلب استعمالها على أسرة حلبية مشهورة .

چَنـق : من التركية (Çanak) في الأصل للإناء المصنوع من الفخار (أي القصعة) . وباللهجة الحلبية تلفظ (چَنَاً بنون مفخمة) تخصيصاً الوعاء المصنوع من الصيني ، ولما هو مسمى باللهجة الشامية (زُبْدية) .

چَيْرَك : من التركية (çeyrek) عن الفارسية (چارْيك = چهارْيَك) بمعنى : واحد من أربعة = رُبُع . باللهجة العراقية بمعنى (رُبُع) ومن الساعة (١٥ دقيقة) . وفي تركية كانت الكلمة تطلق على نقد فضي يساوي رُبُع المجيدي الفضي (*) .

(خ)

خازوق : محرفة عن التركية (قازيق kazik = الوتد / ومجازاً = الخدعة ، الحيلة والدسيسة) . باللهجة السورية اشتق منها (خَوْزَقَة) لذلك الوتد الخشبي أو المعدني الذي كان يعاقب به المجرمون .

(*) المجيدي العثماني الفضي يساوي ٢٠ غرشاً . وربع المجيدي = ٥ غروش والليرة العثمانية الذهبية تساوي ٥ مجيديات = ١٠٠ غرش .

وسمعت من بعض العامة من يقول (خوزاق) بدلاً من (خازوق)! كما يقول بعضهم (دالوب) بدلاً من (دولاب)!

خاشُوقة: محرفة عن التركية (قاشيق Kaşik = ملعقة) باللهجة العراقية كثيرة الاستعمال وتلفظ بالقاف اليمنية (ج خواشيق).

خِتْيار: محرفة من التركية (اختيار ihtiyar، العربية وكانت تستعمل عندهم فيما مضى مع أداة النفي الفارسية (بى bi) بي اختيار أي (لايملك خيرة. وتطلق على الشيخ الهرم عديم الإدارة، أو الكبير السن). وقد حذفت بالتركية بعد ذلك، أداة النفي هذه فيقولون (اختيار، للشيخ الهرم أو الكبير السن). وباللهجة السورية حذفت الألف أيضاً، في بعض الأحيان، واستبقي المعنى.

خَرْطُوشة. محرفة من التركية (قارتوج Kartuç المحرفة عن التليانية cartuccia، وبالفرنسية cartouche لما يطلق عليه بالعامية (فشك). انظر كلمة (فشك).

خشاف: محرفة عن التركية (خوشاب hoşab) عن الفارسية (خوش آب. من: خوش = لطيف، لذيذ / وآب = ماء) لمنقوعات الزبيب خاصة أو الأثمار الجافة عامة (المشمش، الخوخ وغيرهما).

خُوبْ: من الفارسية (kub) في الأصل بمعنى: جميل، لطيف، حسن وباللهجة العراقية تستعمل للمعنى نفسه (تقابل: طيِّب) باللهجة السوريه. أما باللهجة الكويتية فتستعمل للعمل الصحيح [من نشرة الأستاذ عبد الرزاق البصير عضو مجمع اللغة العربية بمصر ص ٣٨ (١٩٦٩)]. وتقرب من معاني هذه الكلمة الفارسية كلمة فارسية أخرى هي (خوش hoş) وتستعمل باللهجة العراقية

مثلما تستعمل كلمة (زين) المعنى نفسه . وباللهجة الحلبية كذلك كما في التركية .

(د)

دادَه : من التركية (دده dede) للجد ، كما يطلق عندهم على الدرويش (dervis) . في اللهجة السورية تستعمل كلمة تحبب يخاطب بها الأطفال أو الأولاد الصغار .

دادُو : من التركية (دادى dadi) . في الأصل للخادم أو الجارية المخصصة للعناية بالأطفال . في اللهجة الحلبية تطلق على الجارية السوداء مربية أطفال الأسرة .

داكيش : محرفة عن التركية (دگيش بالكاف الفارسية degis = تبدُّل تحوُّل) من المصدر (دگيشمك degismek = تبادَلَ ، تحوَّل). باللهجة الشامية كثيرة الاستعمال بين موظفي إدارة النقل العام وعمالها (قديماً الحافلات ، واليوم الباصات) بمعنى تبادُل أحد الموظفين أو العمال محل الآخر ، الوظيفة أو نوبة العمل .

دايـَة : من التركية عن الفارسية (dâye) . في الأصل بمعنى (مربية الأطفال التي تقوم بشؤونهم من خدمة وعناية ، كما تطلق على المرضع) . باللهجة السورية خصصت للتي تتولى توليد الحوامل وهي القابلة بالفصحى) .

دَبْـو : من التركية عن الفرنسية (dépôt للمكان أو المخزن الكبير توضع فيه الأشياء أو الأمتعة . فباللهجة السورية هو (المستودَع) .

دَرْد : من التركية عن الفارسية (derd) بمعنى الألم ، الوجع ، الكآبة والهمّ . ومنها (دردشة) محرفة عن (دَردْلَشْمه

derdlesme) = تباثّ الهموم والشكوى ، من (درد) بإدخال اللام والشين لفعل المشاركة والميم للمصدر التخفيفي بالتركية ، بمعنى (اللغو) أي الكلام لاعن روية وفكر .

دَرْوِيش : بالتركية عن الفارسية (deruris) من (دَرْ = باب) و (ويش = مُسْتَلْقٍ) ومعنى الكلمة في الأصل (المستلقي أمام الباب) . خصصت لأفراد طائفة من أهل الله تمتاز بطريقتهم الخاصة بالفتل بلباسهم المسمى (تنّورة tennure) [في مكان العبادة المسمى : درگاه dergâh = تكية ، العربية بمعنى المستند ثم اكتسبت معنى المصطلح (الزاوية) التي يسكن فيها المشايخ للتعويذ وكتابة الحُجُب] وبقلنسوة طويلة من اللباد . وجمعوا الكلمة على (دراويش) . وباللهجة السورية تطلق على (الفقير ، والمسكين العديم الشأن ، العاجز) .

دريشة[١] : محرفة عن الفارسية (دريچة deriçe) بالشين بدلاً من الجيم الفارسية المثلثة النقط . تطلق في الأصل على باب صغير يجعل في باب كبير ليسهل الدخول منه إلى الدار ، وهي توافق بالعربية الفصحى (الخوخة) وهي كوّة تؤدي إلى ضوء البيت ؛ وتخترق دارين ما عليه باب . ومن معاني الكلمة الفارسية (نافذة ، شباك) عند الأتراك وبهذا المعنى الأخير تستعمل باللهجة الكويتية .

دُوزانْ : محرفة من التركية (دوزن düzen = نظام ، ترتيب / تنظيم أوتار الآلة الموسيقية الوترية بحيث تصلح للعزف ، ومعان أخرى)

(١) الكلمة من نشرة الأستاذ عبد الرزاق البصير ، عضو مجمع اللغة العربية بمصر . ص ١٣٨ سنة ١٩٦٩ . (الشرح للكواكبي) .

مشتقة من المصدر (دوزمك dûzmek = رتَّبَ ، نظَّمَ) . باللهجة السورية تستعمل الكلمة تخصيصاً بمعنى تنظيم أوتار الآلة الموسيقية.

(ر)

رَصْد : من التركية محرفة عن الفارسية (راست rast = سويٌّ ، مستقيم) مقام من الأنغام الموسيقية .

(ز)

زَرْدَهْ : من التركية عن الفارسية (zerde) لنوع من الطعام يقدم في الأعراس يتألف من الرز المطبوخ المحلَّى والمزعفر (أي المصبوغ بالصفرة بالزعفران) ليتلون بلون الذهب . الكلمة كانت شائعة في اللهجة الحلبية في العهد العثماني السابق ، لهذا الطعام[1] .

زِرْكِلي : « بامالة كسرة اللام » محرفة من (زِره zirh الفارسية ، للدرع من حديد أو فولاذ)و (لي = صاحب ،ذو ، التركية) . فباللهجة الشامية لقب أسرة شهيرة . أما الأتراك فيقولون (زرهلي zirihli بالهاء) لسفينة أوبارجة حربية مصفحة بالفولاذ ، خاصة .

زَرْكَن : محرفة عن الفارسية (زركر zerger ، بالكاف الفارسية = صائغ) . في اللهجة السورية بمعنى (غشّ) . والكلمة الفارسية نفسها تستعمل مجازاً بهذا المعنى كذلك : زَرْگري zergeri = مغشوش ، مموَّه) . يرادفها كلمة ساخته sahta الفارسية ، بمعنى مغشوش، مقلَّد. من المصدر (ساختن sahten = عمِلَ،قلَّدَ،تظاهرَ).

---

(١) ولا تزال . ومنها المثل الشعبي : « بعد العرس لايوجد زرده » . ثم هي شائعة ومستعملة في أغلب أقطار الشمال الإفريقي للدلالة على الدعوة العامة وبخاصة دعوات الطرقية التي يتبعها شيء من الذكر « لجنة المجلة » .

(٢) في عامية دمشق يستعملون احياناً كثيرة كلمة « سخطة » للدلالة على بعض الأورق أوالتواقيع المزورة .

زِكيرْتي : من التركية محرفةً عن (زُگورت Zügürt) بالـكاف الفارسية ، وبإضافة الياء ، بمعنى مفلس ، لايملك نقيراً) . فباللهجة السورية تستعمل بمعنى خاص جداً لاصلة له بالمعنى الأصلي (أي مفلس) إنما يريدون بها أنه (مسكين شهم !) .

زِنْزانة : محرفة من التركية والفارسية (زندان zindan السِّجْن) ثم خصصت للحجرة المظلمة جداً في السجن التي يوضع فيها المجرم الخطر . ومن هنا استعمالها باللهجة السورية محرفةً لمثل هذه الحجرة (بالفرنسية هي cachot وهي المُطْبِق) الفصحى = حَبْسٌ تحت الأرض (متن اللغة مادة طبق) .

زَنْكيل : من التركية (زنكين zengin = غني ، ذومال ،ذو يسار) باللهجة الشامية محـرفة باللام بدلاً من النون في آخـر الكلمة بمعنى (غني ، صاحب ثروة) . أما باللهجة الحلبية فتستعمل الكلمة كما في التركية دون تحريف (بالنـون - لاباللام - في آخر الكلمة أي زنكين) .

سنْجَقْدار : بالتركية من (سنجاق ، التركية sancak = عَلَم) و (دار ، الفارسية = صاحب ، مالك ، محافظ) . مصطلح عسكري للضابط الذي يحمل علم (الآلاي) أو (الطابور) . وفي سورية اسم لشارع مشهور في قلب العاصمة شام [انظر الحاشية الواردة حول الكلمة : بيرقدار] .

(ش)

شَتْري(١) : محرفة عن الفارسية (چتر çetr = شمسية ، مظلّة) بالجيم الفارسية المثلثة النقط ، وبدون ياء في آخر الكلمة) . وباللهجة

(١) الكلمة من نشرة الأستاذ عبد الرزاق البصير ، عضو مجمع اللغة العربية بمصر ص ٣٨ سنة ١٩٦٩ (الشرح للكواكبي) .

للمظلّة الكبيرة أو للسُّرادق . قلت : والسرادق معربة عن الفارسية (سَراپَرْده sera perde = الخيمة التي تظلل الرأس)وهي بالتركية القديمة (أوطاغ utağ = خيمة فخمة تنصب للملوك) . [من معاني الكلمة الفارسية : الخيمة الفخمة للملوك / الستار الكبير الذي يجعل على باب « الحريم »] .

شَدْ عُرْبان : محرفة عن التركية (شت عربان süt urban المحرفة نفسها عن الفارسية (شتربان sütürban = جمّال) من (شُتُر = إبل ، جمال) و (بان = ناظر ، حافظ) ومعنى الكلمتين : (جمّال) وفي الأنغام الموسيقية خصص لمقام معروف (حداء الإبل) لعل ذلك لمحاكاة النغم لما يبدو من (حادي العيس) من الصوت حين سوقه إياها .

شَرْبات : محرفة عن التركية (شَرْبت serbet المحرفة عن العربية (شَرْبة) كثيرة الاستعمال باللهجة المصرية لما يقال له باللهجة السورية (شراب) لأشربة الفواكه المطبوخة مع السكر على طراز معلوم وتقدم للضيوف صيفاً مثلجةً . أما كلمة (شراب sarap) في اللهجة التركية فهي تطلق خاصة على الخمر ، النبيذ . وأما الذي يقدم للضيوف من أشربة الفواكه فهي عندهم (شروب surup) وبالفرنسية (sirop = لمطلق محلول السكر بنسبة معلومة لتحلية بعض الأدوية السائلة المستعملة في الطب) .

شُرَك : محرفة من التركية [جُورَك çörek = نوع من الكعك ، (سميد simit) مدوّر] . باللهجة الشامية تطلق الكلمة على نوع

من (الكعك المبسَّط) المستطيل شكلاً . وباللهجة الحلبية تلفظ الكلمة كالتركية تماماً بالجيم الفارسية المثلثة النقط .

شَشْمه : محرفة عن التركية (چشمه çesme الفارسية بمعنى ينبوع ، عين ماء ، وتخصيصاً لمجمع ماء ذي حنفية أي سُبلان ماء) . باللهجة السورية استعملت بمعنى ميضأة ومرحاض . باللهجة الحلبية (تشمه بالتاء ، بدلاً من الشين الأولى) للمرحاض .

شُلَق : محرفة عن التركية (چولاق çolak = اكتع) . باللهجة الشامية بالشين بدلاً من الجيم الفارسية المثلثة النقط ، لقب أسرة بدمشق .

شَلْغَم : من التركية عن الفارسية salgam . هو اللَّفت باللهجة السورية . و (السَّلْجَم) بالسين ، معرَّب . وكلمة (شلغم) شائعة الاستعمال باللهجة الموصلية كالتركية لفظاً ومعنى .

شَمْبَر : من التركية (چنبر çenber الفارسية بالجيم المثلثة) بمعنى (محيط دائرة / إطار دائري الشكل / إطار يطوِّق الدنان كالزنار) يقابلها (الفتريس) الفصحى ، وهي الحلقة من خشب . فباللهجة الشامية ، بالشين بدلاً من الجيم الفارسية . يطلقها الحدادون على إطار مدور من النحاس كالحلقة ، الذي يوضـع على رأس (البريمـوس) .

شُورَبا : محرفة عن التركية (چوربا çorba = حساء) وهو طبيخ مائع القوام يتناول في بدء الطعام . قلت : أليست الكلمة التركية محرفة عن العربية (شُرْبة) لما يتناول شرباً إطلاقاً (موائع ، حساء ، شرابات الخ) ..

شُوْيكار : محرفة من التركية عن الفارسية (شيوه كار = sivekâr = ذات

الغنج والدلال). وهو من التحريفات التي قلبت المعنى الأصلي المليح إلى معنى قبيح . لأن (شُوي كار) من (شُوي suy = وَسخ ، قَذَر) و (كار = عمل) والمعنى (قبيح العمل). فأين (القذر العمل) من (ذات الدلال) . ولو أن فارسياً أو من له إلمام بالفارسية شاهد الكلمة على يَفْتَنج أو في صحيفة ما أو سمعها من المتحدثين بها لأخذه العجب العجاب ، ولقال في نفسه : [سبحان الله ! خطأ في الكتابة أو اللفظ ، كيف يحوِّل (ذات الدلال) إلى (قبيحة الأعمال !)].

(ص)

صاجْ : محرفة من التركية (ساج وتلفظ صاج saç بالصاد والجيم الفارسية المثلثة النقط) لصفائح من الحديد الرقيق . باللهجة السورية تلفظ بالصاد وبالمعنى التركي تماماً . فيقولون مثلاً (صوبية من الصاج أو من الحديد الصاج) . قلت : أما كلمة (الساج) العربيـة الفصحى فهي : شجر قاس ، وطيلسان أخضر .

صالون : من الفرنسية (salon) لأكبر وأوسع غرفة في البيت لقبول الزوار . وتعميماً : مكان واسع للحلاقة ، أو لعرض بعض التحف ، لمكان انتظار الركاب والمودّعين والمستقبلين في السكك الحديدية والمطارات . تستعمل الكلمة باللهجتين السورية واللبنانية .

صالْيَـة : محرفة عن الفرنسية (salle) . هي الصُفَّة الفصحى ، وبالتركية (صوفا sofa) تحريفاً عن العربية . والكلمة الفرنسية تستعمل في اللهجتين السورية واللبنانية . أما (الصوفا) الفرنسيـة فهي عندهم مأخوذة من العربية (صُفَّة) تقابل (الأريكة ، بالعربية)

لنوع من الأثاث كالفراش للاستراحة ذي ثلاثة متكآت وعدد من الوسادات .

صيرامي : بالتركية (صيراسيله sirasile) وهذه من (صيره sira = صف ترتيب ، دور) . باللهجة السورية ، بمعنى : بالدور ، بالترتيب [حذفت له le المخففة عن إيله ile = بـ ، مع] .

صَهْريج : من التركية (صَارْنيجْ sarniç بالجيم الفارسية المثلثة) في الأصل (صِهريج) كقنديل بالكسر ، لحوض يجتمع فيه الماء . والمُصَهْرَج المعمول بالصاروج ، (هو بالفرنسية citerne) . وباللهجة الحلبية لبئر تحفر في الدار وتصرَّج خاصةً لخزن مياه الأمطار شتاءً لتشرب صيفاً .

صُوْبة : محرفة من التركية (صوبه soba) لما توقد فيه النار شتاءً للتدفئة ولها (بواري) يجري فيها الدخان وحصول الاحتراق خارج الغرفة أو المكان الموضوعة فيه . استعيض عنها بكلمة (مدفأة) .

صُوج : من التركية (صوج suç بالجيم الفارسية المثلثة = ذنْب ، قباحة ، خطأ ، جنحة) . باللهجة الحلبية تستعمل بمعنى ذنب ، قباحة .

صُوفاية : من التركية (صوفه sofa المحرفة عن العربية صُفّة) . باللهجة الحلبية تطلق على رواق يصل بين غرفتين أو أكثر كما في التركية تماماً .

(ط)

طارْمة : محرفة عن الفارسية (طارم tarem = قبة ، سقف ، سطح). باللهجة العراقية تطلق على سطح الدار .

طَوبُوش : محرفة عن الفارسية (سَرپوش) من (سَرْ = رأس / پوش = غطاء / سِتْر) من (پوشيدن pusiden = ستَرَ ، غَطّى) لما يجعله الرجل على رأسه غطاءً له . [انظر كلمة (كَتَبُوش) لما يقابل غطاء رأس المرأة] .

طَوان : من التركية (طاوان tavan = السقف على الإطلاق) . باللهجة الشامية بمعنى السقف الخشبي الذي يجعل لستر الروافد الخشبية التي تحمل السقف الأول الحقيقي للغرف (أو القاعات) .

طواشي : هو الخَصِي بالفصحى . ولم أهتد إلى مصدر الكلمة ولعلها من اللهجات السامية[1] . وباللهجة السورية اشتق منها فعل (تطوّش ، تطوشاً) . هو بالفرنسية énuque [والفعل (énuhisme)] قلت : الفصحى طوّش ، تطويشاً هي مطَلَ غريمه ، ولا صلة لها ألبتة بالكلمة الأعجمية . هو بالتركية (حرم آغاسي harem agasi لمن يخدم حريم السلاطين ، قديماً) .

طُوخ : محرفةٌ عن التركية (طوق tok = من معانيها : كثيف ، غامق اللون) . هي باللهجة العراقية كثيرة الاستعمال بالمعنى التركي

طُوز : من التركية (توز toz = مطلق الغبار) ، باللهجة العراقية ولهجة البلاد السورية المتاخمة للعراق خُصصت للعجاج الذي يثور في الصيف ، بالمعنى التركي .

(١) [طواشي : كلمة كلدانية الأصل . ومن معانيها مايقابل الكلمة الفرنسية bâtard = قذِرٌ ـ ملطّخ . . . إلخ] . من جواب الأب المحترم عمانوئيل الرئيس ، عن سؤالي بوساطة صديق لي من الطائفة الكلدانية . فللأب المحترم جزيل الشكر .

(ظ)

ظِـرْبا : محـرفة عن التركية (زوربا zorba) المحرفة عن الفارسية (زور بازو zor baza) من (زور zor الفارسية = قسر ، جبر) و (بازو = عضد) ومعنى الكلمتين (قوة ، تغلُّب) . أما الكلمة التركية فبمعنى القوي ، والذي يجبر الناس على عمل شيء قسراً . تستعمل باللهجة السورية كالتركية تماماً .

(ع)

عربايه . : محرفة بإضافة (يه) من التركية (آرابه araba) لواسطة النقل التي تجرها الخيل والتي كانت مشهورة إلى عهد قريب . وقد حلت محلها السيارة (automobile) حتى غلب استعمال كلمة (آرابا) على السيارة في يومنا الحاضر .

هذا ولا علاقة لكلمة (آرابه) التركية النجار بكلمة (عربية) وليست بمشتقة منها ، كما يتوهم بعضهم .

عَلَمْدار : بالتركية من (علم ، العربية) و (دار ، الفارسية = صاحب ، محافظ) أي (صاحب العلم، صاحب السَّنْجَق) وهو (السنجقدار) .

(غ)

غَرْسُون : من الفرنسية (garçon) ومن معانيها من يخدم في المقاهي أو المطاعم ؛ (انظر كلمة : بوي boy) .

للبحث صلة

من ألفاظ البيروني في كتاب الصيدنة (١)

الدكتور ميشيل الخوري

١

وردت لفظتا الصيدنة والصيدناني وأختاهما لفظتا الصيدلة والصيدلاني في السطر الأول من الصفحة الأولى من كتاب الصيدنة في الطب لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني (٣٦٢ - ٤٤٢ هـ/ ٩٧٣ - ١٠٥٠ م) . وقبل الخوض في بحث الناحية اللغوية لهذه الألفاظ يحسن بي أن أعرض فيما يلي صورة موجزة لكتاب الصيدنة في الطب .

ينقسم كتاب الصيدنة في الطب ، على ما جاء في مخطوطاته ، قسمين أولهما المقدمة وثانيهما الكتاب خاصة ، وهو أطول القسمين . أما المقدمة فتتألف من تمهيد وخمسة فصول . وقد عرّف البيروني في التمهيد الصيدنة والصيدناني وتناول في الفصل الأول أصل هاتين اللفظتين وما جرى مجراهما من الألفاظ المعربة . ثم ذكر في الفصل الثاني الأسماء التي تطلق على أصناف الأدوية ، وأوضح في الفصل الثالث قوى الأدوية . وأخيراً فإنه أعرب في الفصلين الرابع والخامس عن تفضيله اللغة العربية على الفارسية في تصنيف الكتب العلمية

---

(١) محاضرة ألقيت في المهرجان الخطابي الذي دعا اليه المجلس الأعلى للعلوم في الجمهورية العربية السورية احتفاء بالذكرى الألفية لمولد العالم ابي الريحان البيروني وذلك في نطاق اسبوع العلم الرابع عشر المقام في دمشق في المدة ٢ - ٧ تشرين الثاني ١٩٧٤ .

وذكر بعض المعاجم الكثيرة اللغات التي كان يلجأ إليها لمعرفة أسماء الأدوية بمختلف اللغات الشائعة في عصره .

ويشتمل القسم الثاني على وصف مطوّل للأدوية المفردة التي تنتمي إلى الأعيان الثلاثة ، ولكن أكثرها من النبات وأقلها من الحيوان والجماد . وقد أورد البيروني أسماء الأدوية التي يتألف منها كتابه مرتبة على حروف المعجم ، لأن هذا الترتيب كما قال البيروني أشهر عند الجمهور من الترتيب على حروف الجُمَّل . وهو يذكر أولاً اسم الدواء وما يرادفه بالعربية ثم يتبعه بالأسماء التي تقابله باللغات الأخرى كاليونانية والفارسية والسريانية والهندية وغيرها من اللغات التي كانت محكية في البلدان المتاخمة لوطنه خوارزم . ثم أنه يذكر خواص كل دواء وأوصافه وأنواعه وموطنه ، وإذا كان نباتاً أشار إلى استنباته ونموه وحفظه ، وما إلى ذلك من الأمور المتعلقة به . ولكن البيروني يبتعد عمداً في وصفه لمعظم الأدوية الواردة في كتابه عن الإشارة إلى كيفية استعمال الدواء في العلاج ، فلا يذكر شيئاً ألبتة عن مقاديره وتأثيره في مختلف الأعضاء ، كما يغفل ذكر أسماء الأمراض التي يُستطبُّ به فيها . وهو أمين في نقله ، فيذكر أسماء المؤلفين الذين يأخذ عنهم ما قيل في الدواء الذي يتناوله البحث . وأخيراً فإنه بين آن وآخر يلجأ إلى الشعر العربي فيقبس منه شواهد يذكر فيها اسم ذلك الدواء ولا سيما إذا كان نباتاً .

وقد حظي كتاب الصيدنة باهتمام العلماء من شرقيين وغربيين ، فترجمه إلى الفارسية أبو بكر بن علي بن عثمان الكاساني في أوائل القرن السابع الهجري . وفي سنة ١٩٣٢ ترجمه ماكس مايرهوف المستشرق الألماني إلى الألمانية ولكن لم ينشر منه غير المقدمة مع ما يقابلها من الأصل العربي .

وبمناسبة الذكرى الألفية لمولد أبي الريحان البيروني ، والاحتفاء بها

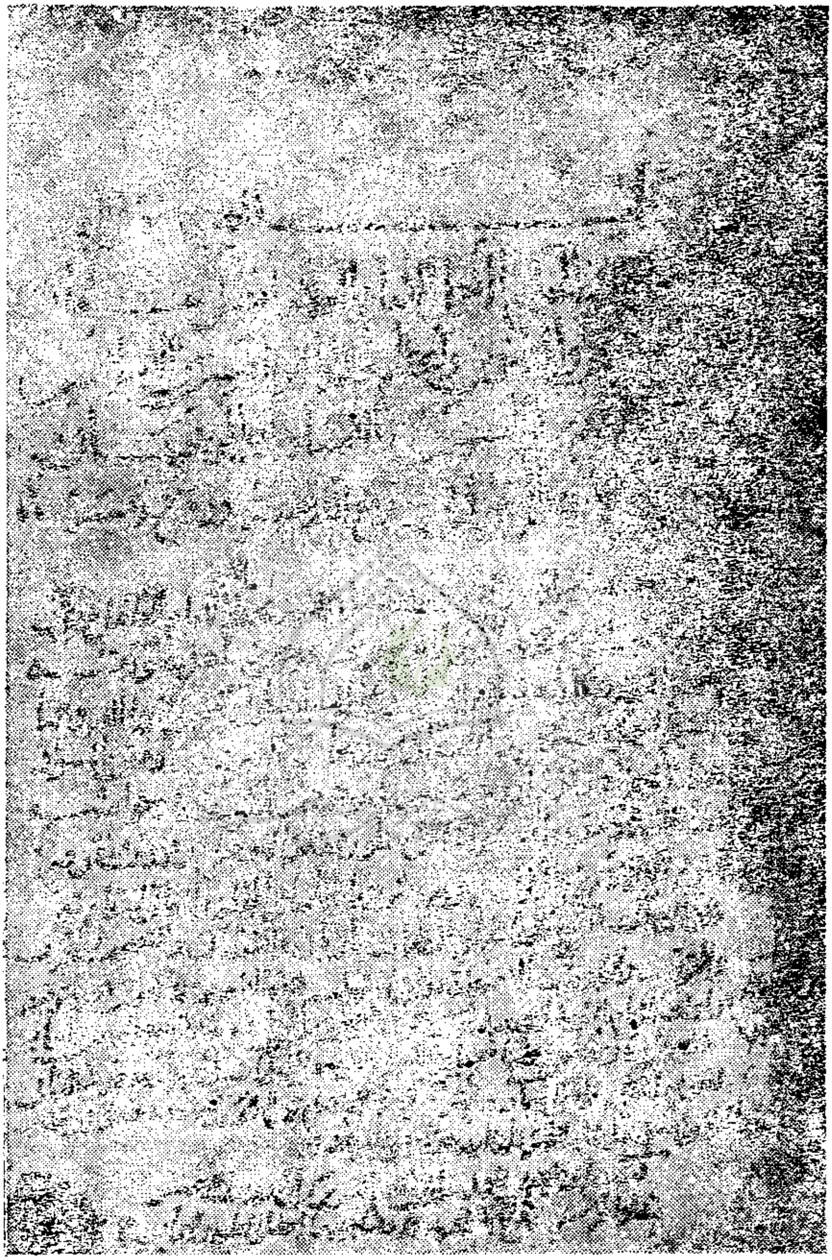
على نطاق عالمي فقد نشرت مؤسسة همدرد الوطنية في كراتشي بالباكستان سنة ١٩٧٣ تحقيقاً عربياً لكتاب الصيدنة وضعه الدكتور رانا احسان إلهي الأستاذ في في جامعة البنجاب وترجمة إنكليزية لهذا الكتاب وضعها الحكيم محمد سعيد رئيس مؤسسة همدرد. وقد صدر التحقيق والترجمة في كتاب واحد ومعه كتاب آخر يشتمل على تحقيق وتقييم باللغة الانكليزية لكتاب الصيدنة من وضع الدكتور سامي خلف حمارنة الأستاذ المؤرخ في سميثسونيان انستيتوشن في واشنطن. وفضلاً عن ذلك فإن أكاديمية العلوم في طشقند أصدرت في سنة ١٩٧٣ لكتاب الصيدنة ترجمة روسية وضعها عبيد الله كريموف عضو الأكاديمية، وترجمة أخرى باللغة الاوزبكستانية.

ربما أن ايران كانت احدى الدول التي اشتركت في احياء الذكرى الألفية لمولد البيروني فإن المجلس الأعلى للثقافة والفنون في العاصمة الايرانية نشر قسماً من الترجمة الفارسية لكتاب الصيدنة في الطب، كما نشر خمسة كتب تذكارية أخرى تضمنت دراسات وشروحاً وفهارس لمؤلفات البيروني.

وتبيّن مما اجتمع لدينا من المصورات لمخطوطات كتاب الصيدنة أن أقدمها على الأرجح هي المخطوطة ذات الرقم ١٤٩ المحفوظة في جامع كورشونلو في بورسه بتركيا. وهي مخطوطة نقلها إبراهيم بن محمد بن إبراهيم التبريزي المعروف بغضنفر سنة ٦٧٨ هـ، عن نسخة كتبها الإمام محمد بن مسعود بن محمد الزكي الغزنوي سنة ٥٤٩ هـ نقلاً عن نسخ أخرى أخصها نسخة كتبت سنة ٤٦٨ هـ أي بعد وفاة البيروني بنحو خمس وعشرين سنة. وقد فقدت جميع هذه النسخ ما عدا النسخة التي كتبها غضنفر والتي رجحنا أنها مخطوطة بورسه كما تقدم[١].

ويبدو أن كل ما في دور الكتب من نسخ كتاب الصيدنة إنما هو

(١) تيسّر الحصول على مصور مخطوطة بورسه لكتاب الصيدنة في الطب بمعاونة المكتبة المركزية بجامعة طهران.



وجه الورقة الأولى من مخطوطة بورسه لكتاب الصيدنة في الطب

نقل عن مخطوطة بورسه ، وأخص هذه النقول التي استعان بها الباحثون المعنيون بدراسة كتاب الصيدنة ، النسخة ذات الرقم ل/ ٣٠١٤ التي تملكها دار الكتب المصرية بالقاهرة ، والنسخة ذات الرقم ١٩١١ المحفوظة في مكتبة المتحف العراقي في بغداد .

٢

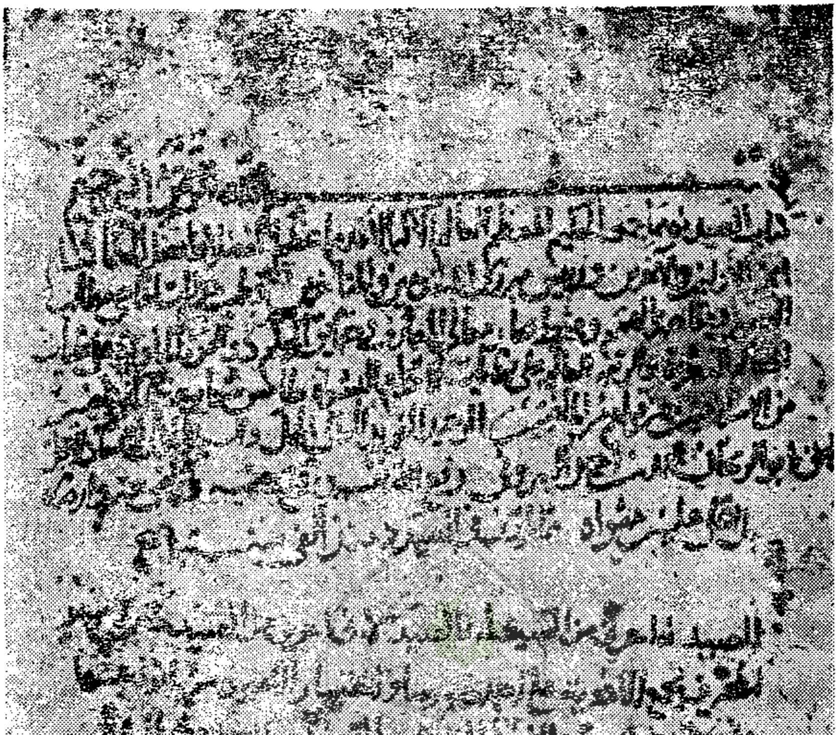
سأقتصر في هذا المقال على بحث الألفاظ صَيْدنة وصيدلة وصيدناني وصيدلاني ، فأنقل ما جاء عن تعريفها وأصلها في الأمهات وسواها من المراجع ، مشيراً بوجه خاص إلى ما ذهب إليه البيروني من أن الصيدنة والصيدناني لفظتان معربتان ، وأن تعريبها وتعريب ما جرى مجراهما من الألفاظ ، إنما تم بتحويل بعض حروف الكلمة الأعجمية ، وخاصة بتحويل حرف الجيم في الكلمة الأعجمية إلى صاد في الكلمة المعربة .

وقد رأيت أن أبدأ بحثي بإيراد نص اقتطعته من مقدمة كتاب الصيدنة كما جاءت في مخطوطة بورسه . وإنما وقع اختياري على هذا النص لتضمنه المنهج الذي جريت عليه في بحثي من حيث التعريف الذي وضعه البيروني لكل من الصيدنة والصيدناني ومن حيث الأصل اللغوي الذي تولدت منه هاتان اللفظتان . وهذا هو النص :

« الصيدنة هي معرفة العقاقير المفردة بأجناسها وأنواعها وصورها المختارة لها ، وخلط المركبات من الأدوية بكنه نسخها المدونة . والصيدنة أعرف من الصيدلة والصيدلاني أعرف من الصيدناني ، وهو المحترف بجمع الأدوية على أحمد صورها واختيار الأجود من أنواعها مفردة ومركبة على أفضل التراكيب التي خلدها له مبرزو أهل الطب » .

ويتابع البيروني فيقول :

« في الصاد الذي في أول اسم الصيدنة والصيدناني سِمةٌ من



ظهر الورقة الأولى من مخطوطة بورسه الكتاب الصيدنة في الطب

الدلالة على أنه مُعرَّب الجيم . ولهذا لا أستنكر من حمزة الأصبهاني قوله في الصيدناني إنه معرب جندناني[١] ، وذلك أن ولوع الهند بالصندل يفوق ولوعهم بسائر أهضام العطر وأفواه الطيب ويسمونه جَنْدَنْ وجندل . فأما نسبة الصيدناني إلى الصندل فهي أيضاً سبب بصيره صندلانياً فهو أصوب . وقد يجوز أن يقارب الفرس الهند في الرغبة في الصندل حتى يسموا جلاّبه جندنانياً ، ثم عُرِّب إذ لم تكن العرب تفرد له اسماً أو لقباً . وكأنهم كانوا يزهدون في الصندل فنقلوا هذا الاسم المُعرَّب من مزاولي العطر إلى مزاولي الأدوية لما لم يكن في جملة عطورهم ، ولم يكادوا يميزون بين العطار والنِطاسي وعمموها لقلة الهداية . والعرافة نسبة إلى العلم والمعرفة . قال:

تروحُ الى العطارِ تبغي شبابَها ولا يُصلحُ العرَّافُ ما أفسدَ الدهرُ

ومنه عرَّافُ اليمامة لجمع أدهانهم الأرجة الى التداوي والمنفعة » .

« فأما قول بعض اللغويين في الصيدناني إنه دويبة طويلة لا تكاد أرجلها تعد لكثرتها وتفاوتها في الطول والقصر قد شبه به الصيدلاني لكثرة أدويته واختلاف جربه وأوعيته فهو لغو بحت . وكأنه أشار إلى دخّال الآذان المعروف مرة بالأربع والأربعين وأخرى بالسبع والسبعين . وكنت عددت أرجل واحد منها فكانت مائتين وأربعين رجلاً » .

٣

تقدم في النص الذي سبق ذكره أن البيروني عرف الصيدنة بقوله : « الصيدنة هي معرفة العقاقير المفردة بأجناسها وانواعها وصورها المختارة لها وخلط المركبات من الأدوية بكُنْهِ نُسَخِها المدونة » . وتعريف البيروني للصيدنة مطابق لتعريف الصيدلة في المعجمات الطبية الحديثة ، فقد جاء في معجم دورلند الطبي أن الصيدلة هي فن تحضير الأدوية وتركيبها وتوزيعها .

(١) الجيم في الألفاظ جندناني وجندن وجندل حيثما ترد في هذا المقال هي الجيم الفارسية المثلثة .

وتوسع المعجم الوسيط في تعريف الصيدلة فقال : « الصيدلة مهنة الصيدلاني ، وعلم الصيدلة علم يبحث فيه عن العقاقير وخصائصها وتركيب الأدوية وما إلى ذلك » .

ولفظة الصيدنة في عرف البيروني أعرف وأشهر من الصيدلة فهو إذن يقول في التمهيد لمقدمة كتاب الصيدنة : « الصيدنة أعرف من الصيدلة والصيدلاني أعرف من الصيدناني » ، ولهذا السبب جعل البيروني كلمة الصيدنة عنواناً لآخر الكتب التي ألفها وهو كتاب الصيدنة في الطب . وهو قد يكون على صواب في ذلك ، ولا سيما إذا كانت لفظة الصيدنة أشهر من الصيدلة في المنطقة التي قضى فيها بقية حياته وهي المنطقة التي تعرف اليوم بأفغانستان ، وحاضرتها كانت في زمنه غزنة مقر السلاطين من آل سبكتكين .

ولكن جمال الدين القفطي ذكر في كتابه إخبار العلماء بأخبار الحكماء (ص ٢٨٠) مايؤخذ منه أن الصيدلة والصيدلاني هما اللفظتان اللتان كانتا شائعتي الاستعمال في القرن الثاني الهجري أي قبل زمن البيروني بأكثر من مائتي سنة ، فروي أن الخليفة المهدي كان من أطبائه أبو قريش المعروف بعيسى الصيدلاني ، فاستدعاه المهدي وخاطبه فلم يجد عنده علماً بالصناعة إلا شيئاً يسيراً من علم الصيدلة ، إلا أنه اتخذه طبيباً لما جرى منه واستخصه وأكرمه الإكرام التام .

وقد استعملت كلمة الصيدلة بعد ذلك في القرن الثالث ، فإن أبا بكر محمد بن زكريا الرازي ذكر في كتابه الجامع كلمة الصيدلة دون الصيدنة . قال ابن أبي أصيبعة في كتابه عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ج ١ ص ٣٩٧ و ٣١٨) : « وللرازي كتاب الجامع ويسمى حاصر صناعة الطب ... وهو ينقسم اثني عشر قسماً ، القسم الخامس في صيدلة الطب فيه صفة الأدوية وألوانها وطعومها وروائحها ومعادنها وجيدها ورديئها ونحو ذلك من علل الصيدلة ... وله كتاب صيدلة الطب » . ويلاحظ على ذلك

أن البيروني أشار في نهاية الفصل الخامس من مقدمة كتاب الصيدنة إلى كتاب الرازي فسماه كتاب الصيدنة بالنون لا كتاب الصيدلة باللام كما فعل الرازي . قال البيروني : « كنت طالعت لأبي بكر الرازي كتابيه في الصيدنة والإبدال فلم افز منها بالكفاية » . فيدل ذلك على شدة تعلق البيروني بكلمة الصيدنة وتغليبه لها على كلمة الصيدلة .

وعلى العكس مما قاله البيروني من أن الصيدنة أعرف من الصيدلة فإن أحد معاصريه وهو الطبيب أبو الحسن المختار بن بطلان البغدادي ذكر في كتابه دعوة الأطباء لفظة الصيدلة ولم يذكر الصيدنة ، فقال في موضع من هذا الكتاب : « تعز عليّ هذه الصناعة قلّ الواصف لها وعدم العارف بها فتحامى التجار جلب العقّار وبقينا من صناعة الصيدلة على البراني المصفّفة والصواني المزوّقة والدكاكين المزخرفة والألواح المرندجة » . ولو أن ابن بطلان عاش في هذا الزمان لأضاف إلى ذلك هذه الأدوية المعبأة والمعلبة التي أغنت عن الكيمياء وأعادت الصيدليات متاجر للبيع والشراء .

ومع أن لفظة الصيدلة وردت في كلامهم وفي مؤلفاتهم منذ القرن الثاني الهجري ، فإنها لم ترد في المعجمات التي ألفت قبل القرن التاسع . وقد كان القاموس المحيط للفيروزابادي أول المعجمات العربية التي ذكرتها فأشار إليها بإيجاز في سياق تعريفه للصيدلاني . وقد جاء عن لفظة الصيدلة في هذا المعجم مايلي : « ومحمد بن داود الفقيه الصيدلاني وجدّه منسوبان إلى بيع العطر وهو الصيدلة » . وزاد عليه الزبيدي في تاج العروس فقال : « منسوبان إلى بيع العطر والأدوية والعقاقير وهو الصيدلة أي بيع العطارة » .

وإذا انتقلنا إلى المعجمات الحديثة لوجدنا أيضاً أن الصيدلة تعرّف فيها بإيجاز وأن الصيدنة غير واردة فيها مما يدل على أن هذه المعجمات كمعجمي

الفيروزأبادي والزبيدي عدت الصيدنة لفظة مماتة فضربت صفحاً عنها ، واعتبرت الصيدلة لفظة حية فذكرتها ، وذلك كما هو بيّن مخالف لما أراده البيروني من تغليب لفظة الصيدنة على الصيدلة . إلا أن لفظتي الصيدلة والصيدنة وردتا في معجم دوزي بمعنى العقاقير ، وهو معنى آخر يختلف كل الاختلاف عن المعنى الذي أراده البيروني في تعريفه الصيدنة . ويستشهد هذا المعجم على لفظة الصيدلة بمعنى العقاقير بعبارة جاءت في مخطوطة ليدن ذات الرقم ٣٣١ (٧) وهي : «وكان أميناً في المارستان على الخزانة التي فيها الصيدلة » . ويستطرد معجم دوزي فيقول إن الصيدنة هي الصيدلة أي العقاقير ، ثم يستشهد على اللفظة بهذا المعنى بعبارة وردت في المعجم العبري العربي لأبي الوليد مروان بن جَناح القُرطبي وهي : « أفاوية وعطورٌ وصيدنة » . وهو يستشهد أيضاً على لفظة الصيدنة بمعنى الأدوية بعبارة أخرى وردت في مخطوطة باريس ذات الرقم ٣٣٤٧ لكتاب مركز الاحاطة بأدباء غرناطة لمؤلفه لسان الدين بن الخطيب ، والعبارة هي : « لها معرفة بالطب والصيدنة » . أي الأدوية المستعملة في الطب .

٤

وقد استعمل البيروني في مقدمة كتاب الصيدنة لفظتي الصيدلاني وجمعها صيادلة والصيدناني وجمعها صيادنة بدون أن يرجح الواحدة على الأخرى ، مع أنه ذهب في مقدمته إلى أن الصيدلاني أعرف من الصيدناني ، وعرّفه بقوله : « هو المحترف بجمع الأدوية على أحمد صورها واختيار الأجود من أنواعها مفردة ومركبة على أفضل التراكيب التي خلدها له مبرزو أهل الطب » . وليس بغريب أن ينطبق هذا التعريف الذي وضعه البيروني للصيدلاني منذ ألف سنة ، على الصيدلاني في هذا العصر ، إذ إن شأن هذا الأخير اليوم أن يقتني الأدوية الجاهزة على أحمد صورها وان يعنى بتوزيع الأجود من

أنواعها تنفيذاً لما يأمر به أهل الطب ، وهؤلاء انما يتعمدُون إلى أدوية معيَّنة اقتناعاً منهم بمنافعها التي يبينها لهم ويذيعها بين ظهرانيهم مانسميه اليوم بالمكاتب العلمية ، وما هذه إلا مراكز للاعلام والوساطة التجارية تتولى إرشاد الأطباء الى الأدوية الجاهزة التي أثبتت الاختبارات العلمية فوائدها في مختلف وجوه المعالجة .

وقد أصاب البيروني فيما قاله من أن الصيدلاني أشهر من الصيدناني ، فإن المصنفات العربية القديمة التي تيسرت لي مراجعتها استعملت فيها لفظة الصيدلاني دون الصيدناني وذلك منذ القرن الثاني الهجري أو قبله . ومن ذلك ماجاء في كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء (ص ١٢٠) لجمال الدين القفطي عن اسحق والد الطبيب المترجم حنين بن اسحق وهو قوله : « وكان اسحق والد حنين صيدلانياً من أهل الحيرة ومن وَلَد العبّاد » .

ولم يستعمل ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء غير لفظة الصيدلاني ، وذلك في رواياته التي يعود تاريخها إلى القرن الثاني الهجري ، قال ابن أبي اصيبعة (ج ١ ص١٥٣) : « لما وجه المنصور المهدي إلى الريّ لمحاربة سنقار كان عيسى المعروف بأبي قريش صيدلانياً في العسكر فأمره المهدي بلزوم الخدمة وترك خيمته وماكان فيها من متاع الصيادلة » .

وأهمل ابن بطلان في كتابه دعوة الأطباء لفظة الصيدناني واقتصر على لفظة الصيدلاني فقال في موضع من كتابه : « ثم شرب وقال لغلامه امض إلى تلميذي أبي جابر الفاصد وادعه ومعه عوده وجز بصديقنا أبي أيوب الكحال وابي سالم الجرائحي وقل لأبي موسى الصيدلاني بحياتي عليك إلاّ جعلتنا في هذا اليوم أحدَ زَبونَيكَ . فما كانت هنيهة حتى حضر القوم فسلموا فرددنا عليهم السلام » . وقال ايضاً : « أما تعلمون أن الحكماء يقولون إذا كان الطبيب حاذقاً والمريض موافقاً والصيدلاني صادقاً فما أقلّ لُبْثَ العلة » .

وقد تقدم أن لفظة الصيدلة لم يرد ذكرها في المعجمات قبل القرن

التاسع ، وأن لفظة الصيدنه لم ترد فيها البتة ، وإنما جاءت في بعض النصوص التي أشير اليها في معجم دوزي والتي يعود تاريخها إلى القرنين السادس والثامن ، وعلى عكس ذلك فإن لفظتي الصيدلاني والصيدناني ورد ذكرهما بإسهاب في بعض المعجمات القديمة ، وسبب ذلك على مايبدو يعود الى أن تسمية بائع العطور والعقاقير بالصيدلاني أو الصيدناني سبقت تسمية حرفته بالصيدلة أو الصيدنة فجاء الكلام على المحترف أكثر إسهاباً منه على الحرفة ، أو أن المعجميين رأوا أن المحترف هو الأصل فأطالوا في تعريفه وايضاح مصدر الاسم الذي أطلق عليه ، كما رأوا أن تعريف الحرفة مما يستطاع استنتاجه من التعريف الذي وضع للمحترف ، فأهمله بعضهم اهمالاً تاماً وجعله البعض الآخر موجزاً إلى أقصى درجات الايجاز . هذا فضلاً عن أن المعجمات ذكرت للصيدناني والصيدلاني معاني أخرى لاتمت إلى الصيدلة بأية صلة كما سيجيء .

٥

وقد جاء في الصحاح أن الصندلاني لغة في الصيدناني . وجاء فيه أيضاً :« الصيدناني الصيدلاني ». وجاء في لسان العرب : «والصيدلاني معروف فارسي معرّب والجمع صيادلة . والصيدلاني لغة في الصيدناني » . فيؤخذ مما ذكره الصحاح واللسان أن لفظة الصيدناني اعرف الألفاظ الثلاثة ، وأن الصندلاني والصيدلاني لغتان فيه . ويؤخذ أيضاً مما قاله اللسان ان الصيدناني فارسي معرب أيضاً ، لأن الصيدلاني وهو لغة في الصيدناني فارسي معرب ، وهذا بالضبط ماعناه البيروني حين ذهب إلى أن الصيدناني معرب جندناني وذلك بأن الكلمة جندناني الفارسية قلبت جيمها المثلثة صاداً ونونها ياءً في الكلمة المعربة صيدناني . ويؤخذ ايضاً مما قاله البيروني ان لفظتي الجندن

والجندل تطلقان في الهند على شجر عطر الخشب ، وقد سماه العرب صندلاً تعريباً للفظتين جندن وجندل الفارسيتين ، وهاتان مأخوذتان من اللفظة السنسكريتية candana على ماجاء في معجم وبستر الأميركي وفي شرح معجم برهان قاطع للغة الفارسية . وقد تم هذا التعريب ايضاً بقلب الجيم المثلثة صاداً في كلمة صندل المعربة . واقتبس الفرس ايضاً عن الهند هاتين اللفظتين لتسمية الشجر أو لتسمية خشبه ، ونسبوا إلى الجندن فقالوا جندناني لبائع الصندل والعطور والأدوية . وكذلك فان العرب نسبوا إلى صندل فقالوا صندلاني لبائع الصندل والعطور والأدوية ، لان الأمم القديمة كالهنود والفرس والعرب لم تكن تفرق بين بائع العطور وبائع الأدوية فكان يتولى الاتجار بها شخص واحد ، ولذلك سمى العرب بائع الأدوية والعطور وما إليها من أدوات الزينة بالعطار وحرفته العطارة .

ويتبين مما تقدم أن ثمة تعريباً يفترض أن يكون تعريباً مزدوجاً ، أولهما تعريب الجندن والجندل إلى صندل ، والنسبة إلى هذا الأخير بالصندلاني ، والثاني تعريب الجندناني إلى صيدناني . وقد كانت نتيجة هذا التعريب المزدوج أن استحدثت لتسمية العطار لفظتان عربيتان أو معربتان هما الصندلاني والصيدناني ، وهاتان حولتا فيما بعد إلى صيدلاني . ويتراءى للباحث في هذا التطور اللفظي أن لفظة الصندلاني تحولت إلى صيدلاني بقلب نونه الأولى ياء ، وذلك بدون المرور في طور الصيدناني على ما ذكره صاحب الصحاح ، وأن الصيدناني تحولت إلى صيدلاني بقلب نونه الأولى لاماً . وهذا الافتراض كما هو ظاهر يتفق مع ما ذهب إليه اللسان من أن الصيدلاني لغة في الصيدناني .

ويؤخذ أيضاً من هذا التطور اللفظي أن العرب أو الناطقين بالعربية ومنهم أبو الريحان البيروني ، حين قالوا صيدناني لمحترف بيع العطور والأدوية أطلقوا لفظة الصيدنة على حرفته ، كما أنهم حين قالوا صيدلاني للمحترف

أطلقوا لفظة الصيدلة على الحرفة . أما الصيدنة فقد كانت اللفظة المفضلة عند البيروني ، ولذلك جعلها عنواناً لكتابه الصيدنة في الطب ، ولكنها عادت اليوم لفظة مماتة ، وبقيت لفظة الصيدلة . وأما اللفظة صيدلاني التي أطلقت على محترف الصيدلة منذ القرن الثاني الهجري أو قبله فتقوم مقامها اليوم في الشام اللفظة صيدلي. غير أننا لا نزال نحتفظ باللفظة صيدلاني ومؤنثها صيدلانية ، لاستعمالها صفة أو نعتاً فنقول مركب صيدلاني ومركبات صيدلانية وما إلى ذلك ، كما أننا نطلق اللفظة صيدلانية على محترفة الصيدلة فلا نصفها بالصيدليّة لإطلاقنا هذه اللفظة على المكان الذي تزاول فيه الصيدلة .

ومما تجدر الإشارة إليه أن من الذين تحدثوا عن كتاب الصيدنة في الطب للبيروني من أتى بلفظة جديدة هي الجندنة ، مفترضاً أنها أخذت من جندن أو جندناني ، وقال إنهـا أصبحت صيدنة . على أن البيروني حين نسب في مقدمة كتاب الصيدنة إلى حمزة الأصبهاني القول بأن اللفظة جندناني عربت إلى صيدناني ، لم يذكر الكلمة جندنة وإنما ذكر الألفـاظ جندن وجندل وجندناني ، هذا فضـلاً عن أن الكلمة جندنة لم ترد في معجم برهان قاطع للغة الفارسية القديمة . فلا حاجة إذن إلى اختراع لفظة جديدة هي اللفظة جندنة لنعدها أصلاً للفظة صيدنة ، لأن هذه كما سبقت الاشارة إليه مشتقة من الصيدناني كما اشتقت لفظة الصيدلة من الصيدلاني .

٦

جاء في ما سلف من هذا البحث أن من أهل اللغة من قال بأن لفظة الصندل دخيلة ومنها اشتقت لفظة الصيدناني وأخواتها . إلا أن لغويين آخرين ذهبوا إلى أن لفظتي الصيدناني والصيدلاني عربيتان ، وأنها منسوبتان إلى صيدن وصيدل العربيتين . ولم يرد هذا القول في الصّحـاح لأن هذا المعجم كما قيل لا يحتوي على أكثر من نصف اللغة ، إلا أنه جـاء في

اللسان ونقله التاج في مستدركه على القاموس ، وهذا ما قاله اللسان : «والصيدلاني لغة في الصيدناني ، قال ابن بري : الصيدلاني والصيدناني العطار ، منسوب إلى الصيدل والصيدن ، والأصل فيها حجارة الفضة فشبه بها حجارة العقاقير . وعليه قول الأعشى يصف ناقة شبّه زَوْرَها بصَلاءة العطار :

وزَوْراً ترى في مِرْفَقَيه تَجانفاً نبيلاً كدَوْك الصَيدنانيِّ دامِكا

ويُروى الصيدلاني دَامِكا والدّوْك الصلاءة ، ويقال للحجر الذي يطحن به الطيب ، والدّامِك المرتفع» . ويقول صاحب اللسان أيضاً في مادة صدن : «وحكى ابن بري عن ابن درستويه قال : الصيدن والصيدل حجارة الفضة شبه بها حجارة العقاقير فنسب إليها الصيدنانى والصيدلاني وهو العطّار» .

وعلى خلاف ذلك فإن أبا محمد الحريري قال في درّة الغواص (ص ٥١): «ويقولون في المنسوب إلى الصيدل والصيدن ، وهما في الأصل حجارة الفضة ثم جعلا اسمين للعقاقير ، صيدلاني وصيدناني» . غير أن شهاب الدين الخفاجي قال في شرحه لدرة الغواص (ص ١٢٨) : «في شرح الفصيح الصيدناني والصيدلاني بائع العقاقير كالعشاب والعطار . وعن ابن درستويه : الصيدن والصيدل الفضة شبه بها حجارة العقاقير فنسب إليها وزيدت الألف والنون للمبالغة» . وعليه فإن الحريري ذهب إلى أن لفظتي الصيدل والصيدن وهي حجارة الفضة ، استعيرتا لتسمية العقاقير ، في حين أن الخفاجي يخالفه في ذلك فيردد ما نقله صاحب اللسان عن ابن درستويه وهو أن الصيدل والصيدن ، وهما في الأصل حجارة الفضة ، استعيرتا لتسمية حجارة العقاقير فنسب إليها بالصيدلاني والصيدناني ، على اعتبار أنها تعنيان حجارة العقاقير لا العقاقير نفسها التي تطحن بها .

وقد جاء في الصحاح ما يفهم منه أن للصيدناني معاني أخرى لا صلة لها بالصندل المعرب عن الجندن والجندل ، كما أنها ليست ذات صلة بصورة النسبة إليه وهي الصندلاني ، أو بلفظ النسبة التي يظن أن لفظة الصيدناني تعريب لها وهي اللفظة الفارسية جندناني . وينتج من ذلك أن المعاني الأخرى للصيدناني قد تدل على أن اللفظة عربية ، وأن العرب استعملوها للدلالة على عدد من المسمَّيات التي شاء البيروني الاشارة إلى بعضها ، ولم يشأ الاشارة إلى بعضها الآخر ، وهو ما نصت عليه المعجمات التي كانت متداولة في زمانه . وهذا ما قاله الصحاح : « الصيدناني الصيدلاني ، والصيدناني أيضاً دُوَيبَّة . قال أبو عبيد : تعمل لنفسها بيتاً في الأرض وتعمّيه ، ويقال له الصَّيْدن أيضاً » .

وجاء في لسان العرب : « ابن الأعرابي : يقال لدابة كثيرة الأرجل لاتعد أرجلها من كثرتها وهي قصار وطوال صيدناني وبه شبه الصيدناني لكثرة ما عنده من الأدوية . وقال ابن خالويه : الصيدن دويبة تجمع عيداناً من النبات فشبه به الصيدناني لجمعه العقاقير » . وفي تاج العروس : « الصيدناني العطار مثل الصيدلاني ، شبه بتلك الدويبة التي تجمع العيدان على ما قاله ابن خالويه أو التي كثرت أرجلها على ما قاله ابن الأعرابي » .

وقد تقدم في النص المقتطع من مقدمة كتاب الصيدنة ما يؤخذ منه أن البيروني كان ينكر ما قاله بعض اللغويين — ولعله كان يقصد ابن الأعرابي — من أن الصيدناني دويبة كثيرة الأرجل ، وكان يعد هذا القول من قبيل اللَّغْو البَحت . وقد رجح البيروني أن من قال هذا القول كان يعني الدويبَّة المعروفة بدخَّال الآذان ، وهي الدويبة التي سماها سواه بالحَرِيش أو بأم الأربع والأربعين .

وقد وردت في الأمهات معانٍ أخرى للصيدن والصيدناني ضربت صفحاً عن ذكرهـا لأنها ليست ذات صلة بالموضوع الذي عالجته في هذا المقـال . وهو أن لفظتي الصيدنة والصيدناني وأختيها لفظتي الصيدلة والصيدلاني يعود أصلها جميعاً إلى الصندل وهو الشجر الهندي ذو الخشب الطيب الرائحة ، وأن لفظة الصندل معربة عن الجندن والجندل الفارسيتين ، وقد تمَّ هذا التعريب بقلب الجيم الفارسية صـاداً في اللفظتين الأولى والثانية وبقلب النون الثانية لاماً في اللفظة الأولى ، وهما لفظتان مأخوذتان من لفظة سنسكريتية سُمّي بها الشجر ذو الخشب الطيب الرائحة ، وقد سماه العرب صندلاً على ما سبق بيانه بالتفصيل .

مصادر البحث

مخطوطة جامع كورشونلو في بورسه بتركيا ذات الرقم ١٤٩ لكتاب الصيدنة في الطب لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني ، تملك مصورها دار الكتب المركزية في جامعة طهران برقم ٣٦٣ .

مخطوطة دار الكتب المصرية بالقاهرة ذات الرقم ل/ ٣٠١٤ لكتاب الصيدنة للبيروني .

مخطوطة المتحف العراقي في بغداد ذات الرقم ١٩١١ لكتاب الصيدنة للبيروني .

مخطوطة مكتبة الامبروزيانا في ميلانو لكتاب دعوة الأطباء للمختار بن الحسن ابن بطلان .

ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء (القاهرة ١٢٩٩ ﻫ / ١٨٨٢ م) .

جمال الدين القفطي : إخبار العلماء بأخبار الحكماء (القاهرة ١٣٢٦ هـ) .

أبو محمد القاسم بن علي الحريري : كتاب درة الغواص في أوهام الخواص وشرحه لأحمد شهاب الدين الخفاجي (القسطنطينية ١٢٩٩) .

أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي : المعرب من الكلام الأعجمي (القاهرة ١٣٨٩ هـ) .

الصحاح للجوهري (القاهرة ١٣٥٦ هـ / ١٩٥١) .

لسان العرب لابن منظور (القاهره ١٣٠٠ هـ) .

القاموس المحيط للفيروزابادي (القاهرة ١٣١٩ هـ).

تاج العروس الزبيدي (القاهرة ١٣٠٦ هـ).

المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة (القاهرة ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م).

معجم برهان قاطع للتبريزي وشرحه للدكتور محمد معين (طهران ١٣٤٢ هـ ش / ١٩٦٣).

R. Dozy : Supplément aux Dictionnaires Arabes (Leyden, 1881).

Dorland's Illustrated Medical Dictionary, 24th edition (Philadelphia, 1965).

Webster's International Dictionary (Springfield, Mass. 1971).

الدكتور ميشيل الخوري

الصلات اللسانية بين الهند والعرب

الدكتور جميل أحمد

أولاً : منذ أقدم العصور إلى ظهور الإسلام

ا ـ تأثر الجانب الهندي :

لقد وصلت اللغة العربية إلى شبه القارة الهندية الباكستانية قبل الإسلام بزمن بعيد على يد التجار والملاحين من العرب ، فإن الهند والبلاد العربية كانتا على صلة تجارية مستمرة . والملاحة العربية في المياه الهندية كانت معهودة قبل الإسلام بقرون عديدة[1] . إذن من الطبيعي أن تنتج عنها آثارها في الحقل اللغوي لضرورة التفاهم بشأن تبادل البضائع والسلع . يصدّق ذلك ماأورده السيد سليمان الندوي في كتابه « عرب وهندكى تعلقات[2] ». نقلاً عن كتاب البانديت الكبير سوامي ديانندجي المسمى « ستيارته بركاش » :

لما أراد (كورو) أن ينزلوا أعداءهم (باندو) في البيت المصنوع من الشمع أثناء حرب مهابهارت التي وقعت بين الطائفتين ، حينئذ كشف

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية مادة « Saba » ؛ حوراني Arab Seaforing ٤ ـ ٥ ، ٣٢ ـ ٣٣ ؛ تاراتشند ٢٩ Influence of Islam on Indian Culture

(٢) ص ١١

(دور جي) عن تلك المؤامرة باللغة العربية ، وأجابه (بدهشتر) أيضاً باللغة نفسها » .

فاللغة العربية كانت لغة التخاطب السري أثناء حرب كورو وباندو . ينم هذا عن كون اللغة العربية معهودة كأصحابها التجار العرب في الهند منذ فجر التاريخ .

ولغات المقاطعات الساحلية في جنوب الهند وغربها تحمل أيضاً طابع التأثر من العربية ، وإن أعوزتنا الوسائل لتقدير مدى ذلك التأثر بالضبط ، ثم الخط البراهمي الذي طوره الهنود ليلائم مقتضيات لغاتهم إنما دخل في الهند سنة ٨٠٠ قبل الميلاد على ماقاله بوهلر بواسطة التجار الفينيقيين (١) الذين هم من أصل سامي . لأدل على ذلك مما وجد من نقوش دولة موريان (Mauryan) ودولة اندهرا (Andhra) التي هي مكتوبة بالحروف العربية ، وكذلك كتابات اشوك التي هي مرسومة من الجهة اليمنى على على نمط الخط العربي (٢) . ولا يخفى أن الكتابة من الجهة اليمنى مميزة تخص اللغات السامية لاغير . فهذا دليل قاطع على أن الصلات اللسانية بين الهند والعرب ترجع إلى ماقبل الميلاد بمئات السنين .

ب ـ تأثر الجانب العربي ـ الكلمات الهندية المعربة :

كذلك كان الجانب العربي قد تأثر قديماً من الاحتكاك بالهنود ولغاتهم ، فقد تسرب إلى اللغة العربية عدد كبير من مفردات اللغات الهندية من أسماء العقاقير والأطياب الزكية والأحجار الثمينة والأخشاب النفيسة

(١) دائرة المعارف البريطانية (Sanskrit)

(٢) المصدر نفسه .

والتوابل الحارة والأبزار والسيوف ومصطلحات التجارة والملاحة وما إلى ذلك .

وهاك مثلاً بعض تلك الكلمات الهندية[١] الأصل التى جرت على لسان الملاحين العرب حتى عربت وشقت طريقها إلى الشعر الجاهلي :

الصندل (السنسكرية) chandan ، الفلفل[٢] (التاملية) Pipalli ، المسك [٢] (الهندية) Muska ، القرنفل [٢] (الهندية) kanakphal karanphul[٣] الكافور (الهندية) Kapur ، البارجة (الهندية) Bera [٤]. وفوق ذلك كله وردت بعض الكلمات الهندية الأصل ـ على الأقل

(١) راجع الموضوع بالتفصيل في العلاقات التجارية للدكتور السيد محمد يوسف في مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، مايو ١٩٥٣ م ،وانظر أيضاً : سواء السبيل ؛ عربون كي جهاز رانی ص ١٤ — الندوي : عرب وهندكى تعلقات ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٩ ، ٧١ ، جفرى = Foveign vocabulary of Quran

(٢) فهناك أشعر الشعراء امرؤ القيس يقول في معلقته :

ترى بعر الآرام في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل
إذا قامتا تضوع المسك منهما نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

وكذلك ذكر الشاعر علقمة الفحل ميناء هندياً هاماً « Kalkai » ربما سار اسمه مع اللآلىء التي كانت تصدر منه :

محال كأجواز الجراد ولؤلؤ من القلقي والكبيس الملوب

انظر العلاقات التجارية ص ١٥

(٣) انظر سواء السبيل ؛ آنندراج مادة قرنفل .

(٤) البيروني ١٦٧ ؛ دهخدا ٢٩٢/٥ عن البيروني ، سواء السبيل ١٥ ؛ عربون كي جهاز رانی ١٤

ثلاثة منها - في القرآن المجيد ، وهي كافور ، زنجبيل ، ومسك[١]. وفي تاج العروس : « طوبى اسم (الجنة بالهندية) معرب عن توبى »[٢].

فخلاصة القول إذن أن الصلات بين العرب والهند ليست وليدة الإسلام ، بل كانت قائمة قبله بقرون ، إلا أنها كانت تجارية بحتة ، ومنها نشأت بينها حركة التبادل اللغوي ، إلى أن أخذت اللغة العربية عن اللغات الساحلية الهندية عدداً من أسماء المستوردات من نواحي الهند ، كما ألف التجار الهنود وسكان المدن الساحلية العربَ ولغتَهم .

ج - الجاليات الإسلامية بالهند :

وكان من الطبيعي أن استقرت جاليات التجار من العرب والفرس بسواحل الهند الغربية والجنوبية بعد ظهور الإسلام ، إلا أنها سرعان ماتحولت إلى جاليات إسلامية مع الاحتفاظ بالعلاقات التجارية والصلات الودية مع الأهالي ، مما أدى على مرّ الزمن إلى كثرة الاختلاط والزواج بالنساء الوطنيات كما يقول تاراتشند : « واتخذ المسلمون ثلاثة مقرات على ساحل الهند الجنوبي وفي سيلان . يقول رولندسن (Rowlandson) إن المسلمين العرب بادىء بدء استقروا بساحل ملبار في أواخر القرن السابع »[٣]. يؤيد هذا القول فرانسس دي (Francis Day) بالروايات المتوارثة[٤]

(١) الندوي ٧٢ . فقد قال الله تعالى :
« إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً » (٧٦ : ٥) و « يسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً » (٧٦ : ١٧) ، « وختامه مسك » (٨٣ : ٢٦) . إلا أن جفري دل على أكثر من ثلاث كلمات .

(٢) ٣٥٨/١ (فصل الطاء من باب الباء) تحت « طوبى » .

(٣) تاراتشند ٣٢ نقلاً عن مقدمته « تحفة المجاهدين » (ليدن ١٨٣٢ م) .

(٤) المرجع نفسه نقلاً عن كتابه « The Land of the Perumals » ص ٣٦٥

وكذلك يدعمه ستورك (Sturrock) فيما كتبه عن موبلا (Moplahs) قائلاً: « مما هو معلوم أن التجار الفرس والعرب استقروا في القرن السابع وبعده ، بعدد كبير ، على السواحل الغربية من الهند متفرقين بأماكن مختلفة وتزوجوا النساء الوطنيات ، وكانت جالياتهم في ملبار خاصة ، كبيرة هامة »[1].

ومن التجار العرب الذين استوطنوا ملبار أولاً مالك بن دينار ، وشرف بن مالك ، ومالك بن حبيب . إنهم استقروا في مدينة كدنكلور ، وبنوا هناك مسجداً ، ثم أشرقت ربوع كوالم ومنجلور وكدنكلور وكانجركوت وغيرها بنور الإسلام ،وشيدت المساجد [2]، ومن المعلوم ما للمساجد من الفضل في نشر التعاليم الإسلامية واللغة العربية ، فإنها كانت حينذاك معاهد لتعليم اللغة العربية وآدابها ومراكز لتدريس الفنون الإسلامية . ومن أهم مايدلّ على وجود المسلمين في بلاد الهند الجنوبية في بدء بزوغ الإسلام النقودُ الإسلامية المدفونة التي أخرجت في ملبار منقوشة عليها سنة ٧١ هـ[3] ، والقبر الموجود بكوالم المكتوب عليه اسم صاحبه « عليّ » وتاريخ وفاته ١٦٦ هـ[4] ،وذكرى الملك الذي اعتنق الإسلام أولاً وسمي بعبد الرحمن السامري ، التي يحتفل بها أهل ملبار من

(١) تاراتشند نقلا عن كتابه « south kanara, Madras District Manuals » ص ١٨٠

(٢) للتفصيل راجع تحفة المجاهدين ١٣ – ١٥ ، تاريخ فرشته ٢/٧٠٠ – ٧٠٥ ؛ آرنلد Preaching of Islam ٢٦٤ – ٢٦٥ ؛ تاراجند ٣٤

(٣) تاراجند ٤٠

(٤) آرنلد ٢٦٣ (على الهامش) ؛ تاراتشند ٣٤

الكفرة والمسلمين إلى الآن(١). وإن زمورن (Zamorin) راجه كالكيت حين يتوج يلبس لباس المسلم بأيدي المسلمين ويعتقد أنه خليفة السامري، ويحكم من قبله إلى حين رجوعه من جزيرة العرب(٢)، وإن راجه تراونكور حين يتوج ويأخذ السيف بيده يقول « إن هذا (كله) عنده إلى أن يرجع عمه الذي غادر إلى مكة »(٣).

ثانياً - بعد الفتح الإسلامي

ا - فتح العرب السند وآثاره

أما موجة الفتح الإسلامي فقد وصلت إلى السند سنة ٩٢ هـ حتى خضعت السند كلها من ديبل إلى تخوم كشمير لحكم العرب. وكان لهذا الفتح آثار بعيدة المدى في حقول العلم والثقافة واللغات الدارجة المحلية.

فأولاً: ازدادت معرفة العرب بالقبائل السندية مثل الأساورة والسيابجة والزط والاندغار(٤) وهم قوم من السند انتقلوا من موطنهم إلى

(١) تحفة المجاهدين ١٦، تاريخ فرشته ٧٠٢/٢ ؛ تاراتشند ٣٤

(٢) قادر ٢٤١ ؛ تاراتشند ٣٤

(٣) تاراتشند ٣٥

(٤) البلاذري (النهضة) القسم الثاني ص ٤٦٣ : والاندغار من ناحية كرمان مما يلي سجستان. وفي اللسان: الزط جيل أسود من السند، إليهم تنسب الثياب الزطية، وقيل: الزط أعراب جت (Jat) بالهندية وهم جيل من الهند ... (مادة « زطط »)

وقال الخوارزمي في الكلام على طبقات الهند: الزط هم حفاظ الطرق، وهم جنس من السند يقال لهم جتان. انظر المفاتيح ص ٧٤

البصرة وما جاورها من البلاد العربية وانخرطوا في خدمة الجيش والإدارة الحكومية ، كما أنهم اندمجوا في الحياة الاجتماعية بحيث اشتهرت مزاياهم القومية وخصائصهم اللسانية بين العرب[1] .

ثانياً : اشتد إقبال الموالي من سبي الســـند على العلوم الدينية والأدبية بما فيها اللغة العربية حتى نبغ منهم كثيرون في العراق وفي الشام والحجاز أمثال الأوزاعي (ف ١٥٧ / ٧٧٤)[2] وربما أبي حنيفة أيضاً (ف ١٥٠ / ٧٦٧)[3] ، وأبي معشر نجيح بن عبد الرحمـــن

= وذكر الإمام البخاري في الأدب المفرد ص ٣٥ - حيث يروي عن مرض السيدة أم المؤمنين عائشة (رض) - أن طبيباً من الزط قام بعلاجها .

وفي البلاذري أيضاً ص ٤٦١ و ٤٦٢ : أما السيابجة والزط والاندغار فإنهم كانوا في جند الفرس ممن سبوه وفرضوا له من أهل السند ... فلما سمعوا بما كان من أمر الأسـاورة أسـلموا وأتوا أبا موسى فأنزلهم البصرة كما أنزل الأساورة ... أتى الحجاج بخلق من زط السند وأصناف ممن بهـا من الأمم ، معهم أهلوهم وأولادهم وجواميسهم ، فأسكنهم بأسافل كسكر .

(١) راجع البيان والتبيين ٢/٢١٣ — ٢١٥

(٢) اسمه عبد الرحمن . هو أحد أئمة الفقهاء في الإسلام . كان جريئاً احتج بقوة على الجرائم التي اقترفها العباسيون في لبنان ، ترجمته وردت في البلدان (القاهرة) ١/٣٧٤ ؛ البلدان (بيروت) ٣/٢٨٠ ؛ الذهبي ١/١٦٨ ؛ التهذيب ٦/٢٣٦ ؛ معارف (مجلة تصدر من اعظم كره) ٧٦ العدد ٢ (اغسطس سنة ١٩٥٥).

(٣) هو النعمان بن ثابت بن زوطي صاحب المذهب الحنفي ، جده زوطي من أهل كابل ، وقيل من أهل بابل وقيل من أهل نسا بخراسان . وقيل من أبناء فارس من الأحرار . فاسم جده وكونه من أهل كابل (حسب الرواية المشهورة) يرجحان أنه من الزط . =

السندي (١٧٠ / ٧٨٦)[١] ، والشاعر المشهور أبي عطـــاء السندي (ف٢٢٢/٨٣٦)[٢] .

ثالثاً : تقدم عدد من علماء السند للمساهمة في الحركة العلمية ببغداد بنقل علومهـم الرياضية والطبيعية وآرائهم الفلسفية إلى العربية حتى ذاع صيت العلوم الهندية القديمة بين المثقفين من العرب . ومن أولئك العلماء ابن دهن (٣) ، وصالح بن بهلة (٤) ومنكة (٥) وبازيكر ، وقلبرقل ، وسندباذ

= راجع الفهرست (الاستقامة) ٢٩٨ ؛ طبقات الفقهاء ٦٧ (على الهامش) ابن خلكان ٢/١٦٣ ؛ النجوم الزاهرة ٢/ ١٢ ؛ مفتاح السعادة ٢/٦٩ ؛ ذيل الجواهر ٢/٤٥١ — ٤٥٢

(١) هو صاحب المغازي . درس في مدينة الرسول وبغداد . نقل عن كتابه « المغازي » الواقدي وابن سعد . الفهرست (الاســتقامة) ١٤٢ ؛ السمعاني ٣١٣ ؛ الذهبي ١/٢١٦ ؛ التهذيب ١٠/٢٠ — ٤١٩ و ٤٢٢ ؛ الأعلام ٨/٣٢٨ — ٣٢٩ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ١/١٠٠

(٢) هومولى بني أسد ، شاعر مشهور . جمع بين لثغة ولكنة ، فلم يقدر على النطق بالجيم والحاء والشين والضاد والطاء والعين . له في الحماسة مقاطيـع جيدة تدل على علو كعبه في الشعر . وقد طبـع ديوانه مصدّراً بترجمته في مطبعة السند بحيدرآباد دكن ، ١٣٨١/١٩٦١ . انظر أيضاً ابن خلـكان ٢/٥٨٥ — ٥٨٦ ، ٣/٢٩٠ — ٢٩١ ، النزهة ١/١٩

(٣) ترجم عدة كتب عـــن اللغة الهندية إلى العربية ، كما في الفهرست (الرحمانية) ٣٤٢ و (الاستقامة) ٣٥٦

(٤) ورد ذكره في ابن أبي أصيبعة ٢/٣٤ ؛ القفطي (مصر) ١٤٥ — ١٤٧ و (ليبسك) ٢١٥ — ٢١٧

(٥) كان طبيباً حسن المعالجـة ، فيلسوفاً من جملة المشار إليهم في علوم الهند ، سافر من السند إلى العراق في أيام الرشيد هارون . وكان ينقل من اللغة=

الهندي[١] ، وكنكة الهندي صاحب كتاب النمودار في الأعمار ، وكتاب أسرار المواليد ، وكتاب القرانات الكبير ، وكتاب القرانات الصغير[٢] .

إلا أن هذه ظواهر التقرب بين العرب وأهالي السند لاغير ، ولم يكن لالتقائها خارج حدود السند أثر غير نقـــل بعض المصطلحات العلمية وتعريبها أثناء نقـــل العلوم الهندية إلى العربية مثل « اوح »[٣] و « ارين »[٤] وغيرهما .

الهندية إلى الفارسية والعربية ، ومن جملة مانقله منكة إلى العربية كتاب سيسرد ، وعشر مقالات ، ويجري مجرى الكناش ، وكتاب أسماء عقاقير الهند . انظر ابن أبي أصيبعة ٣٣/٢ ، والفهرســت (الرحمانية) ص ٣٤٢ و ص ٤٢١ و (الاستقامة) ص ٣٥٦ و ص ٤٣٥ ، وكان منكة صحيح الإسلام . راجع الحيوان ٢١٣/٧

(١) وردت هذه الأسماء في البيان والتبيين ١٠٦/١ . فذكر الجاحظ عن أبي الأشعث : أن يحيى بن خالد اجتلب أطباء الهند مثل منكة وبازيكر وقلبرقل وسندباذ الهند وفلان وفلان ..

(٢) القفطي (ليبسك) ٢٦٥ - ٢٦٧ و (مصر) ١٧٤ - ١٧٥

(٣) أصله بالهندية اج « بالجيم المثلثة » من مصطلحات المنجمين . آنند راج ٤٩١/١ ، سواء السبيل ٩٣ ، ولكن في الكشاف للتهانوي ٥٥/١ (فصل الجيم) : معرب أوك بمعنى العلو والظاهر أنه يعني ١١/ ج لاغير .

(٤) أرين : أصله (ujjiyaini) اسم لبلدة هندية كان فيها مرصد فلكي ، انظر (Legacy of Islam) ص ٩٣ . والمراد في العربية محل الاعتدال في الأشياء وهو نقطة في الأرض يستوي معها ارتفاع القطبين فلا يأخذ هناك الليل من النهار ولا النهار من الليل . وقد نقل عرفاً إلى محل الاعتدال مطلقاً « التعريفات ص ٧ راجع أيضا دهخدا ج ٣ تحت « ارين » .

أما مكانة اللغة العربية في السند وآثارها في الثقافة العامة واللغات المحلية بوجه خاص - أعني الموضوع الذي يهمنا في مقالنا هذا - فمن الواضح أن الحكم الإسلامي العربي بقي في هذه الأرض قرنين ونصف قرن إلى أن هاجم المحمود الغزنوي محارباً سنة ٣٩١ / ١٠٠١ ، وقد كان العرب في قمة سلطانهم الديني والثقافي على الشعوب المغلوبة المتخبطة في ظلمات الضلال والجهل ، ولاسيما في السند حيث كان الأهالي من الهندوس منقسمين إلى طبقات ، علياها البراهمة وسفلاها ويش . وقد زعم الهنود أن البراهمة خلقوا من رأس « براهما » ، وديش خلقوا من رجليه ، أما البوذيون فهم كانوا يقاسون الظلم والذلة على أيدي البراهمة ، فكانوا مستعدين لاستقبال المسلمين والترحيب بهم[١] . فلما أنار الإسلام سبل المعرفة والعلم أمام أهالي هذه البلاد ، ووجدوا باب السعادة مفتوحاً على مصراعيه بين أيديهم اعتنقوا دين الإسلام أفواجاً حتى أمراؤهم وملوكهم[٢] مثل جي سنگهه بن داهر ، وتسموا بالأسماء العربية الإسلامية ، وأخذوا من الثقافة الإسلامية العربية بحظ وافر . وهكذا أصبحت اللغة العربية لغة الدين والعلم والثقافة بطبيعة الحال ، بل ولغة التخاطب في بعض مناطق الأرض المفتوحة ، فضلاً عن كونها لغة الكتابة والإدارة الحكومية في معظم مناطقها جنباً لجنب اللغة المحلية ، ففي أحسن التقاسيم للمقدسي الذي زار السند في عام ٣٧٥/٩٨٥ : « ديبل بحرية قد أحاط بها نحو من مائة قرية . أكثرهم كفار .. كلهم تجار كلامهم سندي وعربي[٣] وهكذا يشهد الاصطخري : « ولسان أهل المنصورة والملتان ونواحيها

(١) راجع الموضوع بالتفصيل في جچنامه (كلا الجيمين مثلث) ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٨ - ١٢٣

(٢) البلاذري ٤٢٩ (السعادة) ، جچنامه ٢٠٨ و ٢٠٩

(٣) ص ٤٧٩

العربية والسندية » . ومما يدل على انتشار علم الحديث والفقه بوجه خاص قول المقدسي : « أكثرهم (أهل السند وما صاقبها من الهند) أصحاب حديث ، ورأيت القاضي أبا محمد المنصوري داود بها إماماً في مذهبه وله تدريس وتصانيف ، وقد صنف كتباً عديدة حسنة .. ولا تخلو القصبات من فقهاء على مذهب أبي حنيفة(١) وله كتب جليلة حسنة كبار منها كتاب المصباح كبير وكتاب الهادي وكتاب النير »(٢) .

ب ـ العلماء الواردون أرض السند

وقد احتفظ التاريخ ببعض أسماء العلماء الأتقياء الذين وردوا أرض السند في عهد الحكم العربي ، ونبغوا في الإفادة والإفاضة معتكفين في بيوتهم أو في المساجد التي كانت تقوم حينذاك مقام المعاهد العلمية والجامعات ، ومنهم (٣) :

١ ـ الفقيه موسى بن يعقوب الثقفي ، ولاه محمد بن القاسم القضاء والخطابة بالرور(٤) ، وبقي أولاده على القضاء إلى زمن طويل متلقبين بالصدر الإمام الأجل ، بدر الملة والدين ، سيف السنّة ، ونجم الشريعة . ومن أعقابه المتأخرين الفقيه إسماعيل بن علي الثقفي السندي القاضي بمدينة الرور . وكان خطيباً مصقعاً وعالماً باهراً بالفنون الأدبية وتقياً نقياً . اجتمع به علي بن الحامد الكوفي السندي صاحب « جج نامه » سنة ١٢١٦/٦١٣ ورأى

(١) أحسن التقاسيم ٤٨١

(٢) الفهرست (الرحمانية) ٣٠٦ و (الاستقامة) ٣٢٠

(٣) انظر التفصيل في إسحاق ٢١ — ٢٨

(٤) جج نامه ٢٥٣

عنده أجزاء من تاريخ وغزوات المسلمين في السند وفتوحاتهم بها بالعربية ، كتبها آباء القاضي ، فنقلها علي بن الحامد الكوفي إلى الفارسية [١] .

٢ - والربيع بن صبيح السعدي من تلامذة الحسن البصري وشيوخ الثوري ووكيع[٢] . قيل إنه أول من صنف وبوّب بالبصرة [٣] . توفي سنة ١٦٠/٧٧٦ بأرض السند .

٣ - وعمرو بن مسلم الباهلي المتوفى حوالي ١٢٣ هـ/ ٧٤٠ م من أبرز الأعلام الذين نحن بصددهم في هذا الباب ، ولاّه عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد على بلاد السند وما صاقبها من الفنجاب سنة ١٠٠ هـ ، وهو الذي دعا الملوك وعامة الناس إلى الإسلام بأمر الخليفة المذكور ، فقبله بعض الملوك وجمع من الناس[٤] ، كما أنه بذل أقصى جهوده في سبيل نشر القرآن والسنّة ، إذ كانت اللغة العربية لغة القرآن والسنة . والأحاديث نالت طبعاً مكانة مرموقة في قلوب المسلمين الجدد . وكان عمرو بن مسلم راوياً يروي عن يعلى بن عبيد ، ويروي عنه أبو الطاهر [٥] .

٤ - وإسرائيل بن موسى ، أبو موسى البصري نزيل السند . هو من أتباع التابعين ، يروي عن الحسن البصري (ف ١١٠ هـ / ٧٢٨ م) ومحمد بن

---

(١) جج نامه ٩ — ١١ ؛ ومقدمة جج نامه ص « يز » ؛ النزهة ١/١٢٥

(٢) ابن سعد ٧/٢٧٧ ؛ الطبري ٣/٤٦٠ و ٤٧٦ — ٤٧٧ ؛ التهذيب ٣/٢٤٧ — ٢٤٨ ؛ الشذرات ١/٢٤٧ ؛ الأبجد ٨٨٩ . وانظر أقواله والأحاديث المروية عنه في حلية الأولياء ٦/٣٠٤ — ٣١٠

(٣) التقريب ١٥٥ ، كشف الظنون ١/٣٤ و ٦٣٧

(٤) البلاذري (السعادة) ٤٢٩ ؛ ابليت ١/٢٦

(٥) التهذيب ٨/١٠٥

سيرين (ف ١١٠ / ٧٢٨) وغيرهما من الرواة الثقات . ويروي عنه سفيان الثوري (ف ١٦١ /٧٧٨) وابن عيينة (ف ١٩٨ هـ) وغيرهما من الحفاظ الكبار . توفي حوالي سنة (٧٧١/١٥٥)[١] .

٥ - ويزيد بن أبي كبشة السكسكي الدمشقي . روى عن أبيه أبي كبشة ومروان بن الحكم ، وعنه أبو بشر وغيره . ذكره ابن حبان في الثقات،[٢] ولاّه سليمان بن عبد الملك السند ، لكنه مات بعد قدومه أرض السند بثمانية عشر يوماً في عام ٧١٥/٩٧ [٣].

ج - العلماء من أهل السند

ونسمع في هذا العصر أيضاً عن مراكز الثقافة وحلقات الدرس في السند كديبل والمنصورة ، تخرج منها علماء أنجبتهم أرض السند ، وقد كان لهم شأن عظيم في العالم الإسلامي[٤] كأمثال أبي جعفر محمد بن إبراهيم ابن عبد الله (ف ٩٣٤/٣٢٢) الذي سافر من ديبل إلى مكة ليتلقى الحديث[٥] ، وأبي العباس أحمد بن عبد الله الديبلي المتوفى في نيسابور سنة ٩٥٤/٣٤٣ ، وهو من الرحالة المتقدمين في طلب العلم[٦] ، وإبراهيم بن أبي

(١) الميزان ٩٧/١ ؛ التهذيب ٢٦١/١ ؛ التقريب ٣٩

(٢) التهذيب ٣٥٤/١١ — ٣٥٥ ؛ راجع أيضاً التقريب ٥٦١

(٣) البلاذري (النهضة) ٥٤٠/٣ ؛ (السعادة) ٤٢٨ ؛ الطبري ١٢٦٨ ؛ ابن الأثير ١٣٤/٤ ؛ الشذرات ٢٩٥/٢

(٤) انظر التفصيل في إسحاق ٢٨ — ٤٢

(٥) في البلدان ٤٩٥/٨ «جاور مكة روى عن أبي عبد الله سعيد بن عبدالرحمن المخزومي وحسين بن حسن المروزي » .

(٦) السمعاني الورقة ٢٣٦

جعفر محمد (ف ٣٤٥/٩٥٦) المتقدم ذكره[١] ، وأبي العباس أحمد بن محمد الداودي المنصوري قاضي المنصورة ، روى عنه الحاكم أبو عبد الله الحافظ في عام ٣٦٠/٩٧٠ عندما ارتحل إلى بخارا [٢] ثم رجع إلى المنصورة وأقام بها حلقة الدرس . وآخرين ذكرهم السمعاني ، منهم من حدث بمصر[٣] وما وراء النهر[٤] وبغداد[٥] وقام خطيباً وإماماً في جامع مدينة المنصور والحربية[٦] .

وأخيراً لاأدل على مكانة اللغة العربية كلغة رسمية إبان الحكم العربي

(١) البلدان ٤٩٥/٨ ؛ إسحاق ٣٢

(٢) السمعاني الورقة ٥٤٣ ؛ إسحاق ٣٨

(٣) مثل شعيب بن محمد بن أحمد الديبلي المتوفى حوالي عام ١٠٠٩/٤٠٠ « قدم مصر وحدث بها وقال أبو سعيد بن يونس كتبت عنه » . راجع السمعاني ٢٣٦

(٤) مثل أبي العباس محمد بن محمد بن الحسن المنصوري الهاشمي ، حدث بما وراء النهر ، حدث عن أبي بكر بن أبي داود السجستاني وأبي القاسم البغوي وأبي جعفر الطبري وجماعة سواهم ، روى عنه أبو سعد الإدريسي الحافظ . توفي سنة ٣٤٧ بفرغانة . السمعاني ٥٤٣

(٥) مثل خلف بن محمد الديبلي ، نزل بغداد وحدث بها عن علي بن موسى الديبلي . الخطيب ٣٣٣/٨

(٦) كأبي جعفر عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن عيسى المنصوري (ف ٣٥٠ هـ) ، « كان إمام جامع مدينة المنصور وكان ثقة ، وكأبي الفضل محمد ابن عبد العزيز بن العباس الهاشمي المنصوري (ف ٤٤٤ هـ) كان خطيب جامع الحربية (وهي محلة كبيرة ببغداد كما في معجم البلدان ٢٣٧/٦) وكان من أهل الخير والفضل والعلم .... روى عنه أبو بكر الخطيب الحافظ فقال : كتبت عنه وكان صدوقا » . انظر السمعاني ٥٤٣

من الكتابات التي اكتشفت منذ أعوام في بهمبور ، وهي بالخط الكوفي وترجع إلى القرن الثالث الهجري(١) .

ثالثاً ـ في مكانة اللغة العربية في العصر الغزنوي ومايليه من العصور

انتقل زمام الحكم إلى الغزنويين في آخر القرن الرابع الهجري ، وفي أيامهم أصبحت الفارسية (الملقحة بالعربية) لغة البلاط والإدارة . وإذ كان أهل غزنة ينطقون بالفارسية جعلت لغتهم تبرز في الآداب بالترجمة عن العربية خاصة في الشعر والتاريخ ، ولكن العربية ظلت لغة المثقفين ثقافة عليا ، وكان لابد منها للبحث العلمي ولطلب الرفعة في المجتمع والعلو في البلاط . وفي أيامهم غدت لاهور ـ عاصمة الدولة الغزنوية في الهند ـ مركزاً عظيماً للآداب العربية والعلوم الدينية . فليس من الغريب ألا نجد أحداً من أعيان البلاط الغزنوي يجهل العربية ، حتى الشعراء الذين نظموا القصائد بالفارسية والذين ألفوا الكتب بها ، كانوا مثالاً ونموذجاً للجمع بين اللغتين كأبي العلاء عطاء بن يعقوب الغزنوي (ف ٤٩١)(٢) الكاتب الذي قضى من عمره ثماني سنين في الأسر بلاهور ، وله ديوان شعر بالعربية وديوان آخر بالفارسية ومن شعره بالعربية :

---

(١) الكتابات في متحف كراتشي ، راجع الموضوع بالتفصيل في Pak. Archaeology) العدد ٣ ، ١٩٢٢ (الألواح بأرقام ٢٥ ، ٢٦ الف و ٢٦ ب و ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ الف و ٣٢ ب ، و٣٥ و ٣٦)

(٢) ترجمته في معجم الأدباء لياقوت ١٢/١٧٠ – ١٧٢ ، ونموذج من نثره ١٧٢ – ١٧٧ ، و نموذج من شعره ١٧٧ – ١٨١ ، راجع أيضاً النزهة ١/٨٤ – ٨٦

اللهُ جـــار عصابة ودّعتهم والدّمع يهمي والفؤاد يهـــيم
قد كان دهري جنـــة في ظلهم ساروا فأضحى الدهر وهو جحيم
كانوا غيوث سماحةٍ وتكرمٍ فاليوم بعدَهُمُ الجفونُ غيـــوم
رحلوا على رغمي ولكنْ حبُّهم بين الفـــؤاد المستهام مقيم
قد خانَهم صرفُ الزمان لأنّهم كانوا كِراماً والزمانُ لئيمُ
اللهُ – حيثُ تحملوا – جار لهم والأمنُ دارٌ والسرورُ نديمُ
والعيشُ غَضٌّ والمناهِلُ عَذْبَةٌ والجوُّ طلقٌ والرياحُ نسيمُ(١)

كذلك مسعود بن سعد بن سلمان اللاهوري(٢) ولاّه محمود بن إبراهيم الغزنوي الأعمال الجلية بعدما برز في كثير من العلوم والفنون . وله ثلاثة دواوين في اللغات الثلاث : العربية والفارسية والهندية ، ومن سوء الحظ أن ديوانه العربي قد طارت به العنقاء للأبد(٣) ، ويكفي دلالة على فضله في جودة كلامه وانسجام بيانه ما أورده من أبياته رشيد الدين الوطواط في حدائق السحر يستشهد بها في براعة المطلع والتورية وغيرهما .

(١) الأدباء ١٢/١٨٠ – ١٨١

(٢) توفي إما في ٥١٥/١١٢١ أو ٥٢٥/١١٣١ ، انظر براون ٢/٣٢٦ دائرة المعارف الإسلامية (Mas'ud)

(٣) المصادر : السبحة (سبحة المرجـان) ٢٦ – ٢٨ ؛ الأبجد = أبجد العلوم لصدّيق حسن خان ٨٩٠ ؛ تذكرة ٢٢٦ ؛ النزهة ١١٤ – ١١٦ ؛ ترجمته وردت أيضاً في لباب الألباب ٢٤٦ ؛ دولت شاه ٣٩ ؛ براون ٢/٣٢٤ – ٣٢٦ ؛ دائرة المعارف (Mas'ud)

ومن أبياته :

وليلٍ كأنَّ الشّمسَ ضلّتْ ممرَّها وليس لها نحوَ المشارقِ مرجعُ
نظرتُ إليه والظّلامُ كأنّهُ على العَيْنِ غِربانٌ من الجوِّ وُقَّع
فقلتُ لِقلبي طال ليلي وليس لي من الهمّ مَنْجاةٌ وفي الصّبرِ مَفْزَعُ
أرَى ذَنبَ السِّرحان في الجوّ طالعاً فهل ممكنٌ أن الغزالةَ تطلع

ومنهم أبو النصر محمد العتبي صاحب « التاريخ اليميني »(١) ، وهو مؤرخ موثوق به في معرفة أخبار الدولة الغزنوية . توفي سنة ١٠٣٦/٤٢٧ .

ومن الفقهاء الزهاد الذين كانوا ذوي لغتين ، بارعين فيهما معاً : علي ابن عثمان الهجويري صاحب كشف المحجوب المعروف « داتا كَنج » توفي سنة ١٠٧٢/٤٦٥ — ٧٣ بلاهور ، وقبره يزار ويتبرك به إلى الآن(٢) .

أما غرة جبين الدولة الغزنوية فهو أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني ، لم يكن له نظير في عصره في الجمع بأشتات من العلوم الشائعة في الدول الإسلامية بالإضافة إلى حكمة الهنود وما إليها . صنّف كتباً كثيرة فى فنون شتى ، كلها باللغة العربية . كما أنه أوضح مكانة اللغة العربية في العلم والثقافة في ذلك العصر بقوله :

---

(١) قد طبع في دهلي بعناية سبرنكر .

(٢) ترجمته : فوائد الفؤاد ٤٥ ، خزينة الأصفياء ٢٣٢/٢ — ٢٣٥ ، تذكرة ٥٩ ، النزهة ٨٢/١ — ٨٦ ، صوفية ١ - ٣٤ ، وفي فوائد الفؤاد : « انه كان يقول الشعر بالعربية » .

« إن كل أمة تستحلي لغتها التي ألفتها واعتادتها ، واستعملتها في مآربها ... وأنا نفسي قد طُبعتُ على لغة (يريد بها لغته الأصلية الخوارزمية) لو خلد بها علمٌ لاستُغرب استغراب البعير على الميزاب ، والزرافة في الأكواب ، ثم انتقلتُ إلى العربية والفارسية ، وأنا في كل واحدة دخيل ولها متكلف ، والهجو بالعربية أحب إلي من المدح بالفارسية ، وسيعرف مصداق قولي من تأمل كتابَ علمٍ نقل إلى الفارسي كيف ذهب رونقه ، وكسف باله ، واسودّ وَجْهه ، وزال الانتفاع به ، إذ لا تصلح هذه اللغة إلا للأخبار الكسروية والأسمار الليلية »[1] .

وله قصائد غراء باللغة العربية ، ومن قصيدة له أوردها ياقوت الحموي في معجم الأدباء[2] :

ولما مضَوْا واعتضتُ منهم عصابةً دَعَوا بالتناسي فاغتنمت التناسيا
وُخلِّفتُ في غزنين لحماً كمضغةٍ على وَضَمٍ للطير للعلم ناسيا
فأبدلت أقواماً وليسوا كمثلهم معاذ إلهي أن يكونوا سَواسيا

وقد كان السلطان محمود الغزنوي (٣٨٩ - ٤٢١/٩٩٩ - ١٠٣٠) نفسه من أعيان الفقهاء في عصره . وله « التفريد في الفروع » في الفقه ، ذكره

(١) ظهر الإسلام ١/٩ - ٢٨٨ ، عن قطعة نقلها الأستاذ كرنكو عن كتاب الجماهر في معرفة الجواهر - في مجلة (Islamic Culture) ٦/٥٣٠ .
(٢) ١٧/١٨٦ - ١٨٨ ، راجع أيضاً ٤/٩٣ - ٩٤

الجلبي وقال نقلاً عن الإمام ابن شيبة: «وكتابه هذا مشهور في بلاد غزنة، وهو في غاية الجودة وكثرة المسائل»(١).

كفى بهذا دليلاً على أن اللغة العربية لم تزل كما كانت لغة العلم والثقافة مع استعمال اللغة الفارسية في التخاطب وبعض الأغراض الأدبية.

وخلفت الغزنويين دولةُ الأسرة الغورية في عام ١١٨٦/٥٨٢ وحكمت في الهند إلى عام ١٢٠٥/٦٠٢، وجعل الغوريون دلهي عاصمتهم، فانتقلت العلوم العربية الأصيلة والآداب الفارسية التابعة لها من لاهور إلى العاصمة الجديدة. وفي أيامهم غدت الفارسية لغة رسمية للحكم والإدارة، إلا أنها لم تزحزح العربية قط عن مكانة الرفعة والشرف التي تمتعت بها (ولا تزال تتمتع بها باستمرار في الدراسة الأكاديمية بين الشعوب الإسلامية) فإنها بقيت لغة العلوم الدينية مثل الحديث والتفسير والفقه والأصول، والعلوم الأخرى مثل الطب والهندسة والهيئة والرياضي والفلسفة والمنطق وغير ذلك، فلم يكن أحد لينال براعة في العلم أو حظوة عند الأمراء إلا إذا كان مثقفاً ثقافة عربية.

وفي أيام المماليك (٦٠٢ - ١٢٠٦/٦٨٨ - ١٢٩٠) وعلى رأسهم قطب الدين (٦٠٢ - ١٢٠٦/٦٠٧ - ١٢١١) مملوك محمد الغوري الذي تولى الملك بعده، نسمع لأول مرة عن مدارس منتظمة ومعاهد حكومية تحت رعاية السلطان، بل يرجع تأسيس أول معهد من هذا النوع إلى شهاب الدين محمد الغوري مؤسس الدولة الغورية في جمير وذلك بعدما احتل چتور، ولكن امتازت بالشهرة المدرستان المعزية والناصرية بدار الملك دلهي(٢)، وعين فيها

(١) كشف الظنون ١/٤٢٦ (مطبعة وكالة المعارف ١٩٤١)
(٢) طبقات ناصري ١٨٨ - ١٨٩

وفي المعاهد الأخرى أبرز المدرسين من الهند وخارجها من خراسان وما وراء النهر الذين لهم شهرة ونبوغ في الفقه والأصول والعربية ، لأن هذه العلوم حظيت باهتمام بالغ من قبل الملوك . أما التفسير والحديث فلم يكن يهتم حينذاك بهما إلا قليلاً[١] .

وكفى دليلاً على مكانة اللغة العربية الفائقة بنبوغ جماعة من علماء الأصول والعربية في هذا العصر . منهم برهان الدين محمود البلخي (ف ٦٨٧ ﻫ) أحد كبار العلماء في عصر السلطان غياث الدين بلبن[٢] ،والشيخ رضيّ الدين الحسن بن محمد الصغاني المولود بلاهور سنة ٥٧٧ / ١١٨٠ — ١١٨١[٣] في أيام خسرو ملك الغزنوي . رحل إلى غزنة فدرس بها وأفاد

(١) الثقافة ١١ — ١٢

(٢) أخبار الأخيار ٤٥ — ٤٦ ، خزينة الأصفياء ٣١٤/١ — ٣١٥

(٣) وردت ترجمته وأسماء مؤلفاته في الأدباء ٩ / ١٨٩ — ١٩١ (دار المأمون) ، فوائد الفؤاد ١٠٣ — ١٠٥ ، فوات الوفيات ٢٦١/١ ، الجواهر المضيئة ٢٠١/١ — ٢٠٢ ، بغية الوعاة ٢٢٧ ، مفتاح السعادة ٩٨/١ — ٩٩ ، كشف الظنون ١١٢٢/٢ و ١٧٠٥ ، السبحة ٢٨ — ٢٩ ، الفوائد البهية ٢٩ — ٣٠ ، إتحاف النبلاء ٢٤٣ — ٢٤٤ ، الأبجد ٨٩ — ٨٩١ ، حدائق ٢٥٣ — ٢٥٥ ، تذكرة ٤٨ ، جرجي زيدان ٤٩/٣ ، النزهة ١/ ١٣٧ — ١٤١ ، معارف ج ٦٠ العدد ٥ و ٦ (نوفمبر وديسمبر ١٩٤٧) ، بزم مملوكية ٢٩ — ٣٤

ومما يجدر بالملاحظة هنا أن الشيخ نظام الدين أولياء قد قال : إن الصغاني من بدايون كما في فوائد الفؤاد ص ١٠٣ : « اواز بداون بود » فمن هنا ذهب السيد الهاشمي فريدآبادي إلى أنه لم يولد في لاهور بل ولد ونشأ في بدايون بالإقليم الشمالي . انظر تاريخ هند ٢٦٢/٢ ، تاريخ مسلمانان ٢٤٢/١ ، راجع أيضاً بزم مملوكية ٣٣ — ٣٤

ثم حج وزار ، ثم توجه إلى بغداد وأقام بها برهة من الزمان . وأرسل برسالة إلى الهند من الخلافة العباسية سنة ٦١٧ هـ ، ورجع إلى بغداد سنة ١٢٢٦/٦٢٤ ، ثم عاد إلى الهند في أيام رضية بنت الالتمش ملكة الهند رسولاً من قبل المستنصر بالله الخليفة العباسي ، ورجع إلى بغداد في ٦٣٧/ ١٢٣٨ - ٣٩ ، وقد أثنى على فضله ونبله غير واحد من الفضلاء الباحثين . قال السيوطي : « إنه كان حامل لواء اللغة »(١) ، وقال الذهبي : « إنه كان إليه المنتهى في اللغة »(٢) ، وقال الدمياطي : « إنه كان إماماً في اللغة والفقه والحديث »(٣) .

الصغاني فيما نعلم أول من ألف كتباً في اللغة(٤) والسير(٥) في القارة الهندية الباكستانية ، و« مشارق الأنوار » محاولة أولية في تدوين الحديث في هذه النواحي ، توفي هذا المحدث الوحيد واللغوي الفريد عام ٦٥٠ / ١٢٥٢ ببغداد (٦) .

ومن كبار الأساتذة بدهلي الشيخ العلامة أبو بكر بن يوسف أفاد وأفاض مدة مديدة بدهلي ، وكان بلبن يكرمه نهاية الإكرام ويحظى

(١) بغية الوعاة ٢٢٧ (٢) المصدر السابق .

(٣) فوات الوفيات ٢٦١/١ ، مفتاح السعادة ٩٨/١

(٤) زبيد ٤٥٢

(٥) لم يورد زبيد اسمه في فصل التاريخ والسير ولكنه ذكر كتابه « در السحابة في بيان مواضع وفيات الصحابة » في فصل آداب الحديث ص ٢٩٢ ، وهو أول كتاب في الموضوع بالهند .

(٦) في المصادر السابقة ودول الإسلام ١٢٠/٢ (« القنعاني » بدل الصغاني مصحفاً) .

بصحبته[١]، وشمس الدين الخوارزمي أحد العلماء المشهورين في العلوم العربية، ولاّه السلطان بلبن الصدارة بدهلي واقبه «شمس الملك» وكان يدرّس أيضاً. أخذ عنه الثقافة العربية خلق كثير من العلماء والمشايخ، منهم الشيخ نظام الدين البدايوني المعروف بـ «أولياء»، فإنه قـرأ عليه مقامات الحريري وحفظ منها أربعين مقامة[٢]. وسنذكر الشيخ نظام الدين أولياء وغيره من الأعلام الذين أنجبتهم أرض «يوپى» في حديث آخر.

ومنهم الشيخ إسحاق بن علي البخاري (ف ٦٩٠/١٢٩٠)، ولد ونشأ بدهلي، وقرأ العلم على أبيه منهاج الدين علي البخاري اللاهوري، ثم عين مدرساً في المدرسة المعزية بدهلي. كان فقيهاً، زاهداً، شاعراً، متفنناً في العلوم ومقدماً في المعارف. من آثاره منظومة عربية في التصريف.

وسراج الدين محمد بن منهاج الدين عثمان الجوزجاني اللاهوري العالم البارع في العلوم العربية، ولاّه السلطان شهاب الدين الغوري قضاء العسكر بلاهور سنة ٥٨٣ هـ. وبعثه السلطان بلبن سفيراً إلى بغداد في بلاط الناصر لدين الله العباسي[٣]، وولده أبو عمر منهاج الدين عثمان بن سراج الدين محمد الجوزجاني صاحب «طبقات ناصري» أيضاً، كان عالماً بالعربية ومبرزاً في الفقه والأصول والسير والتاريخ. عيّنه ناصرالدين قباچه (٦٠٧-٦٢٥/١٢١٠-١٢٢٨) مدرساً بالمدرسة الفيروزية، وولاّه شمس الدين ايلتمش القضاء والخطابة والاحتساب، وغير ذلك من الأمور الشرعية سنة ٦٣٠ هـ[٤]

(١) النزهة ١٢١/١

(٢) أخبار الأخيار ٥٤ و ٧٧ - ٧٨، النزهة ١٦٦/١

(٣) النزهة ١١٠/١ - ١١١، طبقات ناصري ٣٣

(٤) طبقات ناصري ٨٦

وتولى أوقاف المدرسة الناصرية بدهلي سنة ٦٤٣ هـ[١] .

وفي عام ٦٨٨ / ١٢٩٠ قبض جلال الدين فيروز على ناصية الحكم [٢] ، وحكمت أسرته الخلجية إلى ٧٢٠ / ١٣٢٠ ، وظلت العربية وآدابها زاهرة . وفي عهد علاء الدين الخلجي (٦٩٥[٣] - ٧١٦ / ١٢٩٦ - ١٣١٦) كانت العاصمة دهلي حافلة بصفوة من الأساتذة الكبار الذين يقول فيهم البرني في تاريخه « فيروز شاهي » : إن كل أحد منهم كان وحيد العصر في جميع الفنون من المنقولات والمعقولات ، ولم يكن لأحد منهم في ذلك العصر نظير في العالم كله ، وبعضهم يداني الغزالي والرازي في مبلغ العلم[٤] . فمن أولئك الأفاضل المشار إليهم : ظهير الدين البهكري أستاذ الشيخ شمس الدين يحيى الأودهي

(١) المرجع السابق ١٠٨ .

(٢) طبقات أكبري ١١٧ ونصه : « درأوائل سنة ثمان وثمانين وستمائة برتخت سلطنت جلوس نموده » ، دائرة المعارف الإسلامية « Firùz S̲h̲ah khildji̅ » .

(٣) في طبقات أكبري ١٣٨ . درسنة خمس وتسعين وستمائة برتخت دهلي جلوس نموده . . . ؛ دائرة المعارف الإسلامية (k̲h̲aldji̅) .

(٤) البرني ٣٥٢ – ٣٥٣ ، أما قوله بنصه فهو :

« ودرتمامي عصر علائي (أي عـلاء الدين الخلجي) در دار الملك دهلي علماي بود ندكه آنجنان استادان كه هريكي علامة وقت ودر سمرقند وبغداد ومصر وخوارزم ودمشق وتبريز وسفاهان وري وروم ودر ربع مسكون نه باشند، ودرهر علمى كه فرض كنند از منقولات ومعقولات وتفسير وفقه وأصول فقه (لعل البرني لم يعد" الحديث من العلوم من أجل أن العلمـاء في ذلك العصر لم يهتموا به بل صرفوا النظر عنه بتة) ومعقولات وأصول دين ونحو ولفظ ولغة ومعاني وبديع وبيان وكلام ومنطق ، موئى مى شكافند وهر سالى جندين=

(ف ١٣٤٦/٧٤٧)[١] . قال فيه صاحب النزهة : « لم يكن في زمانه أعلم منه بالنحو واللغة والفقه والأصول »[٢] ، وفخر الدين الناقلي الدهلوي ، كان يدرس بدهلي ثم ولاه السلطان جـــلال الدين فيروز الخلجي الصدارة ، ومـولانا فخرالدين الهانسوي من الأساتذة المشهورين في عصره [٣] . ومن مؤلفاته دستور الحقائق .

أما أشهرهم فهو خسرو بن سيف الدين الدهلوي (ف ١٣٢٤/٧٢٥-٢٥)[٤] يقول فيه صاحب النزهة المؤرخ الكبير في تاريخ ثقافة الهند :

= طالبان علم از آن استادان سر آمده بدرجة افادت مى رسيدند ومستحق جواب دادن فتوى مى شدند ، وبعضى ازآن استادان در فنون علم وكمالات علوم بدرجة غزالي ورازي رسيده بودند . . » ، انظر أيضاً تاريخ فرشته ١ / ٢١٢ — ٢١٣

(١) في شأن الأودهي هذا قال الشيخ نصير الدين محمود الملقب بـ « سراج دهلي » :

سألت العلم من أحياك حقا فقال العلم : شمس‌الدين يحيى

انظر أخبار الأخيار ٩٧ ، السبحة ٢٩ ، مآثر الكرام ١٨٢ ، تذكرة ٨٦

(٢) النزهة ٢/٦٦

(٣) قد أورد البرني أسماء ٤٦ أستاذاً عالماً بالعربية في تاريخه فيروز شاهي ٢٥٣ — ٢٥٤ ، وعنه نقله فرشته إلى تاريخه ١ /٢١٣ ، انظر أيضاً طبقات أكبري ١٦٨

(٤) ترجمته وردت في البرني ٣٥٩ ، فرشته ١/١٣٧ و ٢/٧٥٣ - ٧٥٧ ، منتخب التواريخ ١/٩٤ و ٢٠٠ — ٢٠١ ، أخبار الأخيار ٩٩ — ١٠١ ، نفحات الأنس ٦٠٩ — ٦١٠ ، تذكرة ٥٧ ، النزهة ٢ / ٣٨ — ٤١ ، أمير خسرو ، دائرة المعارف الإسلامية (khusrū) .

« أشهر مشاهير الشعراء في الهند ، لم يكن له نظير في العلم والمعرفة والشعر والموسيقى وفنون أخرى قبله ولا بعده ... ونشأ بدار الملك وتنبل في أيام السلطان غياث الدين بلبن ، ولم يزل ملازماً للجد والاجتهاد في التحصيل والتضلع في العلوم حتى بلغ الغاية ، وتفرد بالشعر والبلاغة وغيرها من العلوم ... اخترع أنواعاً من البديع ، منها أبو قلمون ... ومنها ذو الوجهين وهو أن يرتب المتكلم كلاماً يصح معناه بالعربية والفارسية بالتصحيف والتحريف ، ومنها قلب اللسانين وهو أن يرتب المتكلم كلاماً عربياً يكون إذا قلب كلاماً فارسياً ، أو كلاماً فارسياً إذا قلب يكون كلاما عربياً .. » .

إنما عرف خسرو كشاعر بالفارسية والهندية ، إلا أنه من الظلم حقاً أن ينسى أو يتناسى الناس ولاءه للعلوم العربية . فإنه كان مديناً في كل ما قاله بالفارسية أوجله للثقافة العربية ، وكان ينظم بالعربية أيضاً . ومن شعره قوله :

ذاب الفؤادُ وسال من عيني الدمُ   وحكى الدوامعُ كلَّ ما أنا أكتمُ
وإذا أبحتُ لدى الورى كرب النوى   تبكي الأحبة والأعادي ترحمُ
يا عاذل العشاق دعني باكياً   إنّ السكون على المحب محرَّمُ
من بات مثلي فهو يدري حالتي   طولَ الليالي كيف بات متيَّمُ

ثم أفضت الدولة إلى غياث الدين تغلق سنة ٧٢٠/١٣٢٠ ، وتوالت ملوك أسرته إلى ٨١٧/١٤١٤ ، وأشهرهم محمد تغلق (٧٢٥ - ٧٥٢/١٣٢٤-١٣٥١) وهو الذي بسط الحكم الإسلامي على معظم الهند ، وكان له الفضل الكبير في نشاط الحركة العلمية العربية . وهو نفسه كما يقول القاضي الشوكاني

في البدر الطالع : « كان جواداً متواضعاً ، عالماً بفقه الحنفية ، مشاركاً في الحكمة »[١] .

« كان يكتب بالفارسية والعربية على حد سواء . فهو أكبر شهادة على الاهتمام البالغ بالثقافة العربية في عصره . كذلك يشهد فرشته في تاريخه[٢] بحذقه في إنشاء الرسائل بالعربية والفارسية :

« در تقرير فصيح وشيرين كلام وبي نظير بود ؛ ومكاتبات ومراسلات فارسي وعربي بربديهه چنان نوشتي كه دبيران ومنشيان دران حيران ماندندي » .

وعاصمته دهلي كانت حافلة بالمدارس، ففي صبح الأعشى[٣]:

« قال الشيخ مبارك : وفيها ألف مدرسة ، منها مدرسة واحدة للشافعية وباقيها للحنفية » .

ونبغ في تلك الأيام كثير من رجال العلم ، منهم :

عالم بن العلاء الأندرپتي . كان بارعاً في اللغة العربية ، ومبرزاً في الفقه والأصول . هو الذي صنف الفتاوى التاتارخانية ، جمع فيه مسائل المحيط البرهاني والذخيرة ، والخانية ، والظهيرية[٤] . قد طبع واشتهر في العالم حتى غني عن البيان ، صنّفه سنة ٧٧٧ هـ بأمر الخان الأعظم تاتارخان فسماه باسمه[٥] .

(١) البدر الطالع ٢/١٨٠ (٢) فرشته ١/٢٣٦ — ٢٣٧

(٣) ٥/٦٩

(٤) كشف الظنون ١/٢٦٨

(٥) في كشف الظنون ١/٢٦٨ : « وذكر أنه أشار إلى جمعه الخان الأعظم تاتارخان ، ولم يسم ، ولذلك اشتهر به ، وقيل إنه سماه زاد المسافر . »

لخصه إبراهيم الحلبي (ف ٩٥٦ / ١٥٤٩)[١] . وكان فيروز شاه تغلق (٧٥٢ - ١٣٥١/٧٩٠ - ١٣٨٨) يريد منه أن يسمي الكتاب باسمه ولكنه أبى ذلك من أجل أنه ألفه بإشارة الخان الأعظم واعتنائه ، والخان كان ركناً من أركان السلطنة في عهد السلطان غياث الدين تغلق والسلطان محمد تغلق . وصنف بالعربية كتاباً في التفسير سماه « التاتارخاني »[٢] ، ولكن جرّ الزمان عليه ذيل النسيان .

والشيخ عبد الله بن محمد الدهلوي (ف ٧٧٩ هـ) ، المعروف بنقره كار . له « العباب شرح اللباب » في النحو ، صنفه سنة ٧٣٥ لمحمد تغلق . ومن مؤلفاته « شرح تنقيح الأصول » لصدر الشريعة عبد الله بن مسعود المحبوبي[٣] .

والقاضي ضياء الدين البرني (ف ١٣٥٩/٧٦٠)[٤] أحد مشاهير فضلاء شبه القارة ، وأعرفهم بالتاريخ وسياسة المدن . كان متقناً للعربية ومتضلعاً من الفقه ، مع أنه ألف « تاريخ فيروز شاهي » بالفارسية .

وأخيراً القاضي عبد المقتدر الكندي التهانيسري ثم الدهلوي (ف

---

(١) في المرجع نفسه : « ثم إن الإمام إبراهيم بن محمد الحلبي المتوفى سنة ست وخمسين وتسعمائة لخصه في مجلد واحد ، وانتخب منه ما هو غريب أو كثير الوقوع وليس في الكتب المتداولة » .

(٢) عفيف ص ٣٩٢

(٣) النزهة ٦٩/٢ - ٧٠ ، كشف الظنون ٢/ ١٥٤٤ ، ولكن فيه أن المترجم له توفي سنة ٧٧٦

(٤) ترجمته وردت في أخبار الأخيار ١٠٣ - ١٠٥ ، تذكرة ٩٧ ، النزهة ٦٤:٢ ، Barani's History ص ١ - ٢٤

١٣٨٨/٧٩١) الذي هو بدون شك مقدم من حيث مكانته في العلم والأدب[١]، بل لم تنجب شبه القارة الهندية الباكستانية في عصورها بأمرها شاعراً أشعر منه ، فإن كل شاعر فيها يشوب كلامه شائبة العجمة ، أما القاضي عبد المقتدر فهو رائع النظم ، ينظم الشعر على منوال فحول الشعراء العرب . فكلامه حقيق بأن ينال مكاناً رفيعاً بجوار كلام الشعراء العرب كما هو رأي السيد سليمان الندوي[٢] .

ولد القاضي ببلدة تها نيسر ونشأ وترعرع بدهلي عاصمة الملك ، وأخذ شتى علوم الدين والعربية عن جهابذة من العلماء بدهلي ، منهم الشيخ نصير الدين محمود الأودهي (ف ٧٥٧ / ١٣٥٦) ولكنه برز في الأدب والإنشاء ، وقرض الشعر . وسرعان ما أصبح المرجع والمقصد للطلاب . تتلمذ عليه القاضي شهاب الدين الدولة آبادي الذي عرف بلقب « ملك العلماء » (ف ٨٤٩ / ١٤٤٥) ، وأبو الفتح الكندي (ف ٨٥٨/١٤٥٤) حفيد المترجم له ، اشتهر بلاميته التي يستهلها بقوله[٣] :

يا سائق الظعن في الأسحار والأُصل
سلم على دارِ سلمىٰ وابك[٤] ثم سلِ

(١) أخبار الأخيار ١٦٠ — ١٦١ ، السبحة ٢٩ — ٣٦ ، مآثر الكرام ١٨٣ — ١٨٤ ، الأبجد ٨٩٢ ، قضاء الأرب ١٩٥ ، حدائق ٢٩٩ — ٣٠٠ ، تذكرة ١٣٣ — ١٣٤ ، النزهة ٢/٧٠ — ٧٦ ، زبيد ٢٠٦ — ٢٠٧

(٢) معارف ج ٣٩ ، العدد ٦ ص ٤٠٨

(٣) انظر القصيدة في السبحة ٣٠ — ٣١ ، النزهة ٢/٧١ — ٧٦ ، الثقافة ٤٤ ، ثقافة الهند سبتمبر ١٩٥٠ — ص ٣ — ٩

(٤) في ثقافة الهند « فابك » مكان « وابك » .

عن الظبــاء التي من دأبها أبــداً صيدُ الأسود بحسن الدلّ و النَّجَلِ
وعن ملوكٍ كرام قد مضَوا قِدَداً حتى يجيبَك عنهم شاهد الطللِ
أَضحت ، إذا بعدت عنها كواعبها أَطلالهُا مثلَ أجفان بلا مقلِ
فدى فؤاديَ أعرابيّة سكنت بيتاً من القلب معموراً بلا حِوَلِ

جميل أحمد
القسم العربي بجامعة كراتشي (باكستان)

* * *

بوادر شرح الشعر

الدكتور فخر الدين قباوة

كان للبيئة المحدودة التي نشأ فيها الشعر الجاهلي وترعرع ، ولتشابه الثقافة والتفكير والتعبير في أصقاع الجزيرة العربية آنذاك ، ولصفاء القريحة العربية ، وحِدَّة البديهة الفطرية ، أن تلقّى عرب الجاهلية شعرهم بالرواية صافياً سائغاً ، يفهمون مراميه وإيحاءاته وظلاله ، دون حاجة إلى صُوى مصطنعة ، تفسر غريباً ، أو توضح غامضاً ، أو تشرح ملتبساً . هذا إذا كانت المفردات دقيقة الدلالة ، والملابسات الاجتماعية والفنية للشعر أو لتجارب الشاعر معروفة لدى الجمهور ، لا تحدّها بيئة محليّة ، أو خبرة ذاتية . فإذا كان في تلك المفردات أو الملابسات ما هو وليد حدث محليّ ، أو تجربة خاصة افتقرت بعض أجزاء الشعر إلى معالم ، توجّه معانيها ، وتفتح مغلقها ، وتوضح ما رمى إليه الشاعر .

فعتيبة راوية الأعشى مثلًا يستوقفه قول الأعشى :

ومُدامةٍ ممّا تُعتّقُ بابلٌ　　كَدَمِ الذّبيحِ ، سَلَبتُها جِرْيالَها

ويستغلق عليه معنى « سلبتها جريالها » ، فيعود إلى الشاعر نفسه ،

يسأله التفسير ؛ قال ابن قتيبة (١) : « حدثني الرياشي عن مؤرّج عن شعبة عن سماك عن عبيد راوية الأعشى قال : قلت للأعشى : ماذا أردتَ بقولك :

ومُدامةٍ ممّا تُعتّقُ بابل كدَمِ الذّبيحِ ، سَلبتُها جِرْيالها

قال : شربتُها حمراءَ ، وبُلتُها بيضاءَ » .

إن بيت الأعشى لم يكن فيه كلمة غريبة على عبيد . إنما الغريب عليه حقاً هو التركيب الفنيّ ، الذي صوّر فيه الأعشى تجربة ذاتية ، أعني ذلك التعبير الخيالي الذي يستمد قوته ووضوحه من الخبرة والتجربة أكثر ممّا يستمدها من معاني المفردات .

وهاك مثالاً آخر من هذا القبيل : كان عديّ بن أبي الزغباء يقاتل المشركين في يوم بدرٍ وهو ينشد :

أنا عَديٌّ ، والسَّحْلْ أمشي بهـا مَشْيَ الفَحْلْ

فبلغ الرسولَ ﷺ بيته هذا ، فجمع المسلمين بعد النصر ، ونادى : مَنْ عديّ ؟ فقال عديّ بن أبي الزغباء : أنا ، يا رسول الله ، عديّ . فقال : وما السَّحلُ ؟ قال : الدّرع . فقال النبي عليه السلام : نِعْمَ العديُّ عديّ بن أبي الزّغباء (٢) .

وثمة روايات أخرى ، تعرض نماذج من تفسير الشعر القديم . ولعل أقدمها ما نُسب إلى سلمى بنت مهلهل . فقد روي (٣) أن بكراً وتغلب

(١) الشعر والشعراء ص ٢١٥ – ٢١٦ ، وانظر المعرب ص ١٥١ ، واللسان ١٣ : ١١٤

(٢) مغازي رسول الله ص ٦٠ ، وشرح نهج البلاغة ٣ : ٣٣٥

(٣) السمط ص ٢٦ – ٢٧ ، وكتاب البسوس ص ١١٦ ، والخزانة ١ : ٣٠٤ ؛ وانظر طبقات الشافعية ١ : ١٤٦

لما سئمت حرب البسوس اتخذ مهلهل عبدين يغير بهما على بني بكر . ثم سئم العبدان ذلك الصنيع ، وأجمعا على قتل سيدهما . فلما تيقَّن مهلهل أنهما قاتلاه قال : إن كنتما ، لا بدّ ، فاعلِين فأبلغا الحيّ وصيّتي . ثم أنشأ يقول :

مَن مُبلِغٌ الأحياءَ أنّ مُهلهِلًا ... لِلهِ دَرُّكُمُ ، ودَرُّ أبيكمُ

فقتلاه . ثم رجعا إلى الحيّ ، فقالا : إنّ مهلهلًا مات ، ودفنّاه بموضع كذا . قالوا : فهل وصّى بشيء ؟ قالا : نعم ، وأنشدا البيت. فلم يدر القوم ما معنى ذلك ، حتى أتت ابنته ، وكانت غائبة عند زوجها في بعض الأحياء ، فأنشدوها ما قال أبوها ، فقالت : إن أبي يخبركم أن العبدين قتلاه . ثم قالت : إنما أراد :

مَن مبلغٌ الأحياءِ أنّ مُهلهِلًا ... أمسَى صَريعاً،في الضّريحِ،مُجدّلا
للهِ درُّكُمُ ، ودَرُّ أبيكُمُ ... لا يَبرَحِ العبْدانِ ، حتى يُقتلا

وسأل عمرو الجنْبي امرأ القيس عن قول الأزدي :

عَجِبتُ لمولودٍ ، وليسَ لهُ أبٌ ... وذي وَلَدٍ ، لم يَلْدَهُ أبوانِ

فقال : أراد بالأول عيسى بنَ مريم ، وبالثاني آدمَ أبا البشر[١] .

وسئل رؤبة عن قول امرىء القيس[٢] :

نَطْعنُهم ، سُلْكَى ومَخلُوجةً ... كَرّكَ لأمَيْنِ ، على نابلِ

فقال : حدثني أبي عن أبيه قال : حدثني عمّتي — وكانت في بني

(١) الخزانة ١ : ٣٩٨ ، ونسب بعضهم البيت إلى عمرو الجنبي .

(٢) التنبيهات ص ٨٨ — ٨٩

دارم — قالت : سألتُ امرأ القيس وهو يشرب مع علقمة بن عبدة : ما معنى قولك « كَرٍّ كَرٍّ لأمين على نابل » ؟ فقال : مررتُ بنابلٍ ، وصاحبُه يناوله الريش ، لُؤاماً وظُهاراً . فما رأيتُ أسرعَ منه ولا أحسنَ ، فشبّهتُ به .

وقال أبو عبيد البكري [1] : أذرُع : تُضاف ، فيقـال : أذرع أكبادٍ . وهي ضِلَع سوداء من جبل يقال له : أكباد . كذلك فسّرتْ أمُّ مَمريكٍ بيتَ أبيها تميم بن أُبيّ بن مقبل :

أمستْ بأذرُعِ أكبادٍ ،فحُمَّ لها رَكْبٌ بلِينةَ ،أورَكْبٌ بساوينا

ومن خلال هذه النماذج تتّضح لنا الخيوط الأولى لتفسير الشعر منذ القديم . فلا غرو أن يكون ذلك الشعر قد نقلته الرواة ،منذ نشأته الأولى ، مشفوعاً بتفسير لبعض مفرداته ، وعباراته .

يضاف إلى هذا أن لكل نص شعري بيئة تاريخية ، أحاطت به ، فكانت الباعث على ولادته ، وتكوين بنيانه ، وتوجيه معانيه . فإذا ذهب الزمان بذلك لموت الشاعر ومن عاصره فَقَدَ النص كاشفاً أصيلاً لمحتواه ، وعُطّلت جوانب أساسية من مراميه . ولذا كان لا بد أن ينهض الرواة بمهمة المؤرخ الذي يجمع مع الشعر الظروفَ والأخبار التي أوحت به [2] . وليس بعيداً أن يكون رواة العصر الجاهلي قد حملوا ، مع الشعر ، بعض الأخبار التاريخية ، التي تهيء الجو الكافي ، لتوضيح قسماته ، وصوره ومقاصده .

---

(١) معجم ما استعجم ص ١٣١ ، وانظر ديوان تميم ص ٣١٧

(٢) تاريخ الأدب العربي لبلاشير ١ : ١٠١

حتى إذا امتد الإسلام بهديه المبارك ، واتسعت رقعة البيئة العربية بالفتوح ودخول الناس في دين الله أفواجاً ، فكان فيها الأعاجم والمولدون ، اقتضى الأمر جهداً آخر ، لتقريب الشعر الجاهلي والإسلامي إلى الجمهور . ولهذا نلتقي في صدر الإسلام ، والعصر الأموي ، وصدر العصر العباسي بمن ينشد الأشعار القديمة في الجماعات والمجالس ، مُظهراً ما يثيره من إعجاب أو سخط (١) . فإذا عناصر جديدة تتخللُ إنشاد الشعر، من نقد خاطف ، أو تفسير سريع لما يشتمل عليه ، من إشارات تاريخية ، أو كلمات غريبة ، أو معنى بعيد ، أو مسألة نحوية .

رُويَ (٢) أن ابن سيرين كان يبغض النحويين ، ويقول : لقد بغّض إلينا هؤلاء المسجدَ . وكانت حلقته إلى جانب حلقة عبد الله بن أبي إسحاق . وبلغ ابنَ أبي إسحاق أنه يعيب عليه تفسير الشعر ، ويقول : ما علمه بإرادة الشاعر ؟ فقال : إن الفتوى في الشعر لا تحل حراماً ، ولا تحرّم حلالاً . وإنما نُفتي فيما استتر من معاني الشعر ، وأشكل من غريبه وإعرابه بفتوى سمعناها من غيرنا ، أو اجتهدنا فيها آراءنا . فإن زللنا ، أو عثرنا فليس الزللُ في ذلك كالزلل في عبارة الرؤيا ، ولا العثرةُ فيها كالعثرة في الخروج عما أجمعت عليه الأئمة من سُنّة الوضوء ، وكرهته الجماعة من الاعتداء في الطّهور .

فبلغ ذلك ابن سيرين ، فأقصر عما كان عليه من الإفراط في الوضوء . وأصبح إذا جاءه الرجل يسأله عن الرؤيا يقول : هات

---

(١) شرح ديوان أبي تمام ص ٨ ــ ٩ من مقدمة الناشر .

(٢) إنباه الرواة ٢ : ١٠٦ ــ ١٠٧

حتى أظنْ لك . وأصبح ابن أبي إسحاق بعد أن بلغه كلام ابن سيرين، يقول : أظن الشاعر أراد كذا ، واللغة توجب كذا .

وكانت المجالس الأدبية والعلمية ، وكتب التفسير والتاريخ والأنساب، تعرض الكثير من الشعر القديم ، مستخدمة إياه في بسط موضوع ، أو تأييد حدث ، أو تفسير معنى . وكانت في عرضها ذلك تضطر إلى شرح بعض المفردات أو العبارات التي ترد في الشعر . وهـذه أخبار متفرقة توضح ما رمينا إليه :

قال أبو علي القالي (١) : « أخبرني أبو بكر بن الأنباري عن أبيه قال : أتى أعرابي إلى ابن عباس ، فقال :

تَخَوَّفَني مالي أخٌ لِيَ ، ظالمٌ فلا تَخذُلَنّي اليومَ ، ياخيرَ من بَقِي

فقال : تخوَّفَكَ أي : تنقّصك ؟ قال : نعم ، قال : الله أكبر ! ﴿ أو يأخذَهُم على تَخوُّفٍ ﴾ أي : تنقّصٍ من خيارهم » .

وفي أخبار عُبيد بن شَرِيّة : « قال معاوية : لله أنتَ ، يا عُبيد ، فأين قول تُبّع الذي قال على الباء :

أرقتُ ، وما ذاكَ بي مِن طَرَبْ ولكنْ تذَكُّرُ ما قد ذَهَبْ

فأنشد عبيد عند ذلك :

أرقتُ ، وما ذاكَ بي مِن طَرَبْ ولكن تَذَكُّرُ ما قد ذَهَبْ

نُجيزُ الأمورَ ، بسُلطانِنا لنَبلُغَ مَلْكاً ، به ، مُغتَصِبْ

فقال معاوية : ويحكَ يا عبيد ، من يعني بهذا البيت الذي يَغتصب المُلك ؟ قال : يعني رجلاً من ولد قحطان ، يسمَّى القحطاني ، اسمه على

(١) الأمالي ٢ : ١١٢

ثلاثة أحرف ، تجمع له الأرض ، يدعو إلى الله . وذلك عند انقضاء ملك قريش [١] .

وها هو ذا كثيّر عزّة ، يحضر سمر يزيد بن عبد الملك ليلة ، فيكون بينهما ما يلي [٢] : قال كثيّر ليزيد : يا أمير المؤمنين ، ما يعني الشماخ بقوله [٣] :

إذا عَرِقتْ مَغابنُها ، وجادتْ بدَرّتِها ، قِرَى حَجِنٍ ، قَتِينِ

فسكت عنه يزيد . فقال كثيّر : « بصبصْنَ إذ حُدِينَ » . وهو مَثَل يضرب في طاعة الجبان وخضوعه . ثم أعاد فسكت عنه يزيد ، فقال : « بَصبصنَ إذ حُدِينَ » . فقال يزيد : « وما على أمير المؤمنين ألاّ يعرف هذا ؟ هو القُرادُ ، أشبهُ الدوابّ بكَ » . وكان كُثير قصيراً متقارب الخَلق .

وقال ابن سلاّم الجمحي [٤] : « حدثني أبو يحيى الضّبّيّ قال : لقي ذو الرمة رؤبة فقال له ذو الرمة : ما يعني الراعي بقوله :

أناخا ، بأشوالٍ ، طُروقاً ، بجُبَّةٍ قليلاً ، وقد أعيَا سهيلٌ ، فعَرّدا [٥]

---

(١) أخبار عبيد ص ٤٧٢ - ٤٧٨

(٢) طبقات فحول الشعراء ص ٤٦٠ - ٤٦١

(٣) يصف ناقته . والمغابن : الآباط وبواطن الأفخاذ . والدرة : رشح العرق والحجن : السيىء الغذاء . والقتين : القليل الدم واللحم . جعل عرق ناقته قرى للقراد الجائع المزيل .

(٤) طبقات فحول الشعراء ص ٤٧٧ ، وانظر الأغاني ١٦ : ١١٤ ، والمخصص ١٠ : ١٧٣ ، واللسان (خبب) .

(٥) الأشوال : النوق التي شالت ألبانها . والطروق : المجيء ليلاً ، وعرّد : مال للغروب .

فجعل رؤبة يقع مرة ههنا ، ومرّة ههنا ، إلى أن قال : هي أرض بين المـُكلئة والمجدبة . وكذاك هي » .

وقال وهب بن منبّه [١] : « وفي تبّع شمر يرعش يقول أبو ذؤيب الهذلي ، بعد زمانه :

وعليهما مسرودتانِ ، قضاهما داودُ ، أو صنعُ السّوابغ تُبّعُ

وهـذا البيت له في شعره الذي رثى به بنيه ، إذ قُتِلوا بذات الهجال [٢] » .

وفي السيرة النبوية أن حسّان بن تُبّان ملك اليمن قتله أخوه عمرو بتحريض من قادة جيش اليمن ، ليرتدّوا عن غزو العرب « فقال رجل من حمير [٣] :

لاهِ عَيْنا الذي رأى مِثلَ حسّا نَ ، قتيلاً ، في سالفِ الأحقابِ
قتلتْهُ مقاوِلُ ، خشيةَ الجيـ شِ غداةَ قالوا : لبابِ لبابِ
ميْتُكم خيرُنا ، وحيُّكمُ ربٌّ علينا ، وكلُّكم أربابي

قال ابن إسحاق : وقوله « لباب لباب » : لا بأس لا بأس ، بلغة حمير » .

تلك نماذج متفرقة تمثل لنا الصورة التي كانت عليها الشروح الأدبية حتى منتصف القرن الثاني . ومنها يتبين للدارس أن الشرح لم يتعدّ تفسير كلمة غريبة ، أو عبارة مجازية ، أو إيراد المناسبة التاريخية للشعر .

حلب الدكتور فخر الدين قباوة

(١) التيجان ص ٢٤١

(٢) يلي ذلك قصة مطولة فيها مقتل أبناء أبي ذؤيب وتأبين الملوك وأبي ذؤيب لهم .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ٢٦ - ٢٧ ، وتاريخ الطبري ٢ : ١١٥ - ١١٦

أشعار اللصوص وأخبارهم

القسم الرابع (*)

الأستاذ عبد المعين الملوحي

قدمنا في الأعداد السابقة من المجلة أشعار عشرة لصوص وأخبارهم .

ونقدم في هذا العدد أشعار ثلاثة آخرين هم :

١١ – أبو النشناش النهشلي

١٢ – وبرة بن الجحدر المعني

١٣ – سارية بن زنيم الدؤلي

[١١]

أبو النَّشْنَاشِ النَّهْشَلِيُّ

أخبـــاره وأشعاره

(*) لم يردني حتى الآن مستدرك على الأبحاث السابقة ، ومازلت أرجو أن أتلقى كل ملاحظة لأستطيع تدارك الأخطاء وسد النقائص ، وفاء لتراثنا العربي.

ترجمتـــه :

هو أبو النشناش النهشلي التميمي ، من لصوص العرب كان يعترض القوافل في شذاذ من العرب بين الحجاز والشام . وكان في عصر مروان بن الحكم. لا يعرف اسمه ، أما كنيته ففيها قولان :

١ – ابن النشناش ، ونقله الزبيدي في شرح القاموس .

٢ – أبو النشناش ، وأثبته التبريزي في شرح الحماسة عن أبي العلاء .

قال محقق الأصمعيات ، وأثبت كنيته أبا النشناش : « وما أثبتنا هو الثابت في أصل الأصمعيات ، وهو الذي أثبته ابن جني في المبهج ص ٢٦ قال : أخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد القطان عن أبي سعيد الحسن بن الحسين السكوي قال : كان الأصمعي يقول : هـذا أبو النشناش وأنشد البيت الذي لـه :

« سرت بأبي النشناش فيها ركائبه »

أخبـاره :

جاء في الأغاني ١٢ : ١٧١ (ط . دار الكتب) : أخبرني علي بن سليمان الأخفش ، قال : حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب قال :

كان أبو النشناش من متلاصّ بني تميم ، وكان يعترض القوافل في شذاذ من العرب بين طريق الحجاز والشام فيجتاحها . فظفر به بعض عمال مروان فحبسه وقيده مدة ، ثم أمكنه الهرب في وقت غرة فهرب ، فمر بغراب على بانة ينتف ريشه وينعب ، فجزع من ذلك ؛ ثم مر بحي من لهب فقال لهم : رجل كان في بلاء وشر وحبس وضيق فنجا من ذلك ، ثم نظر عن يمينه فلم ير شيئاً ، ونظر عن يساره فرأى غراباً على شجرة بان ينتف ريشه وينعب . فقال له اللهبي : إن صدقت الطير يعاد إلى حبسه

وقيده ، ويطول ذلك بـه ، ويقتل ويصلب . فقال له : بفيك الحجر . قال : لا بل بفيك . وأنشأ يقول :

قال أبو النشناش * :

[١]

١ – إذ المَرْءُ لَمْ يَسْرَحْ سَواماً ولم يُرِح
سَواماً ، ولَمْ يَبْسُط لهَ الوجهَ صـاحِبُهْ

* تخريج المقطوعة :

اعتمدنا فى تخريج المقطوعة على الكتب الآتية :

١ – مجموعة المعاني : ١٢٨ ٢ – عيون الأخبار ١ : ٢٣٧
٣ – الحماسة : رقم ١٠٣ ، ١ : ٣١٧ – ٣٢٠ ٤ – الأغاني : ١٢ : ١٧١ (دار الكتب) ٥ – الأصمعيات : رقم ٣٢ ص ١١٨ . تحقيق شاكر .

وآثرنا الرواية القريبة إلى روح الصعلكة ، وتسلسل المعاني قدر الإمكان .

(١) في الحماسة وعيون الأخبار والأصمعيات : « ولم تعطف عليه أقاربه » وفضلت رواية الأغاني ومجموعة المعاني وأثبتها لأن وجدت فيها أنفة ليست في الرواية الأخرى : عطف الأقارب على اللص .

الألفاظ : سرحت الابل : رعت . وسرحها الراعي : أرعاها . السوام : الإبل الراعية .

٢ ـ فَلَلْمَوتُ خَيرٌ للفتىٰ مِنْ حَيـــاتِه
فَقـــيراً ومن مولىً تَدِبُّ عقـــارِبُهْ

٣ ـ ولم أرَ مِثلَ الفَقْرِ ضــاَجعَهُ الفتىٰ
ولا كَسـوادِ اللَّيـــلِ أخْفَقَ طــالبُهْ

٤ ـ فَعِشْ مُعْـذِراً أو مُتْ كَرِيماً فإنَّني
أرىٰ المَوتَ لاَينجو مِنَ المَوْتِ هَــارُبهْ

(٢) في مجموعة المعاني ، والأغاني : ومن مولى تعاف مشاربه . وأثبتنا رواية الحماسة وعيون الأخبار ، والأصمعيات .

الألفاظ : تدب عقاربه : يلقاك بالأذى والسوء . والمولى : ابن العم ، والصديق . والبيتان متصلان .

المعنى : إذا لم تكن ذا مالٍ ينفعك ويسر صاحبك فموتك خير لك من الفقر ومن أذى الأقارب وطلب معروف الناس .

(٣) في مجموعة المعاني : صاحبه ، وفي الأصمعيات : مثل الهم .

(٤) في المجموعة ، والأغاني : أرى الموت لايبقي على من يطالبه .

الألفاظ : معذراً : من أعذر أي قدم عذره وأبداه .

المعنى : عش طالباً للرزق ، فإن لم تنجح فقد قدمت عذرك ، وإن مت وأنت كريم فما من المنايا بد .

٥ ـ ولو كانَ شيءٌ ناجياً من مَنِيَّةٍ
لكانَ أُثَيْرٌ يومَ جاءَتْ كتائِبُهْ

٦ ـ وسائلةٍ : أَيْنَ الرَّحيلُ ؟ وسائلٍ
ومَنْ يَسْألُ الصُّعلوكَ أَيْنَ مذاهِبُهْ ؟ !

٧ ـ مذاهبُهُ أَنَّ الفِجاجَ عَريضَةٌ
إذا ضَنَّ عنهُ بالنَّوالِ أَقارِبُهْ

---

(٥) في الأصمعيات . وجاء في الشرح : أثير بضم الهمزة ، الظاهر أنه أثير بن عمرو السكوني ، الطبيب الذي دعي لعلاج علي بن أبي طالب حين ضربه ابن ملجم ، بعد أن جمع الأطباء ، وكان أبصرهم بالطب وإليه تنسب صحراء أثير بالكوفة . وانظر خبره في معجم البلدان ١ : ١١١ وذلك ما قاله الأستاذ أحمد محمد شاكر ، ولكن الكلمة التي بعد ذلك : يوم جاءت كتائبه ، تشبه أن تكون وصفاً لملك أو لصاحب جيوش .

(٦) في الأغاني : أين ارتحالي . وفي عيون الأخبار والحماسة : وسائلة بالغيب عني وسائل .

(٧) تفرد به صاحب الأغاني .

والأبيات ظاهرة المعنى .

٨ ـ ودَاوِيَّةٍ يَهْماءَ يُخْشَىٰ بهـا الرَّدىٰ
سَرَتْ بأَبِي النَّشْناسِ فيهـا رَكائِبُـهْ

٩ ـ لِيُدْرِكَ ثَأْراً أو لِيُـدْرِكَ مَغْنَماً
جَزيلاً ، وهذا الدَّهْرُ جَـمٌّ عَجائِبُهْ

[٢]

وقـال * :

٨ – في الحماسة : ونائية الأرجاء ، طامسة الصوى .

وفي عيون الأخبار : وطامسة الأعلام ، مائلة الصوى .

في الأغاني : ودوية قفر يحار بها القطا .

الألفاظ : الداويّة والداوية : بتشديد الياء وتخفيفها : المفازة البعيدة الأطراف . الهيماء : الفلاة التي لاماء فيها ولا علم فيها ولا يهتدى لطرقها .

٩ في الأغاني ليدرك ثأراً أو ليكسب مغنماً ألا إن هـذا الدهر

ومعنى البيتين : رب قفر ضائع المعالم يهلك سالكه قطعتـه لإدراك ثأري من عدو أو لكسب رزقي ، وما أعجب الدهر يقذفني من مكان إلى مكان .

(*) البيتان في الأغاني ١١ : ١٧٠ « دار الكتب » ، ويظهر أنـه قالهما وهو في الحبس ينتظر مصيره .

كَأَنْ لَمْ تَرَيْ قَبلي أَسِيراً مُكَبَّلاً
ولا رَجُلاً يُرمى بِهِ الرَّجَوانِ
كَأَنِّي جَوادٌ ضَمَّهُ القَيْدُ بعدَما
جَرى سابقاً في حَلْبَةٍ ورِهانِ

[١٢]

وَبْرَةُ بنُ الجَحْدَرِ المَعْنِيُّ

أخباره وأشعاره

[١]

قال * :

١ ـ نَعَبَ الغُرابُ ولَيْتَهُ لَمْ يَنْعَبِ
بالبَيْنِ مِنْ سَلْمى وأُمِّ الحَوْشَبِ

(*) لم نعثر له على ترجمة ، والبيتان في الشعر والشعراء ٧٤ وقال : وله (لعمرو بن المُسَبِّح الطائي المشهور بالرماية) يقول الآخر . وفي حاشية الكتاب هو وبرة بن الجحدر المعني من بني دغش ـ كما في الطبري ـ ولم أجده فيه .

٢ ـ لَيْتَ الغُرابَ رمى حَماطَةَ قَلْبِهِ
عَمْرٌو بِأَسْهُمِهِ التي لَمْ تُلْغَبِ

[٢]

وقـــال * :

(٢) حماطة القلب : سواده . لم تُلْغَبْ : بالبناء للمجهول . يقال : « ألغب السهم » أي جعل ريشه لُغاباً ، والسهم اللغاب بضم اللام : الفاسد ، والبيت في اللسان ٢ : ٢٣٩ و ٩ : ١٤٦ غير منسوب .

الألفاظ : الرجوان : مثنى الرجا . ناحية كل شيء . ويقصـــد جدران السجن .

المعنى : يتحسر على أيام حريته ، يوم كان كالجواد يسبق الخيل في حلبات الرهان ، فأصبح مقيداً أسيراً تتقاذفه جدران السجن ولكنه ليس أول أسير تثقله الكبول .

(*) في المعاني الكبير : ٥٩٤ ، وقال الشاعر « وهو وبرة : لص معروف » واللسان « حمض » وقال : فأما ماأنشده ابن الأعرابي من قول وبرة وهو لص معروف ، يصف قوماً ، وأورد البيت ...

١ ـ على رُؤُوسِهِمُ حُمَّاضُ مَحْنِيَةٍ
وفي صُدورِهِمُ جَمْرُ الغَضا يَقِدُ

[١٣]

سارِيَةُ بنُ زُنَيْمٍ الدُّؤَلِيُّ (*)

أخباره وأشعاره

حياته : سارية بن زنيم بن عبد الله بن جابر **الدؤلي** في كنانة ...

ذكر الواقدي وسيف بن عمر أنه كان خليعاً في الجاهلية أي لصاً

١ ـ قال ابن قتيبة : ذكر مشايخ يشهدون ، ورؤوسهم مخضوبة بالحناء . فشبهها بالحماض ، وهو أحمر ، وله ثمر أشكل إلى الحمرة .

وفي اللسان (بعد أن أورد البيت) : فمعنى ذلك أن رؤوسهم كالحماض في حمرة شعورهم ، وأن لحاهم مخضوبة كجمر الغضا ، وجعلها في صدورهم لعظمها ، حتى كأنها تضرب إلى صدورهم . وعندي أنه إنما عنى قول العرب في الأعداء : صهب السبال ، وإنما كنى عن الأعداء بذلك ، لأن الروم أعداء العرب ، وهم كذلك ، فوصف به الأعداء . وإن لم يكونوا روماً . الأزهري : الحُمّاض : بقلة برية تنبت أيام الربيع في مسايل الماء ، ولها ثمرة حمراء .

كثير الغارة ، وأنه كان يسبق الفرس عدواً على رجليه ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، وقال العسكري روى عن النبي ﷺ ولم يلقه ، وذكره ابن حيان في التابعين ، وفي ترجمة أسيد بن أبي إياس بن زنيم مايشعر بأن له صحبة ، وقال ابن عساكر : له صحبة .

وذكره الطبري في تاريخه ثلاث مرات : أولاها أن عمر بن الخطاب دفع لواء فسا ودرابجَرْدَ إلى سارية بن زنيم عند فتح فارس ، وثانيتها أن سارية خرج مع أهل البصرة الذين وجهوا إلى فارس أمراء على فارس ، وذكره المرة الثالثة في إسهاب في فتح فسا ودرابجرْدَ . قال الطبري :

وقصد سارية بن زنيم فسا ودابجَرْدَ ، حتى انتهى إلى عسكرهم ، فنزل عليهم وحاصرهم ماشاء الله ، ثم إنهم استمدوا ، فتجمعوا وتجمعت إليهم أكراد فارس . فدهم المسلمين أمر عظيم ، وجمع كثير ، فرأى عمر في تلك الليلة فيما يرى النائم معركتهم وعدوهم في ساعة من النهار ، فنادى من الغد : الصلاة جامعة ! حتى إذا كان في الساعة التي رأى فيها مارأى خرج إليهم ، وكان أريَتهُمْ ، والمسلمون بصحراء ، إن أقاموا فيها أحيط بهم ، وإن أرزوا(١) إلى جبل من خلفهم لم يؤتوا إلا من وجه واحد . ثم قام فقال :

(*) مصادر الترجمة والشعر : الطبري ٤ : ٩٤ و ١٧٤ و ١٧٨ — ١٧٩ الإصابة : الترجمة ٣٠٣٤ وذكر في ترجمة أسيد بن أبي إياس بن زنيم ، وفي ترجمة ذباب بن فاتك والحماسة الشجرية ٢٤٤ ، وفي المصادر التي أشارت إليها الإصابة في ترجمته .

(١) أرزوا : انحازوا ولجؤوا .

يأيها الناس ! إني رأيت هذين الجمعين ـ وأخبر بحالها ـ ثم قال : ياسارية الجبلَ ، الجبلَ ! ثم أقبل عليهم وقال : إن لله جنوداً ، ولعل بعضها أن يبلغهم . ولما كانت تلك الساعة من ذلك اليوم أجمع سارية والمسلمون على الإسناد إلى الجبل ، ففعلوا وقاتلوا القوم من وجه واحد ، فهزمهم الله لهم ، وكتبوا بذلك إلى عمر واستيلائهم على البلد ودعاء أهله وتسكينهم .

ثم ذكر الخبر في رواية أخرى قال :

كان عمر قد بعث سارية بن زنيم الدئلي إلى فسا ودرابجرد فحاصرهم ثم إنهم تداعوا فأصحروا له ، وكثروه فأتوه من كل جانب ، فقال عمر ، وهو يخطب في يوم جمعة : ياسارية بن زنيم ، الجبلَ الجبلَ ! ولما كان ذلك اليوم وإلى جنب المسلمين جبل ، إن لجؤوا إليه لم يؤتوا إلا من وجه واحد ، فلجؤوا إلى الجبل ، ثم قاتلوهم فهزموهم ، فأصاب مغانمهم ، وأصاب في المغانم سفطاً فيه جوهر ، فاستوهبه المسلمين لعمر ، فوهبوه له ، فبعث به مع رجل وبالفتح .

وكان الرسل والوفد يُجازون وتقضى لهم حوائجهم . فقال له سارية : استقرض ما تبلغُ به وما تُخَلِّفه لأهلك على جائزتك . فقدم الرجل البصرةَ ، ففعل ، ثم خرج فقدم على عمر ... ويمضي الطبري في روايته عن غضب عمر حين أخبره بقصة السفط ويرد الرجل محروماً ثم يقول :

وقد كان سأله أهل المدينة عن سارية ، وعن الفتح ، وهل سمعوا شيئاً يوم الوقعة فقال : نعم سمعنا : « ياسارية ، الجبل » وقد كدنا نهلك ، فلجأنا إليه ففتح الله علينا ...

وفي الاصابة روايات كثيرة تتحدث عن الموضوع نفسه ، وجاء في

آخرها ، وقال خليفة : افتتح سارية أصبهان صلحاً وعنوة فيما يقال .

وتوفي سارية سنة ٣٠ هـ .

رحم الله سارية ورضي عنه ، لقد كان من الفئة التي صاغها الاسلام صياغة إنسانية مثالية جديدة ، فاستبدلت بالظلام النور ، وبالضلالة الهدى .

[١]

شعره :

قال سارية بن زنيم الدؤلي يعنف المشركين ويحرضهم على علي عليه السلام (*) .

١ - فِي كُلِّ مَجْمَعِ غَايَةٍ أَخْزَاكُمُ
جَـذَعٌ أَبَرَّ على الْمَذَاكِي الْقُـرَّحِ

٢ - لِلّهِ دَرُّكُمُ ! أَلَمَّا تَسْتَحُوا ؟
قَـدْ يَأْنَفُ الضَّيْمَ الكَرِيمُ وَيَسْتَحِي

(*) الأبيات في الحماسة الشجرية (تحقيقنا) ص ٢٤٤

١ - الجذع : الشاب . المذاكي : التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان ، والقارح هو الذي كملت أسنانه . والمعني : لقد أخزى الشاب الفتي الكهول والشيوخ .

٣ ـ أَيْنَ الكُهُولُ ؟ وأَيْنَ كُلُّ دِعامةٍ
في المُضْلِعَاتِ ؟ وأَيْنَ زَيْنُ الأَبْطَحِ ؟

[٢]

وقال معتذراً إلى النبي ﷺ وكان بلغه أنه هجاه فتوعده * :

١ ـ تَعَلَّمْ رَسُولَ اللهِ أَنَّكَ قَادِرٌ
على كُلِّ حَيٍّ مِنْ تِهامٍ ومُنْجِدِ

٢ ـ تَعَلَّمْ رَسُولَ اللهِ أَنَّكَ مُدْرِكي
وأَنَّ وَعيداً مِنْكَ كالأَخْذِ باليَدِ

٣ ـ ويروى المضلات بدل المضلعات ، والمضلعات ج مضلعة أي الأمور الثقيلة أو القوية الشديدة . ودعامة القوم : سيدهم .

(*) وردت الأبيات في الاصابة في ترجمة سارية بن زنيم رقم ٣٠٣٤ وقال : وقد تقدم في ترجمة أسيد بن أبي إياس أن هذه الأبيات له ، والله أعلم . وتقدم أيضاً بعض هذه الأبيات في ترجمة أنس بن زنيم ... وجزم عمر بن شبة بأن البيت ١١ لأنس .

١ ـ تعلم : بمعنى اعلم .

٢ ـ في الاصابة : بالأخذ باليد .

٣ ـ تَعَلَّمْ بأَنْ الرَّكْبَ إلا عُوَيْمِراً
هُمُ الكاذبونَ المُخْلفو كُلِّ مَوْعِدِ

٤ ـ وَنُبِّي رَسُولُ اللهِ أَنِّيَ هَجَوْتُهُ
فَلا رَفَعَتْ سَوْطي إليَّ إذَنْ يَدي

٥ ـ سِوى أَنَّني قَدْ قُلْتُ وَيْلُ اْمِّ فِتْيَةٍ
أُصيبوا بِنَحْسٍ لا يُطاقُ وأَسْعُدِ

٦ ـ أَصابَهُمُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِدِمَائِهِمْ
كِفاءً فَعَزَّتْ عَوْلَتي وتَجَلُّدي

٧ ـ ذؤيبٌ وكُلْثُومٌ وسُلْمى تَتابعوا
أُولئكَ إنْ لا تَدْمَعِ العَيْنُ أَكْمَدِ

٨ ـ على أَنَّ سُلْمى ليسَ فيها كَمِثْلِهِ
وأُخْوَتِهِ ، وهَلْ مُلوكٌ كَأَعْبُدِ ؟

---

٤ ـ الشطر الثاني مثل الشطر الثاني في بيت النابغة « الديوان ٢٠ » :

ما إن نديت بشيء أنت تكرهه إذاً فلا رفعت سوطي إلى يدي

والظاهر أن هذا المعنى مثل متداول .

٦ ـ في الإصابة : كفؤا ، وهو تصحيف .

٩ ـ وإنِّيَ لا عِرْضاً خَرَقْتُ ولا دَماً
هَرَقْتُ فَذَكِّرْ عَالِمَ الحَقِّ واقْصُدِ

١٠ ـ أأَنْتَ الذي تَهْدِي مَعَدّاً لدِينها ؟
بل اللهُ يَهْدِيها وقالَ لك : اشْهَدِ

١١ ـ فما حَمَلَتْ مِنْ ناقةٍ فوقَ رَحْلِها
أَبَرَّ وأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدِ

عبد المعين الملوحي

* * *

ـ للبحث صلة ـ

١١ـ ورد في الإصابة : قال المرزباني : أصدق بيت قالته العرب هذا البيت.

ملاحظة : نلاحظ خلو أشعار زنيم من ذكر اللصوصية ، ولعل هذه الأشعار قد أصابها النسيان أو التناسي .

التعريف والنقد

الاسـلام

أهـدافه وحقـائقه

تأليف الدكتور سيد حسين نصر

بيروت سنة ١٩٧٤ م - الدار المتحدة للنشر . ص ١٦٦ من القطع المتوسط

الدكتور عدنان الخطيب

تمهيـد

إن الإسلام الذي وحّد بين العرب والفرس ، ربطها بوشائج متينة لن تستطيع أي خلافات سياسية أو غير سياسية فصم عراها .

وغدت العلاقات الثقافية بين هاتين الأمتين مع تاريخهما الطويل المشترك متشابكة ، أريدَ دعمها في هذه الأيام بإنشاء مكاتب ثقافية ملحقة بالبعثات السياسية ، ومن أول ثمرات إنشائها تبادل المعلومات التي تفيد في خدمة التراث العربي والإسلامي والعمل على تحقيقه ونشره .

هـدية

أهدى إلينـا الدكتور محمد جواد مشكور المستشـار الثقافي الإيراني

بدمشق ، نسخة من كتـــاب « **الإسلام : أهدافه وحقائقه** » تأليف **الدكتور سيد حسين نصر** ، أستاذ تاريخ العلوم والفلسفة بجامعة طهران .

هممت بقراءة الكتاب أكثر من مرة دون أن أوفق إلى تجاوز بضع صفحات منه ، وظل الكتاب أمداً ، **أظنه بلغ عديداً من الشهور** ، على مكتبي يعوزني التصميم على قراءته ، وما كان افتقادي لهذا التصميم – على مايبدو لي – إلا لعجز عن تصور ما يمكن أن أفيد من كتاب عن حقائق الإسلام وأهدافه صنعه **أحد خريجي جامعة هارفرد** ، وهو الذي عاد إلى مسقط رأسه في طهران ليتولى في جامعتها تدريس **الفلسفة وتاريخ العلوم** ، وما كاد يلمع نجمه حتى استزارته الجامعة التي تخرج منها ليحاضر فيها ، فلما قام **زعيم الطائفة الاسماعيلية** الآغا خان بالتبرع لانشاء كرسي للدراسات الإسلامية في **جامعة بيروت الامريكية** ، اختير ليكون أول أستاذ يشغله ، ثم يكون الكتاب الهدية أول الثمرات .

وجاء رمضان فصممت على أن يكون كتاب سيد نصر ضمن الكتب التي فرضتها ، وحدثت مفاجأة أذهلتني ، إذ ما كدت أتخطى بضع عشرة صفحة حتى شدتني إلى الكتاب **آصرة من إعجاب وتقدير** حملتني على أن أركض وراء المؤلف لأدركه فأستريح ، ولما انتهى الكتاب وددت لو لم ينتهِ .

المؤلف يقدم كتابه

يذكر المؤلف أن محاضراته في الجامعة الأمريكية في سنة ١٩٦٤ -

١٩٦٥ الدراسية بلغت خمس عشرة محاضرة عنوانها العام « **الإسلام في أبعاده** » ثم اختار للست الأولى منها عنوان « الإسلام ـ أهدافه وحقائقه » ودفعها للنشر باللغة الغربية .

قدم المؤلف لكتابه محدداً الغاية التي يعتقد أن الآغا خان أقام من أجلها **دائرة للدراسات الإسلامية** في الجامعة الأمريكية ، ذاكراً أنها : « التعريف بالإسلام وبكنوزه الفكرية بلغة من لغات العصر ، بأمانة وإخلاص ، ملتزمة بالسلفية الصالحة » ثم أردف المؤلف قوله هذا بالاعتقاد بأنه : « ينبغي لهذه الدائرة ، إتماماً لرسالتها ، أن تبدأ **حواراً مع سائر الأديان** ، ولاسيما مع المسيحية في لبنان ، حيث يتوافر للديانتين مناخ فكري صالح للحوار ، كما أنه ينبغي للدائرة أن تشرع في دراسة الطوائف والمذاهب الإسلامية المختلفة الممثلة تمثيلاً حسناً في لبنان حيث تأسست هذه الدائرة » .

وإذا كانت الحاجة ملحة – على حد قول المؤلف – لإظهار فضائل الإسلام وإعلانها ، ولاسيما النواحي الروحية والفكرية منه ، بلغة يفهمها الجيل الذي تربى تربية غربية حديثة ، فإن القيام بالرد **على دراسات المستشرقين وأباطيلهم والشبهات التي يثيرونها في دراساتهم** أو يسربونها إلى مؤلفات تلامذتهم ، يعتبر من أهم الخدمات التي يجب أن تجند لها الكفايات العلمية الحديثة لإظهار حقائق الإسلام الخالدة كما تضمنها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف .

قسم المؤلف كتابه إلى ستة فصول جاعلاً موضوعاتها تندرج تحت العناوين التالية :

١ – الإسلام دين الفطرة وخاتم الأديان .

٢ ـ القرآن الكريم كلمة الله ومصدر المعرفة ودليل العمل .

٣ ـ الحديث الشريف ـ محمد خاتم النبيين .

٤ ـ شرعة الله .

٥ ـ الطريقة وأصولها في القرآن الكريم .

٦ ـ السنة والشيعة ـ الشيعة الاثناعشرية والإسماعيلية .

حـــوار وردود

يمهد المؤلف للحوار بين الأديان المختلفة ببحث عـــن العلاقة بين الإنسان والله عز وجل ، أو بتعبير فلسفي بين النسـبي والمطلق ، وهو يوازن بين تعاليم الإسلام في هذا الموضوع وبين تعاليم غيره من الأديان ، مبيناً **رجاحة الأولى وإشراقها** ، ثم يرد على دعوات يقوم بها أحيـــاناً مغرضون أو مرضى ، يتسترون بفكرة **توحيد الأديان** ، وقد أدى الأمر ببعض هؤلاء إلى تلفيق عقائد لا تمت إلى أحد الأديان بصلة . وفي هذا يقول المؤلف : « ليس هناك أسخف ولا أخبث من محاولة إنسان خلق عقيدة توفق بين مختلف الأديان بداعي الكلية أو الشمولية ، لأنه في الواقع **لايعمل إلا على تقويض الأديان الموحى بها** والتي من شأنها وحـدها أن تمكن المرء من ربط النسبي بالمطلق أي ربط الإنسان بالله .. » .

ومن خلال الموازنة بين الأديان السماوية الثلاثة ـ كما يمارسها المؤمنون ـ توصل المؤلف إلى نتيجة أكد بها أن المرء يستطيع : « أن يقول عن اليهودية : إنها في جوهرها ترتكز على **خوف الله** ، والمسيحية على **محبة الله** ، وأما الإسلام فيرتكز على **معرفة الله** ... » .

ويستمر المؤلف في موازنته ، فإذا تحدث عن الأنبياء وطبيعة رسالة كل منهم ، بحسب عقيدة أتباعهم ، وصل إلى النتيجة التالية : « .. في المسيحية

نجد التوكيد على شخص المسيح بصفته **مركز الثقل**، فكان من الطبيعي أن يسمى الدين الذي جاء به المسيح «**الدين المسيحي**» ولكن الأمر يختلف عن هذا في الإسلام، **ومن الخطأ الفاضح أن يسمّى المسلمون محمديين** على الرغم من أن هذه التسمية «محمديين» شاعت زمناً طويلاً في اللغات الغربية، بحيث أصبح من العسير محو هذا الخطأ محواً تاماً».

يسهب المؤلف في تبيان كيف أن الإسلام ليس كمثله دين في مدى تنزيه الخالق جلّ وعلا **وتوكيده على رفض مختلف صور الشرك بالله عز وجلّ**، ثم يوضح كيف أن التوحيد الذي أعلنه الإسلام في شهادة «**لا إله إلا الله**» لايقتصر على الإيمان بخالق واحد لاشريك له فحسب، بل هو توحيد تنعكس آثاره على المجتمع البشري بأسره، فالإسلام يدعو إلى مجتمع مرصوص الصفوف في إعلاء كلمة الحق، كما تنعكس آثاره على السياسة، لأن الإسلام يرفض أي حالة سياسة لاتحقق **وحدة الأمة الإسلامية الشاملة**، وتنعكس آثاره أيضاً على جميع حقول المعرفة والعلم وحتى على مختلف الفنون.

ويقف المؤلف ليدفع عن الإسلام فرية أعدائه بوسمه بأنه «**دين السيف**» بالموازنة بينه وبين غيره من الأديان مستعرضاً الحروب التي اندلعت نيرانها باسم الدين والتي عرفتها كل الأمم تقريباً وذاقت مرارتها أكثر شعوب الأرض، ثم ينتهي إلى القول: «.. لنأخذ مثلاً **بلاد الأندلس وبلاد الأناضول** التي تعاقب على حكم كل منها مسلمون ونصارى في الوقت نفسه تقريباً، أما في الأندلس فقد طرد جميع المسلمين منها أو قتلوا، **وليس فيها اليوم مسلمون**، بينا لاتزال تركية حتى يومنا هذا، **مقر الكنيسة الأرثوذكسية**».

الحديث النبوي وسيرة الرسول: وفّى المؤلف البحث عن «الحديث النبوي»

المصدر الأول في الشريعة الإسلامية بعـد القرآن الكريم لدى أهل السنة والشيعة على حد سواء ، **وإن اختلفت بينها مراتب رجاله وقواعد صحته .**
وعرض المؤلف لادعاءات المستشرقين ومن والاهم راداً بالحجة الدامغة مفترياتهم مفنداً أباطيلهم ودسائسهم مبيناً أن القرآن الكريم لايتمه ويفسره إلا الحديث النبوي الشريف قائلاً إنه يُعتبر : « بعد القرآن الكريم ، أعزّ **ما لدى المجتمع** الإسلامي من مصادر الحكمة في هداية الناس وإرشادهم ، وهذه المصادر الثلاثة : القرآن والأحاديث والسنة هي **أسس الحياة الإسلامية وغذاء الفكر الإسلامي** » ويردف كلامه هذا بقوله « هذا الجانب الخطير من الإسلام كان هدفاً لنقد لاذع في الآونة الأخيرة من قبل **جماعة من المستشرقين الغربيين** الذين ينعمون بالشهرة والنفوذ الأدبي وليس من مهاجمة أشد كفراً وأقبح غدراً ، يتعرض لها الإسلام ، كالهجوم الذي يستهدف تقويض أركانه ، إن مثل هذه الحملات الكتابية **لأشد خطراً على الإسلام من الحملات العسكرية . . . »** .

ثم يتولى المؤلف الرد على من كتب عن الإسـلام معرّضاً ببعض جوانب سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام مبيناً ما فات هؤلاء من سجاياه وشمائله قائلاً : « إننا لسنا هنا في معرض الدفاع عن سيرة النبي ، ولكن نرى لزاماً علينا أن نوضح هذه الأمور ، لأن الاتهامات الباطلة بل الخبيثة الحاقدة ، التي توجه إلى النبي مؤسس الدعوة الإسـلامية ، والتي تتردد كثيراً في الدراسات المعاصرة عن الإسلام ، من شأنها أن تجعل فهم الإسلام على حقيقته أمراً محالاً لدى أولئك **الذين يعتمدون هذه الدراسات ويأخذون بها »** .

ومن لطائف الموازنات التي يوردها المؤلف ، أنه عندما أكد على أن النبي عليه الصلاة والسـلام كان أميّـاً لا يقرأ ولا يكتب قال عن سرّ

أميته : « .. والسبب الذي يجعل من النبي ﷺ أميّاً هو السبب ذاته الذي يجعل من **مريم العذراء بتولاً** » .

قدسية اللغة العربية : يرى المؤلف أن الإسلام أسبغ على العربية قدسية امتازت بها على سائر اللغات « **لكونها جزءاً لايتجزأ من القرآن** » ولأنها من مستلزمات عدد من الشعائر الدينية ، ثم يرد على الذين لايؤمنون بقدسيتها من غربيين مسيحيين أو عرب يوالونهم ويقول : « يصعب على الغربيين أن يفهموا مدى أهمية اللغة المقدسة والدور الروحي الذي تقوم به في بعض الديانات ، لأنه **ليس للمسيحية لغة مقدسة** » ويخص من يجحد قدسية العربية من أبنائها بقوله : « **هؤلاء العرب المحدثون يخلطون بين دور العربية كلغة مقدسة دينية في الإسلام وبين دورها المفترض كلغة عرقية وقومية !** » .

إعجاز القرآن وبركته : القرآن الكريم معجز لأنه كلام الله عز وجل ، ومن أدلة المؤلف على هذا الإعجاز : « أنه نزل بلغة تستطيع اليوم وبعد انقضاء نحو أربعة عشر قرناً على نزوله **تحريك نفوس الناس كما حركتها عند بدء نزوله** » .

وللقرآن الكريم ، كما يرى المؤلف ، ميزة خاصة « **يصعب الكلام عنها بلغة الناس** ، وللمرء أن يعتبرها سحراً سماوياً » وهو يطلق عليها تعبير **بركة القرآن** ، البركة التي يعتقد بها المسلمون ويتوارثونها جيلاً عن جيل ، أما المسيحي فيصعب عليه تفهم سرّ هذه البركة ، كما يصعب على المسلم أن يتفهم سرّ احترام المسيحي للصليب ، أو معنى تعليقه إياه في عنقه تبركاً ، أو رسم علامته إذا مادهمه خطب أو نزلت به مصيبة !

المرأة في الإسلام : لم يترك المؤلف موضوعاً يثيره الحاقدون على

الإسلام أو يسلطون الأنوار عليه ، إلا وعرض له مبيناً حقيقة حكم الإسلام فيه وهدفه منه ، فبحث في الجهاد وغاياته ، وفي حكمة تعدد الزوجات وشروطه ، أما قضية مساواة المرأة بالرجل ، أشغولة الأمم المتحدة في عام ١٩٧٥ ، فكانت محل دراسة انتهى المؤلف فيها إلى القول بأن هذه المشكلة غير موجودة في الإسلام أصلاً : « وأن الجدل الدائر حولها لايختلف عن الجدل الذي يدور حول المفاضلة بين الورد والياسمين ، ولكل منهما جماله وعطره ولونه وشكله » ثم تابع بحثه وقال :

« **إن الإسلام لايرى أن دور كل منهما هو منافسة الآخر ، بل يرى أن دور الواحد منهما متمم للآخر** . فلكل منهما حقوق وواجبات تفرضها عليه أو عليها طبيعة بنيته الجسدية » .

التصوف والباطنية : ركز المؤلف اهتمامه كثيراً بما أسماه الجانب الروحي أو الباطني في الإسلام تحت اسم « **الطريقة** » ، وكان تركيزه هذا بسبب العناية الفائقة التي أولاها جميع الذين كتبوا عن الإسلام من المستشرقين بهذا الموضوع من جهة ، وباعتبار التصوف — كما يرى المؤلف — عاملاً يوحد بين الشيعة وأهل السنة من جهة ثانية .

ثم وقف المؤلف للمستشرقين الذين كتبوا عن التصوف في الإسلام تحدوهم الرغبة في تشويه صورته الحقيقية ، وأخذ يفند أقوالهم ويرد عليها مبيناً « أن وراء حججهم كلها تقريباً — يقوم — افتراض مسبق بأن الإسلام **دين غير سماوي** ، وعليه فلا يمكن أن يكون له جانب روحي أصيل » .

وأفاض المؤلف في بيان عقيدة من يرى أن للقرآن الكريم معاني باطنية وأنه « يتضمن معاني على جميع المستويات ولمختلف طبقات المؤمنين »

ثم شرح كيف تجد نفس كل مؤمن في ثنايا القرآن الكريم سلاماً ورضى لايمكن أن تجدهما في هذا العالم المادي ، غير أنه اشترط لقبول صحة هذه العقيدة ، أن يقوم توازن منضبط بين الظاهر والباطن ، مؤكداً على أنه : « لا سبيل إلى تحقيق التوازن الذي يشترط فيمن يسلك طريق الصوفية إلا باتباع أوامر الشرع ونواهيه » .

وجاهر المؤلف بجرأة بأنه « لايجوز لأحد أن ينبذ الظاهر الذي بين يديه باسم الباطن » ولم تفته الإشارة الصريحة إلى أن هنالك من حاول « أن يحطم التوازن لإعلاء شأن الطريقة » فانتهت به المحاولة إلى : « الانحراف عن الدين والخروج عليه » .

وأردف يقول : « إن كثيراً من الفرق الدينية المزيفة المارقة عن الدين تبدأ من أصول باطنية وتنحرف عن طبيعتها الأصلية بتحطيم إطار الشريعة الواقي ، وينتهي الأمر بها إلى أن تصبح إما فرقاً صغيرة وضررها بسيط نسبياً ، وإما فرقاً كبيرة خطرها يتوقف على التربة التي تنشأ فيها » .

وإذا كان المؤلف فيما كتبه عن حقائق الإسلام يمثل العالم المتتبع لمختلف الأقوال والمذاهب وهو يعرضها على قارئه عرضاً اتسم بكثير من الحياد والإنصاف ، فإن ما كتبه عن التصوف والمتصوفة يبدو متألقاً بمسحة من المعاناة الشخصية ، وقارئه يشعر خلال أسطر الكتاب بومضات روحانية تنم عن نفس شفافة وعن حس مرهف وإيمان عميق الجذور .

أهل السنة والشيعة : يعرض المؤلف أهم المبادىء العامة في الإسلام واصفاً إياها بأنها « النواحي الأساسية التي ترتكز عليها العقيدة الإسلامية

القوية التي تأخذ بها الفرق الإسلامية الكبرى » ولقد ابتعد في عرضه عن أي تعليق أو شرح لوجهات النظر الحساسة بين مختلف الفرق ، لأنها - باعتقاده - قائمة « **بقضاء وقدر من الله سبحانه وتعالى** » .

غير أن المؤلف ركز بشيء من التفصيل على المذهب الشيعي ومعتقداته باعتبار « أن جمهور الناس خارج العـــالم الإسلامي **يعرفون عن السنة أكثر مما يعرفون عن الشيعة** ، ولاسـيما في الغرب الذي كانت علاقاته ولا تزال أوثق مع السنة » .

وعلى شيء كبير من الثقة أكد المؤلف أن « **السنة والشيعة يؤلفان جزءاً واحداً لايتجزأ عن الإسلام الصحيح** الذي نشأ منذ البدء إسلاماً واحداً . والشيعة ليست طائفة خارجة عن الإســـلام الصحيح ، كما أنها ليست طائفة مستقلة مع أن في العالم الشيعي فئات خرجت عن الإسلام الصحيح ، وهذه تعتبر طوائف مستقلة » . وبذل المؤلف جهداً واضحاً في نفيه أن يكون الاختلاف في تطبيق بعض أحكام الدين أو في ممارسة بعض شعائره بين أهل السنة والشيعة ، يناقض **وحدة الإسلام** ، وهو يجزم بأن « **السنة والشيعة بعدان من أبعاد الإسلام** ، لم يوجدا لتقويض وحدته ، بل ليمكننا قسماً أكبر من البشرية من مختلف الملل والنحل من دخول الإسلام والتنعم بعطياته » . كما أنه يعتقد بأن شهادة « **أن لا إله إلا الله** » التي يرددها كل مسـلم ، سواء أكان سنياً أم شيعياً ، بإحســاس روحاني متماثل ، تؤكد وحدة العقيدة ، وأن الاختلاف بين الطائفتين لايعدو أن يجعل كل واحدة منها وجهاً متكاملاً لعقيدة واحدة وكأنه يقول بأنها **وجهان مختلفان لحقيقة واحدة** كوجهي الدينار .

ملاحظات وآراء في بعض جوانب الكتاب

محاضرات المؤلف كانت ولاشك بلغة أجنبية ، ثم اختار العربية لينشر بها الست الأولى ، وكأنه شعر وهو يصوغ هذه المحاضرات بالعربية بأن دقة الموضوع **والهدف منه لم يسعفا أسلوبه ليكون عربياً مبيناً** ، فتقدم من قارئه باعتذار يبين فيه أن تصنيف الكتاب كان بغير العربية لأنه « موجه إلى تلك الطبقة من المثقفين الذين يألفون طريقة التفكير المنطقية الجديدة المعروفة بالديالكتيكية (الجدلية) . وفضلاً عن هذا فقد حاولتُ – يقول المؤلف – رد كثير من التهم الباطلة التي تتضمنها المصنفات الغربية والـــتي يلصقها مؤلفوها بالإسلام ، ولا سيما تلك التي تتناول عناصر الإسلام الجوهرية كالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، ولذا قد يظهر أسلوب البحث **وكأنه مشوب بصبغة غربية** ، أو كأنه أسلوب قد تأثر بما قد كتب عن الإسلام بلغات أوروبية ، بحيث تظهر بعض الأبحاث فيه ترداداً أو حشواً بالنسبة للقارىء الذي لاعهد له بتلك المؤلفات » . وهذا الاعتذار يدفع بأي نقد يوجه إلى أسلوب الكتاب أو لغته إلى تجاوز حدود الإنصاف .

وإذا كنا نختلف مع المؤلف الفاضل في بعض الآراء التي أوردها ، أو الوقائع التي اعتبرها من المسلمات ، لاسيما في البحث الذي اطلق عليه تعبير **الجانب الباطني للإسلام** ، فإن اختلاف الرأي لايحجب عن الكتاب التقدير الذي يستحقه **ولاينتقص من إعجابنا بالمؤلف** الواسع الثقافة وبروحه الإسلامية القوية .

وسنجتزىء من ملاحظاتنا على الكتاب بالنماذج التالية ، تحدونا إليها

الغيرة أو الأمانة اللتان أبدى المؤلف أشد حرصه على توافرهما في كتابه .

أولاً : تسربت إلى لغة الكتاب عن طريق اللغة الأجنبية التي كتب بها بدءاً ، ألفاظ كان يحسن استبعادها كوصف الرسـول الأعظم ﷺ أحياناً بأنه (مؤسس الدعوة الإسلامية) ولو استبدلت بلفظة مؤسس كلمة (**صاحب**) لـكان خيراً .

ثانياً : في مجال التفريق بين التشريـع الإلهي والقانون الوضعي ، أورد المؤلف لفظة « قانون » وبحث في أصلها ومعناها الاصطلاحي ، مشيراً إلى اختلاف النظرة الإسلامية عن النظرة المسيحية إلى مفهوم التشريع ذاكراً أن لفظة : « قانون اقتبستها الديانتان معاً » عن اليونانية ، مما يخيل معه إلى القارىء العربي أن هذه اللفظة غدت اليوم مصطلحاً إسلامياً ، والحقيقة هي **أن العلمــــاء المحدثين هم الذين أطلقوا اللفظة المعربة على التشريعات الوضعية وابقوا لفظتي (شرع وشريعة) للدلالة على الأحـكام الإلهية والدينية** ، أما كلمة (قانون) فهي لا تعني فقهـــاء الشريعة بكثير أو قليل . وكان من حق القارىء العربي أن يقي المؤلف على هــــذا التفريق بين الكلمتين في نسخته العربية مشيراً إلى صعـوبة التفريق بينهما باللغة الأجنبية ، إلا إذا استخدمت لفظة « شريعة » ودونت بالحـــروف اللاتينية لتدل على القانون الإلهي الإسلامي كما يفعل بعض المستشرقين .

ثالثاً : وردت في الكتاب أحاديث نبوية كثيرة ، إلا أن المؤلف أهمل مع الأسف ، الإشـارة إلى **المصدر الذي نقل الحديث عنه** ، ولو وثق كل حديث بمصدره ، لـكانت الدقة العلمية أكثر توافراً ، ولاسيما وأنه ذكر أحاديث اختلفت صياغتها عن الشـائع المعروف ، كما أنه أورد بعض الأحاديث بمعناها دون الحفاظ على النص المأثور .

رابعاً : حاول المؤلف جهده إنصاف بني أمية فاعترف لهم بالحنكة السياسية وبالعبقرية في الحكم والإدارة والحفاظ على تماسك دولتهم ، غير أن قلمه نبا عندما وصف حكمهم بأنه (**كان حكماً علمانياً لا يستند إلى الدين**) وفي هذا الوصف بعض التناقض مع فكرة المؤلف نفسه التي أكدها أكثر من مرة ومفادها أن العربية تخلو من لفظتي (زمني وعلماني) وشرح سبب ذلك ، إضافة إلى أن شيئاً من الغلو قد توحيه كلمة (علماني) للدلالة على (**المُلْك العضوض**) كما ورد في الأثر .

خامساً : عندما تعرض المؤلف لرأي جمهرة المستشرقين في أن الخلاف بين أهل السنة والشيعة **كان خلافاً سياسياً** ، أكد بأن هذا الرأي صحيح إلى حدٍّ ما ، غير أنه استدرك شارحاً بأن الخلاف في حقيقته كان سياسياً بالنسبة لخلافة الرسول عليه السلام ، كما أنه **كان خلافاً فقهياً بالنسبة لمدى السلطة الدينية** .

وأردف يقول : « يمكن القول بأن المذهبين نشآ كائنين مستقلين فور أن أتم النبي رسالته على الأرض ، وذلك لأن الخلاف بين الفريقين بدأ منذ اللحظة التي قبض الله تعالى إليه نبيه ، **حين ذهبت فئة قليلة إلى أن الخلافة ينبغي أن تبقى في آل البيت** ... » وفي رأيي أن عبارة المؤلف هذه تحمل بصياغتها أكثر مما تحمله الأخبار الصحيحة عن أسباب تخلف بعض الصحابة رضي الله عنهم عن المسارعة إلى بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

سادساً : والملاحظة الأخيرة تتعلق ببحث المؤلف الذي أبان فيه أهمية الصلاة التي شرعها الإسلام والحكمة المقصودة من فرض صلاة الجمعة

في رأي بعض المذاهب ، وكم وددت وأنا أقرأ هذا البحث الممتع لو أن المؤلف عرض إلى **حكمة صلاة الجماعة** التي حثت عليها عدة أحاديث نبوية وتحرص عليها جماعات عديدة من المؤمنين .

هذه ملاحظات قارىء معجب لا تخل بقيمة الكتاب الممتع ، ولا بفضل مؤلفه ونبيل غاياته وعظيم دفاعه عن الإسلام برد الشبهات عنه ودفع أباطيل أعدائه والحاقدين عليه . **فله منا خالص التقدير** ، ولمن أهدانا الكتاب جزيل الشكر على صنيعه .

عدنان الخطيب

نظام الحكم في الشريعة والتاريخ

تأليف الأستاذ ظافر القاسمي

الجزء الأول : بيروت (دار النفائس) الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

الدكتور شكري فيصل

هذا الكتاب يبدو حديث عهد بالصدور ، ولكن من المؤكد أن صاحبه عانى قضاياه ومسائله التي توزعت أبوابه وفصوله معاناة طويلة ، وقد تكون معاناة قاسية في بعض الأحيـــان .. وذلك منذ أخذ يدرس مادة الثقافة الإسلامية في الجامعة اللبنانية في بيروت . ومامن شك في أن صلته بهذه الموضوعات ترتد" إلى وراء ، إلى بعيد منذ كان يستمع إلى والده العلامة الشيخ جمال الدين القاسمي ، ومنذ كان يغشى بعض الحلقات والمساجد يصحب أهله أو يصحبه أهله .. ثم فيما كان بعد ذلك من دراسته للحقوق ومرافعاته في القضـاء وعمله في فروع الثقافة العربية من خلال « مكتب النشر العربي » الذي أقـامه مع صديقيه الأستاذين داود التكريتي وعصام الانجليزي ، وكأنهم كانوا يريدون أن يكون - أو هكذا تمثلت أنا الأمور - شيئاً يشبه لجنة التأليف والترجمة والنشر والذي أخرج عديداً من كتب التراث منها البخلاء للجاحظ ومنها المنقذ من الضلال للغزالي ؛ ثم صُرِف أصحـابه عن ذلك إلى مهنتهم التي شغلتهم عن متابعة النشـر والتحقيق إلى شؤون أخرى من شؤون الحياة والسياسة .

كـسر المؤلف كتابه على مقدمة وعلى تسـعة أبواب ، وطالت بعض الأبواب فتوزعت إلى عديد من الفصول ، وقد عقد الباب الأول حــول موضوع : العرب قبل الإسلام وذلك حين رأى أنه « لا بد لفهم نظـام الحكم في الشريعة الإسلامية والتاريخ الإسلامي من التمهيد ببحث قصير ، في حدود المختصر الوافي ، عن الفترة التي كانت قبيل الإسـلام والتي عرفت بالجاهلية » (ص ٧) .

وجعل الباب الثاني عن « سـياسة الإسلام » والثالث عن (هجرة الرسول) والرابع عن « حكومة الرسول » تحدث فيه عن ثلاثة أشياء عن الشؤون الداخلية وعن الشؤون الخارجية وعن الشؤون العسكرية .

أما الباب الخامس فعنوانه قواعد الحكم ، وقسمه إلى سبعة فصول الأول عن الحرية في الإسلام ، والثاني عن الشورى ، والثالث عن المساواة ، والرابع عن العدل ، والخامس عن المعارضة ، والسادس عن النقد النهائي أو محاسبة النفس .

وأما الباب السادس فقد قصره على موضوع الخلافة . ولأن موضوع الخلافة يؤلف صلب نظام الحكم فقد اضطر المؤلف أن يجعله في تسعة عشر فصلاً تناولت البيعة والعهد ، وأهل الشورى وأهل الحل والعقد ، والنظريات المختلفة حول البيعـة وما إلى ذلك . وقد شمل هذا الباب وحده نحواً من ثلث الكتاب .

وفي الباب السابع تحدث عن الوزارة وجعل ذلك في عشرة أبواب بعضها يدور مع التاريخ (الأموي والعباسيّ والأندلسيّ) وبعضها يدور على الوزارة في كتب السياسة الشرعية ، وبعضها يتوقف عند ارتباط مابين الوزراء والخلفاء والملوك .

أما الباب الثامن فموضوعه الولاية ، وهو في سبعة فصول ، وأما الباب التاسع فموضوعه الإمارة ، وهو في ثمانية فصول .

وقد اقتصرت فيما قدمت على عناوين الأبواب دون العناوين الكثيرة للفصول لأن القارىء يستطيع أن يلمح سعة آفاق الكتاب وغزارة مباحثه ودقة موضوعاتها حيناً وتشعبها حيناً آخر .. الأمر الذي يجعل الإقدام على التأليف في مثل هذه الأشياء يقتضي كثيراً من الجهد وكثيراً من البحث الدائب عبر عدد كبير من المؤلفات التي تناولت هذه الموضوعات في القديم أولاً ثم في الحديث بعد ذلك .

وفي تقديري أن البحث في مثل هذه الموضوعات الخطيرة في تاريخ الحياة العربية وفي تاريخ الفكر العربي ، وفي سير الحضارة الإسلامية بالشعوب التي صنعت هذه الحضارة ، لابدّ فيه من زاد كبير ولا بد فيه من ثقافة متنوعة عميقة حتى يستطيع الذي يخوض فيها أن يقدّم عملاً مذكوراً ذا بال .

وأحسب أن هنالك حاجة إلى هذه الأنواع الأربعة من الثقافة في معالجة نظام الحكم في الشريعة الإسلامية وفي التاريخ :

ثقافة شرعية تصل صاحبها بالعدد الكبير من كتب الفقه والتراث ، وتقدم له المادة الأولية لهذا البحث ووجهات النظر المتباينة للفرق المختلفة فيه .

وثقافة قانونية معاصرة تستطيع أن تنظر في التراث نظرة أكثر نفاذاً وعمقاً ، وقدرة على جلاء مافي التراث وحسن اكتناهه ، وتساعد على بعض الموازنات والمقارنات .

وثقافة سياسية ، أو قل حس سياسي دقيق منطلق من ممارسة السياسة

أو من تتبّع مساربها يساعد على فهم الأحداث التي كانت وراء الأنظار والمبادىء الفقهية والخلافات المذهبية .

وثقافة تاريخية تتعمق الأرضية التي نشأت منها والتي نشأت عنها الأحداث والمذاهب ونبتت منها الأنظمة والقواعد ..

هذا ونحن لانتطلب أن تجتمع أقدار متساوية من الثقافات جميعاً عند مؤلف واحد ، ولكن من المؤكد أنها اجتمعت على نحو متوازن وسليم عند الأستاذ القاسمي ، وكان اجتماعها هذا هو الذي أنبط هذا الكتاب عنده .

ولست أتحدث عن سلامة اللغة وصحة الأداء واستواء التركيب ووضوح التعبير فتلك أمور أساسية لاغنى عنها. وقد توفرت للأستاذ المؤلف على هذا النحو الواضح .

ونستطيع أن نتبين نهج الكتاب من خلال هذه المقاطع التي جاءت في مقدمة المؤلف :

(ويهمني أن أسجل في هذه الكلمة تقديري لكل من سبقني من المؤلفين العرب والأجانب في هذا الموضوع الحضاري الهام ، فقد قرأت كتبهم ، وانتفعت ببعض ماجاء فيها ، وعرفت مبلغ ماعانوا من السهر والجهد في البحث والدرس والتنسيق والتعريب .

ثم حاولت أن أضيف إلى ماصنعوا بعض مافاتهم ، سواء من حيث الموضوع أو من حيث الشكل ، وربما خالفتهم في بعض ماذهبوا إليه ، فذلك من طبيعة حرية الفكر في البحث العلمي .

ولقد حرصت على إيراد أكثر النصوص بحروفها كما وقعت عليها ، متوخياً تمرين طلابنا في الجامعات على معالجتها وتدبرها ، واكتساب الملكة الأدبية وملكة التأليف من روحها ومتنها وألفاظها ومعانيها) ..

ويتميز هذا المنهج ، من نحو خلقي ، بالوفاء ... الوفاء الذين كتبوا أو ألفوا في هذا الموضوع من قبل ، وهو خلق أضحى عند كثيرين خلقاً نادرا : فهم ينقلون الصفحات من مصادرهم ، ويتعرفون من خلال كتاب أو بحث إلى المشكلة ، ثم يتجاوزون الوقفة عند الكتاب الذي دلهم ، بله الإشارة إليه عندما يتحدثون عن المشكلة .. ولست أشير إلى ماوراء ذلك ممـــا يجترحون ، فأنا لا أتحدث عن عمليات السـطو ، ولكني أتحدث عن عمليات التأليف .

كما يتميز هذا المنهج من نحو علمي بالاستناد إلى النصوص والتعرّف إليها ، والوقوف الطويل عندها ، ثم الانطلاق منها .

وقد غبرت سنوات على عديد من أسـاتذة الجامعة في دمشق وهم يصرّون على هذا الأسلوب يأخذون به أنفسهم أولاً ، ثم يأخذون به طلابهم بعد ذلك .. ويأخذونهم بشيء من الشدة ، أوقل من الحرص حتى لايكون التعليم الجامعي تلقيناً من التلقين ، أملية تلقى ، أو كتابا يضع الأفكار والنظرات في صفحات محدودة ، ويسكت عــن العمل الجامعي الصحيح الذي يقوم بالنصوص ولايقوم إلاّبالنصوص : تمرساً بها ، ودراسة لها ، وابتداء منها ، وانتهاء اليها .

والميزة الثالثة هي محاولة المؤلف أن يضيف شيئاً على الذين تقدموه .. وقد تكون هذه الإضافة موافقة وقد تكون مخالفة ... قد تكون إنكاراً وقد تكون رّضى .. ولكنها أياً كانت فإنها يجب أن تكون مدعومة بالدليل ومايسبق الدليل من حوار ونقاش .

والحق أننا نواجه في التأليف المعاصر أسلوبين أو نمطين يسودان حركة التأليف أحدهما : هذا النوع من التأليف الذي يقارب المعنى اللغوي

للفظة .. ككلّ عمل يؤلف بين الأشياء التي يقع عليها ، يتعرف لها ويناقشها وينسقها ويبوبها .. إنه يقرأ المصادر والمراجع المختلفة المتعددة ثم يؤلف بين ماانتهى إليه من هذه المصادر ويخرجه بعد تنسيق وتبويب .

وهذا النمط من التأليف لايخرج عن أن يكون في جملته عرضاً جديداً لمعلومات سابقة ، في شيء من اختصار أو تطويل ، وفي وقفة هنا أو وقفة هناك ... فهو لا يقدّم عملاً جديداً مبدعاً ولكنه يقدم عملاً مجموعاً على نحو جديد .

وقد لايبدو مثل هذا النمط مقنعاً .. ولكن حين نعرف كيف تتشعب الأبحاث في تراثنا وكيف كانت تكتب .. فإننا مضطرون إلى تقدير مثل هذه المؤلفات على غياب الجديد المبدع منها .

والنمط الآخر هو الذي يحاول أن ينظر فيما تقدمه له المصادر نظراً خاصاً ، هو أعمق من الجمع .. إنه يمحّصه ويدققه ويفهمه فهماً جديداً ، ويقيم هذا التفاعل بينه وبين ثقافته المعاصرة ويزاوج بين المفاهيم القديمة والحديثة .

ونحن مع الأستاذ القاسمي في هذا المؤلَّف نواجه هذين النمطين من التأليف .. هو في أقل المرات يقتصر على العرض ، وهو في أكثرها يضيف إلى المادة المنسقة المبوبة رأياً يراه أو موقفاً يقفه أو مقارنة يعقدها أو مناقشة يديرها (انظر في ص ٢٢٩ رأيه في صنيع عمر (رض) حين جعل لأهل الشورى حق انتخاب الخليفة) .

وقد يكون في بعض مواقفه ، أو في بعض نقاشه ، مأخوذاً بشيء من الحماس ، إلى حين يحتاج الموقف إلى قدر أكبر من الأناة أو إلى قدر أكبر من امتحان النصوص (انظر ما وصف به معاوية (رض) في ص ٢٨٥ والنقل الذي نقله عن السيوطي في كتاب تاريخ الخلفاء) .

رأي في
كتاب القصّاص والمذكرين لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي
المتوفّى سنة ٥٩٧ ﻫ

عُني بنشره الدكتور مارلين سوارتز

نشره معهد الآداب الشرقية ببيروت سنة ١٩٧١

الدكتور قاسم السامرائي

في نهاية صيف سنة ١٩٧٢ وصلت نسخة أنيقة من كتاب القصّاص والمذكرين إلى القسم الشرقي التابع لمكتبة جامعة لايدن هدية من دار المشرق ، وقد رجاني صديقي شورد فان كوننكزفلد ـ رئيس المخطوطات العربية ـ أن أقابلها بالمخطوطة المحفوظة في المكتبة تحت رقم ٩٩٨ (٣) شرقيات ؛ وأن أكتب مقالة قصيرة عنها نيابة عن المكتبة ، لأن تحقيق الكتاب اعتمد على هذه المخطوطة الوحيدة . ولكن ظروف العمل التدريسي في الجامعة ومن ثم انشغالي بتحقيق كتاب الإنباء في تاريخ الخلفاء لابن العمراني حالا دون الكتابة آنئذ ، بيد أنني كنت أتتبع ما كان يكتب عن الكتاب في مختلف المجلات التي تُعنى بمثله فوجدت ما يأتي :

1) Bosworth, C. E. , in Journal of Semetic Studies, vol.18, no: 1, 1973, p. 178 - 181 .

2) Sellheim, Rudolf , Der Islam, 50 (2), 1973, p. 336 - 338 .

3) Boullata, Issa, J. , The Muslim World, vol. LXIII, no : 4, p. 318 - 320 .

4) Schimmel, Annemarie, Der Welt des Islam, vol . XIV, no : 1 - 4, p. 231 .

وفي كلّ هذه المقالات شيء كثير من المديح والإطراء يعطيك صورة لما يدور في حلقات المستشرقين من الشعور بـ « إذا كاتَ ميكالُ لك » . وقد قرأت الكتاب كلّه مع ترجمته إلى الانكليزية فأحسست أن هذا الأثر النفيس قد أسيء إليه في نشره بهذه الصورة أكثر مما أحسن إليه ، وأن هذا الأثر الرائع لابن الجوزي يجب أن يُعاد نشره بتحقيق أدقّ وفهم أشمل ، ولعلك تتفق معي في هذا الرأي لو ألقيت نظرة عجلى على الجدول الملحق . ومع هذا فلست أكيل اللوم لمن كتب عنه حين أبدوا إعجاباً أو كالوا مديحاً ، فإنهم لم يكونوا في وضع يستطيعون فيه مقارنة النص المطبوع مع المخطوطة ، كما استطعت ، أو لعلهم لم يفكروا بتحمل مثل هذا العبء الذي تحملته ، وإلاّ فالحصول على صورة للمخطوطة أمر يسير لو شاء أحدهم . ولا بأس أن أورد بعض أقوال من كتب عن الكتاب لنسبر مدى حديثهم عنه وعن محققه :

(١) قال الأستاذ رودلف زيلهايم ، الأستاذ بجامعـــة فرانكفورت بألمانيا الغربية :

« ... Wenn alle Dissertationen — und Swartzens Arbeit lag als solche 1967 der Harvard — Universität in einer wohl sehr viel ausführlicheren Fassung vor — über dieses Niveau verfügen, dann braucht unserer Wissenschaft für die Zukunft nicht bange zu sein » .

ومعنى قوله : ولو أن كل رسائل الدكتوراه تكون بالمستوى(الرفيع) نفسه فإن علمنا لايخشى عليه مما يأتي به المستقبل .

(٢) وقالت الأستاذة آنا ماري شمل ، الأستاذة بجامعة بون بألمانيا :

«... jetzt in einer **mustergültigen** Ausgabe ... Der Verfasser, ein Schüler George Makdisi , hat dessen kritische Methode Übernommen ... » .

ومعنى قولها : الآن خرج الكتاب في طبعة مثالية يجب أن تحتذى ، والمحقق تلميذ جورج مقدسي ، ومنه تعلم هــذه الطريقة النقدية المثلى في التحقيق .

(٣) وقال عيسى بولاطة (من مؤسسة هارفرد) الذي يبدو أنه لبناني الأصل :

« .... Dr . Swartz's edition of the Arabic text is generally careful and edcquately compared with parts of Arabic sources where possible, considering it is based on a unicum ... » .

ومعنى قوله : تحقيق الدكتور سوارتز للنص العربي يتسم عموماً بالعناية والمقابلة الدقيقة مع نصوص أخرى في المصادر العربية حسب الطاقة ، مع الأخذ بعين الاعتبار أن التحقيق اعتمد على نسخة فريدة . ثم استطرد بولاطة في حديثه : « وقد انسلت أخطاء قليلة في النص سهواً من المحقق أو الطابع » ، وأورد بعض هــذه الأخطاء التي حدثت في ثلاثة عشر موضعاً ، أغلبها حدث نتيجة خطأ المحقق في شكل بعض الكلمات ، أو سوء قراءة المخطوطة ، وقد تركتها عمداً مثل : « كالنائمة » بدلاً من « كالنائحة » و « يُشفَل » بدلاً من « يَشفَل » ، وإنما اكتفيت بإثبات ما يفيد القارىء المتتبع الذي يريد تصحيح النص الذي عنده إذا كان مهتماً بالكتاب ومقتنياً له .

(٤) وأخيراً الأستاذ بوزورث الأستاذ بجامعة مانجستر بانكلترا ، فإن عرضه للقسم المترجم من الكتاب كان شاملاً ودقيقاً ، غـــير أنه أغفل النص العربيّ إلا في موضعين ، وأدار حديثه على الترجمة وما فيها من عثرات وأخطاء ، مثل « الخلق » حيث كتبه « الحلق » وترجمه بمعنى الحلاقة وقـص الشعر ، فقال :

« ... one suspects that a thoroughgoing perusal would reveal many such lapses. The number of printing errors in the English part of the book is higher than it should be, although the difficulties of controlling the printing of a book in Lebanon from America doubtless account for many of these .. ».

ومعنى قوله : ولاشك أن مطالعة فاحصة دقيقة سوف تظهر كثيراً من مثل هـذه العثرات . إن عدد الأخطاء الطباعية في النص الإنكليزي للكتاب هو أعلى مما يجب أن يكون ، ومع هذا فإن صعوبة السيطرة من أمريكا على كتاب يطبـــع في لبنان كانت بلاشك سبباً لحدوث كثير من هـــذه الأخطاء .

هذه أقوال من كتب عن « كتاب القصاص والمذكرين » من المستشرقين ومن لف لفّهم ، وقد سبق أن أبديت رأياً في تحقيق النصوص العربية في مكان آخر حيث قلت :

« إن تحقيق نص عربي ليس أمراً سهلاً يقوم به من شاء كما يشاء ، إذ له أصوله وقواعده التي التزمها المحققون وأخذوا بها . وهناك رأيان في طريقة إخراج النص لكل منها أنصاره ، فأولها : يرى أن الاقتصار على إخراج النص مصححاً وخالياً لايفيد القارىء أو الباحث ، لذلك ينبغي توضيح النص بالهوامش والتعليقات وإثبات الاختلاف في النسخ ، والإشارة إلى

مصادر ورود العلم أو الخبر وتتبعها بشيء من التوضيح غير الممل ، وقد التزم هذه الطريقة قلة من المحققين لما تتطلبه من جهد وصبر وعناء .

وثانيها : يرى أن إخراج النص لا يحتاج إلى إثقاله بالهوامش والتعليقات ، والإشارة إلى مناجم ورود الخبر أو العلم ، وإصلاح ما طرأ على النص من غلط النسّاخ وتصحيفهم . وقد زخر عالم النشر بكثير من إنتاج أصحاب الرأي الأخير فكان كارثة على الباحثين الذين رأوا أن الرجوع إلى المخطوط الأصل خير من الاعتماد على ما أخرج بهذه الحلة السقيمة » .

وهناك رأي ثالث : يرى أن إخراج النص يجب أن يكون على الصورة نفسها التي وردت في المخطوط دون تصحيح أو تعديل ، ويحتج أصحاب هذا الرأي بقولهم : إنّ كثيراً من الألفاظ والتعابير في المخطوط قد تكون من صنع الناسخ أو من صنع المؤلف ، فهي لذلك تمثل لغة العصر الذي عاش فيه المؤلف أو الناسخ ، وهي لذلك تفيدنا في التعرف على التطوّر اللغوي والحضاري لذلك العصر ، وأكثر أصحاب هذا الرأي من اللغويين الغربيين أو ممّن تأثر بهم من العرب الذين حاولوا قياس التطور اللغوي في العربية على تطور اللغات الأوربية من اللاتينية » .

إنّ تحقيق النص ليس عملية نسخ يقوم به من شاء ؛ بل هو عملية خلق جديدة لإعادة النص للحياة على الصورة التي أرادها المؤلف نفسه ، فمن غير المقبول عقلاً أن نقبل خطأً نحوياً أو صرفياً في مخطوط صنّفه عالم باللغة ، لأن هذا الخطأ يمثل لغة عصر المصنف أو عصر الناسخ ، وتحقيق النص لا يستلزم معرفة المحقق بالعربية حسب ، بل يفترض فيه أن يكون على علم بضروب المعرفة التي يتناولها النص ، وهو إلى ذلك يتطلب صبراً وجلداً ونفساً طويلاً على معاناة النص وخاصة إذا كان النص فريداً لا ثاني

له ، وليس غريباً أن لايسلم نصٌ في الوجود أثناء تحقيقه من هنة هنا أو هفوة هناك أو إغفال للفظ أو سهو عن حرف ، حتى لو أوتي المحقق صبر أيوب ، وحلم الأحنف ، وحدة عين الزرقاء ، وإنما العجب أن يقع المحقق في خطأ يبين فيه جهله ، ويظهر تسرعه فيفقد ثقة قارئه . ومحقق كتاب القصاص والمذكرين أساء كثيراً في قراءة النص ، فتخبط في الترجمة ، ولم يسعفه أستاذه جورج مقدسي الذي لم يكن أحسن حالا في تحقيقه كتاب تحريم النظر ، ولكي أعطيك فكرة عن هذا التخبط إليك بعض هذه العثرات التي لا تقال :

(١) جاء في الورقة ٧٥ ا من المخطوطة ، صفحة ١٠١ من النص المطبوع : « ... أخبرنا ... عن محمد بن الحسن النقاش ، قال حديث عن أبي الوليد الطيالسي .. » فقد ترجمها المحقق : « .. Abû'l - Walîd at Tayâlisî said .. »

وسياق الكلام يستلزم أن تكون . . . قال : حُدِّثْتُ عن أبي الوليد الطيالسي وليس « قال .... » .

(٢) جاء في الورقة ٧٨ ا من المخطوطة ، صفحة ١٠٥ من النص المطبوع : « . . . لقد عجبت من مثل هذا المحال البارد والكذب الشنيع كيف يجري بمدينة السلام وسكت عنه ، ولو ذكر هذا في قرية لأنكروا العجب التعصب لإبليس . . . »

ففي هذا النص عثرتان :

١ ــ لأنكروا العجب ، وصوابها : لأُنكِرَ ، والعجب ـ على بناء الفعل للمجهول .

٢ ــ إنه حين ترجم « مدينة السلام » لم يفطن المحقق إلى أنها بغداد فترجمها حرفياً : « City of Peace » .

٣ – ورقة ٨٢ ا من المخطوطة ، صفحة ١١١ من النص المطبوع :

« ... وقرأ (سيفويه) يوماً : « ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه » ، فقال : هذه خلقت لبغا ووصيف ، فأما أنتم فيكفيكم شريط بدانق ونصف » . فجاءت في المطبوع : « لبغّاء ووصيف » وترجمها

« This chain was created for the seducer and the young page ..».

ومعنى ترجمته : هذه السلسلة خلقت للمستغوي وللخادم الصغير . ولاندري ماذنب الخادم الصغير ؟ وأي خادم هذا ؟ وقد فاته أن سيفويه وإن وصف بالتغفيل قد أراد بقوله هذا القائدين التركيين وصيف وبغـــا المشهورين في التاريخ العباسي .

٤ – وأنكى للقلب من كل هذا ما جاء في ورقة ٨٨ ا — ب من المخطوطة :

« ... كان رجل يصلي بنا في مسجد المدينة فطّرب ليلة فقال القاسم بن محمد : كتاب عزيز لا يأتيه البـــاطل من بين يديه ولا من خلفه ، قال **وكره ذلك قراءات على محمد** بن ناصر ... » فنقلها المحقق بهذه الصورة :

٢٦٧ – ... كان رجل يصلي ... ولا من خلفه ! قال : وكـّره ذلك قراءات عليّ .

٢٦٨ – محمد بن ناصر عن أبي القاسم ...

والصواب : ... وكره ذلك . قرأت على محمد بن ناصر ... ، وهذا الخطأ الفاضح حدث أيضاً في ترجمته :

« He thus caused me to loath that kind of Quranic recitation ... » .

ومثل هذه العثرات التي حدثت في النص العربي تبعها ســـوء في الترجمة وفوضى في المعنى ، وقد أشار كل من بوزورث وبولاطة إلى هذا الخلط العجيب في مقاليهما عن الكتاب ، فذكر بولاطة أن المحقق ترجم « مصراعي الجنة » بـ « مصراعي جهنم » وكلمة « وعيد » بـ « وعد » وذكر بوزورث وبولاطة أمثلة أخرى تضحك المحزون وتستثير الأسى وهذا شر الأمور .

يقـع النص العربي في ١٧١ صفحة بما في ذلك الفهارس ، والنص الانكليزي في ٢٦٤ صفحة مع الفهارس والمقدمة التي شغلت ٩٢ صفحة ، وقد كان النص والترجمة أطروحة قدمها المحقق سنة ١٩٦٧ إلى جامعة هارفرد لنيل شـهادة الدكتوراه حيث نالها ، وقد عالج المحقق في مقدمته حياة ابن الجوزي ، وأصالة الكتاب ونسبته لابن الجوزي ، ومكان تأليف الكتاب وطبيعة الكتاب ، والغرض من تأليفه ، والمصادر التي استقى منها ، فضمنها كتابه سواء كانت سماعاً أو من مصادر مدونة ، ثم عرج على وصف المخطوطة ، والصعوبات التي اعترضته في التحقيق . ولعلّ أهم جانبٍ عالجه المحقق في مقدمته هو حياة ابن الجوزي الوعظية والسياسية ، فخلص إلى أنّ ابن الجوزي بما توفر عنده من مقدرة فائقة في التأثير على الجمهـــور البغدادي أعان الخلافة العباسية على استرداد قوتها السياسية من سيطرة القواد الأتراك أمثال قايماز ، فأوحى إلى قارئه أنه لولا تأثير ابن الجوزي السحري على جمهور بغداد حيث دفعهم إلى مساندة الخليفة لما استطاعت الخلافة العباسية أن تتلمس خطاها ويستمر نفوذها السياسي ووجودها الديني ، واستطاع المحقق بنجاح يستثير الإعجاب تحديد الزمن الذي تم فيه تصنيف الكتاب من دراسة بعض الإشارات التي وردت في ثنايا الكتاب ، وربطها

بالحوادث التاريخية التي ذكرها أصحاب التواريخ ، فقال : « إن تصنيف الكتاب لا يمكن أن يكون بعد سنة ٥٧٥ هـ ، ويحتمل أن يكون في الفترة الواقعة بين سنة ٥٧٠ هـ وسنة ٥٧٥ هـ » . ثم تطرق إلى أن غرض ابن الجوزي من تصنيف كتابه لم يكن مهاجمة القصّاص والوعاظ كما ظن بيدرسون ، وإنما دفاعاً عنهم . وأخيراً أفرد جانباً كبيراً من مقدمته للكلام على النص العربي فقال : ومع كل الجهود المضنية فلم أستطع العثور على نسخة ثانية ، وإن النسخة الوحيدة هي التي تمتلكها مكتبة جامعة لايدن ، والتي دخلت إلى حوزة فارنر أثناء مكوثه في الشرق من سنة ١٦٥٤ إلى سنة ١٦٦٥ ميلادية ، وقد استفاد منها بعض المستشرقين في كتاباتهم وذكرها بروكلمان في كتابه [Gal. 1 , 503] ، ثم وصف المخطوطة فقال : « وقد كتبت المخطوطة بخط نسخي واضح وبخط واحد بما في ذلك التعليقات على الحواشي ، وما أغفله الناسخ فأضافه حين المقابلة » . والأمر ليس كذلك ، فإن العنوان واسم المؤلف وما تبعه من دعاء ، وكثيراً مما أضيف إلى الحواشي ، كتبه محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن القصاص المقرىء الصديقي الشافعي الذي امتلك الكتاب سنة نسخه ، ولعل الناسخ كتبه له ليستعين به على صنعته . ثم حاول المحقق أن يقرأ اسم الناسخ فلم يُحسن فأورده بهذه الصورة في مقدمته :

« الفقير مجدالدين المنصور ؟ بن علي الغمري » .

وقال : « لقد بحثت في كل كتب التراجم للقرنين العاشر والحادي عشر ، فلم أستطع العثور على أي شيء عنه » . وأنّى له ذلك والناسخ ليس عالماً مشهوراً حتى يترجم له أصحاب التراجم ! ومع هذا فقد عثرت على ذكر له في مخطوطة « شرح لامية العجم للدميري » نسخة برلين رقم ٧٦٦٤ فجاء اسمه بالصورة

نفسها التي جاء بها في مخطوطة القصاص والمذكرين وزيادة . فقد جاء في مخطوطة القصاص والمذكرين : كتبه الفقير مجد الدين بن علي المنصوري الغمري ، وجاء في مخطوطة شرح لامية العجم : مجد الدين بن علي بن أحمد المنصوري الشافعي ، واسم الناسخ هنا يعيننا على تحديد مكان نسخ المخطوطة فإن الناسخ منصوري وغمري وشافعي وكلها في مصر .

لقد أراد ابن الجوزي من كتابه هذا التفريق بين الوعاظ والمُذكّرين الذين وعظوا حسبةً ، وبين من تشبّه بهم فأحدث وابتدع وأتى بالمنكرات في الأفعال والأقوال والمقاصد ، وبدعة التشبه لم تقتصر على فن القصص والتصوف أو التحديث أو التطبيب ، بل سرت إلى كل فن مرغوب فيه أو مرغوب عنه ، وحتى التطفيل والكدية لم يسلما من المتشبهين بأهلها ، وإن مصادرنا مليئة بمثل هؤلاء المتشبهة الأدعياء ، فالسراج الطوسي المتوفى سنة ٣٧٨ ﻫ كتب كتابه اللمع حتى يميز العـــاقلُ بين الصوفية « وبين المتشبهين والمتلبسين بلبسهم والمتسمين باسمهم ، فقد كثر الخائضون في علوم هذه الطائفة وكثر أيضاً المتشبهون بأهل التصوف »[1] . وإنا لواجدون مثل هذا كثيراً في كتب العلماء المصنفة دفاعاً عن أصـــالة علمهم وتحذيراً من المتشبهة بهم ، وقد أوضح ابن الجوزي غرضه من تصنيف كتابه . فقال : « إن أقواماً ممن كان يدخل في الدين ما ليس منه قصّوا فأدخلوا في قصصهم ما يفسد قلوب العوام ، لأن عموم القصاص لا يتحرّون الصواب ولا يتحرّزون من الخطأ لقلة علمهم وتقواهم » .

وأبو حاتم البستي ، المتوفى سنة ٣٥٤ ﻫ ، يصنف كتابه روضة

(١) تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور ، القاهرة ١٩٦٠ صفحة ١٨ – ١٩

العقلاء ونزهة الفضلاء ، لأن : « الزمان قد تبين للعاقل تغيره ، ولاح للّبيب تبدله ، يبس ضرعه بعد الغزارة ، وذبل فرعه بعد النضارة ، ونحل عوده بعد الرطوبة ، وبشع مذاقه بعد العذوبة ، فنبغ فيه أقوام يدّعون التمكن من العقل باستعمال ضد مايوجب العقل من شهوات صدورهم ... »(١)

وأبو الحسن الديلمي تلميذ الصوفي المشهور ابن خفيف الشيرازي المتوفى سنة ٣٧١ هـ ، يؤلف كتابه : عطف الألف المألوف على اللام المعطوف ، في المحبة فيقول : « إنا وجدنا المحبة أشهر حال وأعلاها في ما بين الناس من الخاص والعام ، والجاهل والعالم ، والشريف والدنيء ، والفاضل والخسيس ، ولهذه الجهة كثرت شبهتها ، وعظم تزويرها ، وظهر فسادها عند أهلها من تمويه الموهمين بها ، ومخاريق الداخلين فيها وتزوير المدعين لها ... »(٢)

إن غرض ابن الجوزي في تحديد معنى الواعظ والقاصّ والمذكّر والمحذر يبدو واضحاً في الفصول العشرة الأولى التي عقدها ، وهي عنده واحدة وإن تعددت ألفاظها ، وإن مدار الاختلاف في المعنى يقع على حسن نية الرجل وسلامة قصده أو خبثه ، فكل السلف الأول كانوا وعاظاً وقصاصاً ومذكرين ، أما في عصر ابن الجوزي فإن المعنى اتخذ مصطلحاً خاصاً فالمذكّر غير القاص ، وهو غير الواعظ ، بل لعلها أصبحت مناصب رسمية ، فإن أسعد بن صاعد الحنفي كانت إليه الخطابة والتذكير والتدريس ببلده نيسابور(٣) ، وأبو الفتوح الأسفرائيني كان واعظ الخليفة

(١) الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٢٨ هـ

(٢) تحقيق فاديه ، القاهرة ١٩٦٢

(٣) المنتظم ١٠ / ٣١ - ٣٢

الراشـد بالله ، وقد صحبه إلى الموصل وبقي معه حين خانه أمراؤه ، « ولم يبق معه صاحب عمامة سـوى أبي الفتوح »(١) ، والمغربي الواعظ يركب فرس وزير السلطان ، ويجلس للوعظ في دار السلطان(٢) .

ويبدو أيضاً أن القاصّ والواعظ قد اتصف كل منهما بسـمات معينة لا تتوفر في الآخر ، فإن محمد بن عبد الله العامري « كان يتدين ويعظ ويتكلم على طريقة التصوف والمعرفة من غير تكلف الوعاظ ، فكم من يوم صعد المنبر وفي يده مروحة يتروّح بها ، وليس عنده أحد يقرأ كما تفعل القصاص »(٣) . وقد سمي أبو العباس أحمد بن أحمد الطبري بابن القاصّ لأن أباه وعظ وذكّر بالديلم(٤) . والحديث طريف وطويل وجدير بالبحث والمتابعة .

إن كراهية علماء السلف للقصّاص وتحذيرهم منهم يرجع إلى خوفهم أن يتسلل النفاق وتستخدم المبالغة ويشيع الكذب والرياء ، أما إذا وعظ الناسَ وقص عليهم من يعرف الصحيح من الفاسد ، والناسخ من المنسوخ ، وكان حافظاً لحديث رسول الله ﷺ ، عارفاً بصحيحه وضعيفه ، ومسـنده ومنقطعه ، عالماً بالتواريخ وسير السلف ، حافظاً لأخبار الزهاد ، فقيهاً في دين الله ، عالماً بالعربية واللغة ، فصيح اللـسان ، ومدار ذلك كلّه على تقوى الله عز وجل(٥) ، فلا كراهة ، ولهذا قال الإمام علي وقد رأى قاصاً يقصُّ : « أتقص ونحن قريبو عهد برسول الله ؟ لأسـألنك فإن

(١) المنتظم ٦٧/١ـ (٢) المصدر نفسه ٧٩/١٠
(٣) المصدر نفسه ٦٤/١٠
(٤) طبقات السبكي ١٠٣/٢ ، طبقات الشيرازي ١١١
(٥) كتاب القصاص والمذكرين ٢٤

أجبني وإلاّ خفقتك بهذه الدّرة . ماثبات الدين وزواله ؟ قال : أما ثباته فالورع ، وأما زواله فالطمع ، قال : أحسنت ، قُصّ فمثلك فليقص » .[١]

وقد تطور فن القصص خلال العصور الإسلامية فأدخل فيه ما ليس منه ، وبعد أن كان القصاص والوعاظ يُرغّبون في الآخرة وما في الجنة من نعيم مما لم تره عين أو تسمع به أذن ، ويرهّبون من النار وما فيها من عذاب تقشعر منه الجلود ، اتخذ قصّاص القرن الثاني ومابعده هذا الفن لاستهواء عقول العامة من الناس طمعاً في أموالهم ، فأدخلوا ما أدخلوا فيه من كذب ومبالغة وتلفيق ، « ولما كان خطابهم بالوعظ في الأغلب للعوام ، وجد الجهال من القصاص فيه طريقاً ليناً إلى بلوغ أغراضهم »[٢] ونيل مبتغاهم ، في أجر بلا جهد ومتعة بلا مشقة .

ومع هذا فالقاصّ الصادق عند ابن الجوزي أنفع للعوام من العالم الكبير ، لأنه أقدر على استهوائهم وبالتالي منفعتهم ، لأنه يكلمهم بما يفهمون ، وقد روى ابن الجوزي أن أم الإمام الأعظم أبي حنيفة أرادت أن تستفتي في شيء فأفتاها فلم تقبل ، وقالت : لا أقبل إلا ما يقول زرعة القاص ، فجاء بها أبو حنيفة إلى زرعة فقال : هذه أمي تستفتيك في كذا وكذا ، فقال : أنت أعلم مني وأفقه فأفتها أنت . فقال أبو حنيفة : قد أفتيتها بكذا وكذا ، فقال زرعة : القول كما قال أبو حنيفة ، فرضيت وانصرفت »[٣] وأذكر في صباي وقبل أكثر من عشرين عاماً ، في بعقوبة ، عالماً جليلاً

---

(١) كتاب القصاص والمذكرين ٢٥

(٢) المصدر نفسه ٩٣ وكلمة « ليناً » لم ترد في نص ابن الجوزي وهي من عندي

(٣) المصدر نفسه ١٠٨

كان يصعد المنبر فيأخذ في الحديث والتفسير وكلام السلف الصالح ، فلا يلتفت إليه جمهور الناس ويعـــلو حديثهم ويشتد لغطهم ، فإذا صعد عبد الأمير البزاز وكان قاصّاً اشرأبت إليه الأعناق ، وخفتت الأصوات ، وأخذ في التطريب واستدرار الدموع ، فينقلب المجلس من علم وفائدة إلى مناحة وصراخ ، فرحم الله ذلك العالم إن اختاره الله لجواره فلقد تعلمت منه كثيراً . والعامة من الناس تسمع ما تسمع ولا تنكر ما تسمع وتصدق كل ماتسمع ، فإذا خرجوا قالوا : قال العالم ، فالعالم عند العوام من صعد المنبر . وحيثما يكون علماء أتقيـــاء ووعاظ صلحاء ، يذكّرون الناس بالله حسبةً واحتسابا ، يكون هناك من يتخـــذ الوعظ وسيلة للاصطياد واجتداء الأموال السحت من سذج الناس ، فلا يتورعون من الكذب والدجل والاختلاق على رسول الله وأئمة الدين من السلف الصالح ، ولهذا وصمهم محمد بن كثير الصنعاني بالكذب : « هـــم أكذب الخلق على الله وعلى أنبيائه » .

وحاضرنا يعج بمثل هؤلاء القصاص الذين يبكون نفاقاً ويلطمون رياءً ، استجلاباً للمال الحرام واستخفافاً بعقول الناس ، فكم من أحاديث لفقت ، وحكايات اختلقت ، والناس بين زاعق وذارف دمعاً ، لا تقىً لله ولا خوفاً من يوم تسودّ فيه الوجوه ، ولهؤلاء كان كتاب ابن الجوزي ، وتحذيراً منهم ومن أمثالهم كتبه فقال : « وبلغني أن فيهم من يمسك معه ما إذا شمّه سـال دمعه » ، « وفيهم من يرتعد ويتباكى تصنعاً » (١) . ومن مثل هذا التصنع ومن مثـــل هذا الرياء ، وإشفاقاً منهم وغيرة على المسلمين كره السلف القصص والقصّاص وتشددوا فيها ، خوفاً أن يُشاب

(١) كتاب القصاص والمذكرين ٩٣ - ٩٤

الحق بالباطل فيغوى القاص ويستغوي الناس ، وقد روى الجاحظ أن الأسود بن سريع ، المتوفى سنة ٤٢ هـ وهو أول من قص بمسجد البصرة ، « كان يقص في ناحية المسجد ، ورفع الناس أيديهم ، فأتاهم مجاهد بن مسعود (وكان صحابياً) ... فأوسعوا له فقال : والله ماجئت لأجالسكم وإن كنتم جلساء صدق ، ولكني رأيتكم صنعتم شيئاً فشفر الناس لكم ، فإياكم وما أنكر المسلمون » .(٢)

لقد أفرغ المحقق الدكتور سوارتز جهده في الحديث عن دفاع ابن الجوزي عن فن القصص والقصاص ، وميل الفقهاء إلى احتقارهم وتجنبهم حضور مجالسهم أو حلقاتهم ، وأن الفقهاء لم يكونوا وحدهم يشعرون بمثل هذه الكراهية للقصاص والوعاظ ، وإنما شاركهم أصحاب الحديث في مقاومتهم والتحذير منهم ، وخلص إلى أن « هاتين المجموعتين من الفقهاء وأصحاب الحديث كانوا يمثلون الوجهة الشرعية الفقهية [Legal] للإسلام ، بينما مال القصاص إلى التركيز على التفسير العفوي الحر لدينهم » :

« ... tended to emphasize the free, spontaneous, informal interpretation of their religion , ... » p. 56 .

وإني ليأخذني العجب العجاب إن كان الدكتور سوارتز يفهم مايقول، فإن العلماء والفقهاء لم يتشددوا في تحريم القصص ، لأن القصاص كانوا

---

(٢) كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان ، تحـ : محمد مرسي الخولي ، القاهرة - بيروت ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م ، صفحة ١٣١ - ١٣٢ ، وقد أحال الأخ الخولي على الإصابة ، الترجمة ٧٧١٨

« يميلون إلى تفسير دينهم بمثل هذه المفوية والحرية » ، وهذا ابن الجوزي نفسه يورد في كتابه كثيراً من أقوال الفقهاء في الحث على سماع القاص إذا كان ذا دين وورع وصدق ، ونهوا عن سماع كلام أولئك المخرقين المضللين . قال الإمام أحمـــد بن حنبل وقد سئل عن مجالسة القصاص : « إذا كان القاص صدوقاً فلا رأى بمجالسته بأساً » [1] ، ولم يغفل ابن الجوزي عن إيراد بعض حكايات المتشبهة ، فأورد أمثلة من مخاريقهم ودعاواهم وكذبهم حتى على الأحياء ، وقصة الشعبي مع التدمريين ، وحكاية أحمد بن حنبل ويحيى بن معين مـع أحد القصاص في مسجد الرصافة ببغداد خـير دليل على كذب القصاص المتشبهة ، الذين رأى فيهم سوارتز المفسرين الصادقين والممثلين الحقيقيين للإسلام . وكنا نود لو حدثنا المحقق عن أسباب ظهور فن القصص وتطوره خلال العصور الإسلامية ، فإنه بعد أن كان حسبةً أصبح مهنـة ، لأن مثل هذا البحث أكثر لصوقاً وأصالة بأطروحته من الحديث عن جوانب معروفة من حياة ابن الجوزي أو نسبة الكتاب إليه .

إن هذا ليس كل ما في التحقيق ، فإن الفوضى التي عمّت النص والترجمة وجدت طريقها إلى الفهارس بنوعيها ، وإليك مثالين من كثير :

١ ـ أبو بكر الخطيب البغدادي : وجدناه :

أبو بكر الخطيب

أحمد بن علي بن ثابت

٢ ـ أبو بكر القطيعي

(١) كتاب القصاص والمذكرين ١٩ ـ ٢٠

أبو بكر أحمد بن جعفر
أحمد بن جعفر بن حمدان
أحمد بن حمدان

وكان في إمكانه أن يضمها كلها تحت اسم واحد : أحمد بن علي ابن ثابت ، الخطيب البغدادي ، أو يحيل على اسم واحـد ، وهذا ما يفعله الباحثون في كل مكان . أما الأخطاء التي حدثت في قراءة الأعلام فمأساة ، وقد كنت أظن أنها أخطاء طباعية ، ولما أدرجها في الفهرس صار الظن يقيناً إنها منه فمثلاً : أبو عمر بن حيّوية صار ابن حويّه وقد ذكرهما في موضعين مختلفين ، ويمان النجراني صار البحراني [1] .

وبعد ... ألا ترى معي أن هذا النص يجب أن يعاد تحقيقه ؟ وإليك الدليل :

(١) الصفحات : ٣٤ ، ٤٤ ، ٦٦ ، ١٠٠

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصواب
٤	١٠	٨	أتفملا	كذلك	أتفملان
٦	١١	١٠	وإذا	=	وإذ
٩	١٣	١٦	اختلافاً	اخلافاً	ما في المخطوطة
١١	١٤	١٠	صحر	صخر ،وأشار في الحاشية : صحد	صخر
=	=	١٢	أقوى	كذلك	يقوى
١٢	=	١٥	بن أبي الفوارس	كذلك	ابن أبي الفوارس ، انظر طبقات الحفاظ ٣/٢٥٥ ، تاريخ بغداد ، محمد بن أحمد بن محمد
١٥	١٦	١٥	قال : بأبي أنت تقص	قال : يا أبي أنت تقص	قال : بأبي أنت ، أقص ؟
١٧	١٧	٩	وهو يومر	وهو يؤمر	وهو يُؤمّن ، أي : يقول آمين.
١٨	=	١٤	ما علمـــه	ما عليـــه	ما في المخطوطة
١٩	=	١٨	مسلم بن يسار	كذلك ،وأشار في الحاشية: قال : مخ . يسان	والصواب ما في المخطوطة

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصــواب
٢٣	١٩	١٠	كأن أبا عبد الله كره	كان أبو عبد الله كره	وأشار في الحاشية : مخ : أبا
٢٩	٢٠	١٠	سمع أبا عبد الله سئل	كذلك	سمع أبا عبد الله [وقد] سئل
٣٠	=	١٥	الشهوات المردية	الشهوات المردئة	ما في المخطوطة
=	٢١	٣	يذكرون	يُذكترون	يُذَكّرون
٣٢	٢٢	١١	وكان أول من قص تميم	وكانأول من قص تميا	مافي المخطوطة لان «تميم» اسم كان مؤخر .
٣٤	٢٣	١	البرواني	البرقاني	النص يشير إلى قراءة المخطوطة والحكاية في تحذير السيوطي ٥٨ ـ ٥٩ رواية عن الإمام أحمد والطبراني وابن ماجه
٤٠	٢٥	٩	ونحن قريب	كذلك	ونحن قريبو ، انظر : سطر١٧ من الصفحة نفسها
٤٤	٢٦	٢٠	وقضانة	وقضافة	ونضافة، كما في تحذير السيوطي٧٩

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصواب
٤٤	٢٧	١	فأما من يجرح	كذلك	فأما من يخرج
=	=	٣	ولربما كانت الصور	=	ولربما كانت الصور
			والسموات تواتر	=	والسمات تؤثر
=	=	٤	من لم ينفعك رؤيته	كذلك	من لم تنفعك رؤيته ...
٤٥	٢٨	٧	لا يقص	لا يقص (بضم الياء وفتح القاف وتشديد الصاد مع فتحها)	ولو لم يحرك الكلمة لضاع الخطأ .
٤٨	٣٠	٤	الفوبري	بفتح وفتح وسكون وكسر وسكون	بكسر وفتح وسكون الباء ، وانظر معجم البلدان ٣/٨٦٧ ، طبقات الحنابلة ١/٣٧ ، وفيات الأعيان ٦٣٢
٥٠	٣١	٢	فإن أثبت فمرتين	كذلك	فإن أبيت ... مسند أحمد ٦/٢١٧ حين أوصت أم المؤمنين عائشة ، رضي الله عنها ، قاص المدينة .

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصــــواب
٥٦	٣٤	١	ابن حويه (وانظر: صفحة ٤٤،٦٦)	كذلك	ابن حيويه ، قارن الأسناد في الصفحات ٢٢ ، ٥١ ، ٥٦، ٥٨ ، ١١١، ١٣٢، ١٣٩ ففيها كلها: روى أبو محمد الجوهري عن ابن حيّويه.
٥٩	٣٥	٢	نأتي هولا	نأتي هوْلاً	نأتي هؤلاء
٦٠	=	١٣	ذكر بالله وذكر لله	ذَكّر بالله وذِكر لله	ولو لم يشكل الحروف لكان له أسلم، والصواب: وَذكّر في كلا الموضعين، وأشار إلى حلية الأولياء: ج ٦ والصواب: ج ٣
٦٢	٣٦	٨		حاشية: ١، الطبقات ٦/١٩٩	والصواب: ٦/١٧٦ ، وانظر: ميزان الاعتدال ٤/١٤٣
٦٦	٣٧	٧	العبادلة	العباد لة	فقد ظنها كلمتين وهي العبادلة: جمع عبد الله.

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصـــواب
٦٩	٣٩	٧	فتنزلق أقتابه	فتدلق أقتابه	فتندلق أقتابه ، انظر : غريب الحديث لابن حجر ١٩١ ، النهاية في غريب الحديث ١١/٤ ، كتاب تحريم النظر لابن قدامة ٥٧ والقتب (بكسر القاف وسكون التاء) : الأمعاء
٧٠	٣٩	١٤	ابن جريج	كذلك	لم يذكره في فهرس الأعلام .
٧٧	٤٢	٦		و/ذكر أعيان المذكر/	و [ذكر أعيان المذكرين]
٧٨	=	١٣	الوضاة	الوضاءة	مافي المخطوطة هو الصواب .
٨٣	٤٥	٣	ولت جدا	كذلك	ولت حذاء ، كما في صحيح مسلم الذي أشار إليه المحقق .
=	=	٨	وليأتين عليه يوماً	=	وليأتين عليه يوم .
٨٧	٤٧	٤	فضل به عليه غيره	كذلك	«عليه» وردت في الحاشية وهي زائدة لامعنى لها ، ولم ترد في صفوة الصفوة ٢٢١/١ ، ولا في حلية الأولياء ٢٠٧/١

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصـــواب
٩٨	٥٢	٧	ولاضطراب	كذلك	ولا يضطرب كما في الحلية ١/٣٢٤ وصفوة الصفوة ١/٣١٨ .
١٠٤	٥٥	١٦	وكان لي صديق	=	وكان لي صديقاً . لأنه جواب «كان» .
=	=	١٧	اسأله	أسأل	ما في المخطوطة .
=	=	١٨	اقبلوا	كذلك	فاقبـــلوا .
=	٥٦	٢	نتخرمه	تتخرمـــه	تتخرمـــه
=	=	٥	احرم	أُحْرِم	وقد ترجمها «انصرف» والصواب : مافي المخطوطة لأن معناها حلف على التوبة وأمسك عن المعاصي ودخل في حرمة لا تهتك، انظر: اللسان ١٥/١٣ — ١٥
١٠٥	٥٦	١٦	تالا	تتألى	مافي المخطوطة ، لأن تألى : حلف ومثله آلى يؤلي إيلاء . وفي القرآن الكريم : «ولا يأتل أولو الفضل منكم ..» والألية: اليمين
١١٢	٥٨	١٧	أحمد ومحمد ابنا	أحمد ومحمد أبناء	ما في المخطوطة .

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصـــواب
١١٥	٦٠	١٤	ثم تحلل	ثم تخلل	مافي المخطوطة لأن «تخلل» بالخاء لامعنى لها ،ومن ثم فإن الناسخ وضع حرف «ح» صغير تحت الحاء للدلالة عليه .
=	=	١٥	من ران الذنوب	كذلك	من أدران الذنوب .
=	=	١٨	فلا تألو	=	فلا تأل ...
١١٨	٦٢	٤	يا صريبح	=	ياصريبع ، كما في صفوة الصفوة ١١١/٢
١٢١	=	١٦	حلتان خضراوتان	=	حلتان خضراوان .
١٢٣	٦٤	٩	إنه لا أعظم رزية في عقل ممن ضيع اليقين	كذلك	والصواب كما في الحلية ٣١/٤ ، وصفوة الصفوة ١٦٥/٢ ، «إنه لا رزية أعظم من رزية في عقله ممن ضيع اليقين» .
١٢٤	٦٤	١٣	بما تظعنون	بما يظعنون	ما في المخطوطة .
..	٦٦	حاشية : ١	....	....	أضف : حلية ٢١٢/٤
...	..	حاشية : ٢	....	....	= = ٢٤٩/٤

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصــــواب
١٣١	٦٧	٥	قال ذر لأبيه	قال ذر لابنه	مافي المخطوطة، وهو كذلك في الحلية ٥/١١٠ وتحذير السيوطي ٧٩ ، لأن جواب الأب في السطر ٧ : يابني . وعن موت ذر هذا وقول أبيه عمر، انظر: الحلية ٥/١٠٨-١٠٩
١٣٣	٦٨	٩	تموت حتى تقص	كذلك	تموت حين تقص
١٣٤	=	١٢	أحمدبن محمدالطوسي	=	أحمد بن محمد الكوفي كما في تاريخ بغداد ٥/٣٧٠
=	=	١٥			تجد الحكاية في تاريخ بغداد ٥/٣٧٠
١٣٥	٦٩	٢			تجد الحكاية في النجوم الزاهرة ٢/١١١، تاريخ بغداد ٥/٣٧٣
١٣٦	=	٩	يا اخوتاه	يا اخوان	وأشار إلى المخطوطة فقال : « م : أخوتاه وليس كذلك » .
١٤٠	٧١	١٤	ابن أبي عصمة	ابن أبي عصيمة	والصواب ماقي المخطوطة .

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصواب
١٤٠	٧١	١٦	المامومين	كذلك	والصواب: المامونين، أي: الذي لا يكذب على رسول الله ﷺ.
١٤١	٧٢	٤			حاشية: (١) أشار إلى البخاري ١/٢٤٣، والحديث في صحيح البخاري ٤/٢٤٣، ومسند أحمد ٣/١٣٤
=	=	=	يصبهم سفع	كذلك	يصيبهم سفع، كما في مسند أحمد ٣/١٣٣ وفي صحيح البخاري ٤/٢٤٣ «بعد ما مسهم منها سفع».
١٤٣	=	١٤	ابن أبي عصمة	ابن أبي عصية	مافي المخطوطة.
١٥٠	٧٥	١١		حاشية : ٢	قال: صفوة ٣/٢١١ زيادة، أو يصلي لك» والصواب: أن كل الحكاية مختلفة تماماً عن الحكاية هنا.
١٥٨	٧٨	١٣			تجد هذه الحكاية في تحذير السيوطي ٧٩.

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماودر في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصواب
١٥٩	٧٩	٦	محمد بن نصر	كذلك	وهو جعفر بن محمد بن نصير الخلدي ، الصوفي المعروف ،وقد أشار في الحاشية: ١ فقال : «وتاريخ بغداد ٧/٢٢٦ ، نصير» ، وكان المفروض إثبات الصحيح والإشارة إلى الخطأ .
=	=	٩	إذا تكلم	إذ أتكلم	مافي المخطوطة وتاريخ بغداد ١٤/٢٠٩
١٦٢	٨٠	١١			الحكاية في تاريخ بغداد ٩/١٠١ ١٠٢ « طبيب يداوي والطبيب مريض » .
١٧٤	٨٦	١١	ولايتـــه	ولا نبـــه	وأشار في الحاشية : ١ ، مخ : تيه ، والصواب ما في المخطوطة .
١٧٨	٨٨	٢			انظر تاريخ بغداد ٩/١٨٩ لأن الحكاية رويت عن الخطيب .

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصـــواب
١٨١	٨٩	٣	لطائف	كذلك	طرائف كما في تاريخ بغداد ١٢/٦٧ لأن الحكاية منقولة عن الخطيب، وانظر كذلك طبقات الحنابلة ٢/٦٣ ومختصرها ٣٢٤
١٨٨	٩٠	١٧	أبو الفتح بن القواس	=	أبو الفتح القواس، وهو يوسف بن عمر ابن مسرور القواس، تاريخ بغداد ١٤/٣٢٥ طبقات الحنابلة ٢/١٤٢ - ١٥٧،٣، ومختصرها ٣٤٥، فهرس طبقات الصوفية للسلمي تح: شربية ٥٤٨ والحكاية في طبقات الحنابلة ٢/١٥٧
١٩٨	٩٤	١٦	النايل	النائل	النوال .
=	٩٥	٢	لا يقضى...الحديث	كذلك	لم يشر إلى مناجم ورود الحديث الشريف
=	=	٣	على ماندر منه	=	على مابدر منه .
=	=	٨	منكر يحب منه	منكر يُجْبَ" منه	منكر يَجِبُ منه .

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصـــواب
٢٠١	٩٦	١١	والتهود	كذلك	والتهـور .
=	=	١٨	يعرقون	يزقون	وأشار في الحاشية : ٥ ، مخ : يعرق ، وهو ليس كذلك .
٢٠٣	٩٧	٣	يسملون	يسلموا	يسلمون ، إذ ليس هناك من ناصب أو جازم ، والحكاية في الباعث الحثيث لابن كثير ٩٣-٩٤، المدخل للحاكم (ترجمة) ٣٢٠، الجامع لأخلاق الراوي للخطيب، مخطوطة دار الكتب ١٤٩ ا — ب ، الأسماء المرفوعة في الأحاديث الموضوعة لعلي بن سلطان القارىء ، مخطوطة مكتبة الأوقاف ببغداد ، ١٠ ا وغيرها .
٢١٠	١٠٠	٥			الحكاية في طبقات الحنابلة ١/٢٥٣ لأنها رويت عن أبي بكر الخلال الحنبلي .

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصواب
٢١٤	١٠١	٢٠	حديث عن أبي الوليد	كذلك	والصواب : حُدِّثتُ عن أبي الوليد الطيالسي ، الحلية ٧/١٥٣
٢١٥	١٠٢	٥			وتجد هذه الحكاية في الحلية ٣/١١ لأن الحافظ أبا نعيم هو الذي رواها فكان المفروض من المحقق الرجوع للحلية .
٢١٧	١٠٢	١٥	يوجب	بفتح الجيم	والصواب بكسرها ولو لم يعجمها لخفي الخطأ
٢١٨	١٠٣	٩	الغرانيق العلى	بالياء المشددة « العليّ »	والصواب بالألف المقصورة وإن صورة القلب المقلوبة في المخطوطة تعني أن الكلام انتهى .
٢٢٠	١٠٣	١٤	الحريمي	الخزيمي	والعجب أن المحقق أشار إلى أنساب السمعاني ، ورقة ١٩٩ ا ، والخزيمي في ورقة ١٩٨ ب ، والأعجب أن الحريمي هذا هو غير الخزيمي ، والحديث الذي

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصواب
					رواه موجود بكامله في الوافي بالوفيات ١٢٧/١ (تح : رتر) ، وانظر المنتظم ٢٢١/٩ وتحقيق المنتظم لايعول عليه ولا المرآة ، لسبطه ، لسوء إخراجها .
٢٢١	١٠٤	١٠-١١	من الملائكة إلى الشيطانة	كذلك	من الملائكية إلى الشيطانية .
=	=	١١-١٢	كلما ازداد محبة لغيري	كلما ازداد محبته	الصواب ما في المخطوطة لأنه لو كانت « محبته » لكان الفعل « ازدادت » .
=	=	١٣	كافا ويا	ك ، فاء ، وياء	مافي المخطوطة كافاً وياءً وهذه إشارة إلى قوله تعالى « وإن عليك لعنتي » .
=	=	١٧	تشمت بي الأعداء	كذلك	وأشار المحقق في الحاشية (٥) إلى « بي » وقرر أنها خطأ ولم يكتف بل عزز رأيه هذا بما جاء عند ماسينيون والعجب من هذا وذاك : قال يزيد المهلبي حين خرج المتوكل

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصواب
					إلى دمشق من سر من رأى : أظن الشام تشمت بالعراق إذا عزم الإمام على انطلاق انظر مروج الذهب للمسعودي٧/٢٥٧ (طبعة باريس) .
٢٢٣	١٠٥	٥	ما لا ينقص الواهب ماأزيده	كذلك	... ما أريده
٢٢٥	=	٩	وخرق مرقعته	وخرق موقعته	ما في المخطوطة
٢٢٧	١٠٦	١	رأيت إبليس ... سجد لي	رأيت ابليس .. سجدا لي	ما في المخطوطة لأنه فعل وليس اسماً ثانياً .
٢٢٨	=	٦	كلما أشكل عليه أمراً	كذلك	.. أمرٌ لأنه فاعل للفعل أشكل .
٢٢٩	=	١٠	وكان عندنا واعظ يقال مسعود	كذلك	وكان عندنا واعظ يقال [له] مسعود .

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصواب
٢٣٢	١٠٧	١٠	الحسن والحسين		أشهر من أن يعرفا ومع هذا فلم يذكرهما في الأعـلام
٢٣٤	١٠٨	٦	وفيهم كذابون	وفيها كذابون	مافي المخطوطة ولا أدري من أين جاء بها
٢٣٥	=	١٤	كان في مسجد قاص	كذلك	كان في مسجدنا قاص ، لأن الحكاية منقولة من تاريخ بغداد ١٣/٣٦٦ كما جاء في إسنـادها .
٢٣٦	١٠٩	٥	فيها بقر أكنت تحتشم	فيها بقر كنت تحتشم	مافي المخطوطة لأن الألف هنا للاستفهام والعجب أن المحقق أشار في الحاشية : خ : بقرا .
٢٣٨	١١٠	٤	فقام رجل .. فقال : يا أبا مرحوم !فقال له : طمنة ...	كذلك	فقام رجل .. فقال : يا أبا مرحوم : [أصلحك الله] فقال : طمنة .. لأن قول الرجل الآخر : رجل دعا لك . توجب وجود الساقط ، وانظر تحذير الخواص للسيوطي ٨١

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصـــواب
٢٤١	١١١	٥			انظر القسم الأول من الحكاية في كتاب الحيوان للجاحظ تح : عبد السلام محمد هارون ، ٣/٣٤ – ٣٥
٢٤٢	١١١	١١	خلقت لبغا ووصيف	خلقت ابتغاءووصيف	وقد ترجمها المحقق بمعنى ز"ناءوخادم وهذا دليل على جهله فإن وصيفاً وبغا التركيين مشهوران في التاريخ العباسي في ظلمها وسيطرتها على الخلفاء حتى قيل فيها : خليفة في قفص بين وصيف وبغا وفي هذه إشارة إلى كبر جرمها، مروج الذهب (باريس ٣٢٤/٧ – ٣٢٥).
٢٤٤	١١١	١٥	قال عمر بن بحر	قال عمر بن حجر	ولا ندري كيف قرأها مع أنها واضحة وعمر بن بحر هو عمرو بن بحر الجاحظ والحكاية بنصها وفصها في كتاب الحيوان رواها الجاحظ عن أبي أحمد التمار ٢٩٧/٣

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصـــواب
٢٤٧	١١٢	١٥-١٦	ولا يحثون على الفرائض	ولا يحدثون..	ما في المخطوطة هو الصواب .
=	=	١٩	في بداية الإسلام	في بداءة الإسلام	= = = =
٢٤٧	١١٣	٢	حتى نظن من يتمسك	كذلك	حتى يظن ...
٢٤٨	=	٧	فيرى العامة ترك عائلته	كذلك	فيرى العامي ...
٢٥٠	١١٤	٤	فقرأ قارىء	فقرأها قارىء	ما في المخطوطة
٢٥١	=	٩	لم يفهم أنه خطى	لم يفهم أنه خطيء	لم يفهم أنه خطأ
٢٥٤	١١٥	٨	وسمعته ينشد	وسمعت ينشد	مافي المخطوطة ، والأبيات لابن الرومي
٢٢٥	=	١٢	ولا يخلو المجالس	كذلك	ولا تخلو ..
=	=	١٢-١٣	ومثل هذا يحرّك	ومثل هذا يحوك	ما فى المخطوطة
٢٥٦	١١٦	٢	نشتاق	يستاق	يشتاق
٢٥٧	=	٣	أحد بعض	أجد بعض	أخذ بعض
=	=	١٥	وصف يميل إليه الطباع	كذلك	وصف تميل إليه الطباع
=	=	١٦	للحديثة	كذلك	للحديثية

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصـواب
٢٦١	١١٨	٤	ذكر محمد بن سيرين	ذكر (بضم وكسر)	ذكر (بفتح الذال وفتح الكاف)
=	=	٦	أن يقعدأحدهم..باسط	كذلك	أن يقعد أحدهم ... باسطاً
٢٦٢	=	٩	يوقع عليه وبه	يوقع عليه به	ما في المخطوطة
٢٦٢	=	=	ينكرون رفع	ينكرون وقع	= =
٢٦٣	=	١٥-١٦	الحرقة سوداء	الحرقة [وهي] سوداء	خرقة سوداء
٢٦٤	١١٩	٣	يتخذون القرآن أمير	كذلك	يتخذون القرآن مزامير
٢٦٥	=	٧	حتى كأنه حاد أو غنا	حتى كأنه حاد أو غناء (بتشديد النون)	حتى كأنه حداء أو غناء
٢٦٦	=	٩	عمر بن عبد الله البقال	كذلك	وورد في الحكاية ٢٧١ عمر بن عبيدالله، فأيهما أصوب ؟
=	=	١٢	قدم سلمة البيدق فقال يصلي	كذلك	قدم سلمة البيدق فقام يصلي
٢٦٨	١١٩	١٩	أبي القاسم بن السري	كذلك	هو أبو القاسم بن البسري (طبقات الحنابلة ١/١٤٣) .
٢٧٢	١٢٠	١٦	وسمعت سليمان بن .. يقول	كذلك	هو سليمان بن حرب وهو شيخ حنبل

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصــواب
					ابن اسحق ، تاريخ بغداد ٨/٢٨٦
٢٧٣	١٢١	٣	عن التدبر للقرآن	كذلك	عن تدبر القرآن ، قال تعالى : ألم يتدبروا القرآن ...
٢٧٥	١٢٢	١	فهي لك على وصن	فهي لك على رصين	وقال في الحاشية : خ : رصين . وأحال على تاريخ بغداد ١٣/٧٢ : وصن ، فلا في المخطوط : رصين ولا في تاريخ بغداد وصن ، والصواب ماجاء في المخطوطة : علي،وصن كلامك هذا الحسن ولا تتبدل. وكذلك في كتاب الذخائر والتحف ٢٢٣
٢٧٦	١٢٢	٦	أبا الحسن السمداني	كذلك	وهو أبو الحسن الشعراني كما في مناقب الأبرار لابن خميس (لايدن) ورقة ١٧٢ أ ، الرسالة القشيرية ١/١٢٧ ففيها نص الحكاية والإسناد .

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصواب
٢٧٧	١٢٢	٦	أبو العباس .. فكلمه	أبو العباس يكلمه	ما في المخطوطة
=	=	١٤	من الأفعال المستاكلة	كذلك	من أفعال المستأكلة، كما في تحذير السيوطي ٨٢
٢٧٨	١٢٣	٩	فحشا العلوي فاه بالدر	كذلك	... بالدراهم كما في المنتظم ٥/١٧ وأنّى للعلوي مثل هذا الدر ؟
٢٧٩	١٢٣	١٤	جاء ... يحيى بن معاذ .. وله شيبة	... وله عيبه	وله شيبة حسنة ، لأن العيبة لا تتفق هنا مع قوله : « وكان أحسن شيء »، والعيبة من الرجال : الرذل .
٢٨٤	١٢٥	١٨	فرمت الآخرة	فرمت الأخرى	فرمت الآخر لأنه مذكر وهو جواب قول الغزالي : أين أخوه ؟ والهاء في « الآخره » زيادة للدلالة على انتهاء الكلام
٢٨٦	١٢٦	٨	روذالهم	رذالتهم	ما في المخطوطة
٢٨٧	١٢٧	٦	أبو أحمد الزهيري	كذلك	أبو أحمد الزبيري
٢٩٢	١٢٨	١٦	وأخذ السوط يضربني حتى حجره	كذلك	وأخذ السوط فضربني حتى حجزه ، كما في تحذير السيوطي ٧١

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصــواب
٢٩٥	=	١٨			انظر الحديث في ميزان الاعتدال ٣/٤٩٥
٢٩٩	١٣١	١٥	لأن أرى في طائفة المسجد نارا	كذلك	لأن أرى في ناحية المسجد ... كما في تحذير السيوطي ٦٩، ٧٤ ،أو لعلها كانت « طاقة » فتصحفت .
٣٠٢	١٣٢	٣	قال أبو نعيم ..	كذلك	قال المحقق في الحاشية : « لم أستطع أن أجد هذه الحكاية في الحلية »، والحكاية في ٤/٢١٢ ٢١٣ وفي طبقات ابن سعد ٦/٢٠٠
٣٠٣	=	١٠	لما قص إبراهيم التيمي أمزه أبوه	أخزه	.. أخرجه ، كما في طبقات ابن سعد ٦/٢٠٠
٣١٩	١٣٨	١١	وقالت عائشة لقاص المدينة		هذا القول في مسند ابن حنبل ٦/٢١٧
=	=	١٥	قال عليه السلام: أعوذ بالله من علم		انظر المعجم المفهرس ٤/٣٣٤ (علم) .
٣٢٥	١٤١	٧-٩	وعظ النبي ﷺ ..		وقال المحقق في الحاشية : « لم أستطع أن أجد

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصـــواب
					هذا الحديث في مكان آخر»، وقد رواه الذهبي في ميزان الاعتدال ١ / ١٤٣ ، ٤ / ٤٦٩
٣٢٦	١٤٢	٢-٤	وقد كان جواب ..		أوردها ابن سعد في طبقاتـه ٦/٢٢٢ باختلاف يسير في الألفاظ وأبو نعيم في الحلية ٤/٢٣١
٣٣٠	١٤٣	١١	خوفاً على النفس	خوافاً على النفس	ما في المخطوطة .
٣٣٤	١٤٤	١٧	الذين يلقون فقيهاً	كذلك	الذين لا يلقون فقيهاً .

آراء وأنبـــاء

حفل استقبال العضو الجديد الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

١ ـ كلمة الأستاذ الدكتور حسني سبح

رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

بسم الله ، أعلن افتتاح هذه الجلسة العلنية لمجمع اللغة العربية والمخصصة لاستقبال العضو الجديد الأستاذ الدكتور شاكر الفحام .

فبسرور بالغ يجتمع مجلس مجمع اللغة العربية بشهود هذه النخبة المختارة من خاصة القوم ، أساتيذ وعلماء ومثقفين ليستقبل عضواً عاملاً وزميلاً جديداً ينتظم في عقد أسرته . وإني باسم الزملاء الذين أجمعوا على اختيار الأستاذ شاكر الفحام أهنئه بما ناله وبما هو أهل له من ثقة وتقدير .

وكان انتخاب مجلس المجمع له قد تم في الجلسة التي عقدها مساء التاسع عشر من تشرين الثاني سنة ١٩٧٠ للمكان الذي خلا بوفاة العلامة المرحوم فقيد المجمعين الأمير مصطفى الشهابي تغمده الله برحمته وأجزل له الثواب بقدر ما أدى من خدمة جليلة للغة القرآن ، وصدر المرسوم ذو الرقم ٣٩٣ والمؤرخ في ١٦ من شباط ١٩٧١ لتسميته عضواً عاملاً في مجمعنا . وكان على المجمع أن يستقبله إثر ذلك ، لولا ظروف خاصة حالت دون

تحقيق هذه الأمنية المرتقبة ، فحرم المجمع من مشاركته في جلساته ومن نشاطه المجمعي هـذه الأعوام الخمسة ، لأن نظام المجمع يحتّم أن لايشترك العضو الجديد في العمل إلا بعد استقباله رسمياً في مثل هذه الجلسة العلنية التي نعقدها هذه الأمسية المباركة إن شاء الله . فكأن الأمور ، كما يقال ، مرهونة بأوقاتها .

وبعد ، فاسمحوا لي أن أحيطكم علماً بأن انتخاب الزميل الكريم قد تم حينما كان رئيساً لجامعة دمشق وأحد أعضاء هيئة التدريس في كلية الآداب فيها ، أي قبل أن يتسلم مقاليد الوزارة في التعليم العالي ثم في التربية .

ولا غرو فالجامعة والمجمع ذوا رحم وقرابة ، وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض ، وانفردت لغتنا الحبيبة دون غيرها من اللغات جاعلة اشتقاق الاسمين من أرومة واحدة ، وكذلك كانا وسيبقيان فرعي دوحة واحدة ، دوحة العلم والمعرفة والثقافة والكرامة القومية الممثلة في الحفاظ على اللغة العربية ورفع شأنها إلى مستوى لغات العصر . ومن هنا كان تضافر الجهود بين الجامعيين والمجمعيين منذ البداية فأثمرت تلك الدوحة الباسقة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء ، أثمرت وأينعت وآتت أكلها وذللت قطوفها ، فكان من ذلك رسو جذور التعليم العالي باللغة العربية الصحيحة في قطرنا السوري منذ ست وخمسين سنة . بينما لاتزال الجامعات في الأقطار العربية الأخرى معرضة عن اللغة القومية ، متهيبة من الإقدام على التعليم بها ، ولو نصت النظم فيها صراحة على أن لغة التدريس فيها هي العربية ، لعلم المشرّع علم اليقين بجدوى التدريس بلغة البلاد الموحدة بين أجزائها المترامية ، والالتزام به ، شأن كل أمة تغار على كرامتها وتعتز بقوميتها مهما قلّ

عديدها ، فما بالك بأمتنا العربية المجيدة التي كرّمها الله بتنزيل القرآن عربياً ، وما حباها الله به من سعة في شتى المجالات ؟

هذا ، وكان مجمعكم قد شرع بعمله البنّاء قبل تكوين الجامعة أيان لم يكن في الشام سوى كلية واحدة للطب والثانية للحقوق . وهو جاد الآن كل الجد في لمّ الشعث وجمع الشمل ورأب الصدع بأن يولي وجهه شطر الجامعة كرة أخرى وقد أصبحت ثلاث جامعات تضم عدة كليات ، وقد أخذ الخلاف يدب لا بينها ولا بين كلياتها بل في القسم الواحد من الكلية الواحدة ، ويرمي من ذلك التآزر مع الجامعيين وهم نخبة ممتازة من العلماء الأجلاء ، لدعم العربية وتوحيد المصطلحات وإغناء اللغة بما استجد من المسميات وما أكثرها في هذا العصر الذي نعيشه عصر الذرة وغزو الفضاء .

وبعد ، فإن ما يرجوه المجمع بل ويلحف بالرجاء به أن يحظى من أولي الأمر بالدعم والتشجيع وأن لا يقتَّر عليه ، حتى يقوم بالعبء الملقى على عاتقه على أكمل وجه .

وأستميحكم المعذرة لهذا الاستطراد الوارد عرضاً ونحن في صدد استقبال أستاذ جامعي جليل كلنا أمل بأن يكون خير خلف لخير سلف .

والكلمة الآن للأستاذ عبد الهادي هاشم لاستقبال العضو الجديد .

٢ - كلمة الأستاذ عبد الهادي هاشم
في تقديم الزميل الجديد الدكتور شاكر الفحام

السيد وزير التعليم العالي ، السيد وزير الثقافة في الجمهورية التونسية ، السادة وزراء الدفاع والثقافة والسياحة ، سيدي الأستاذ الرئيس ، سادتي الرصفاء أعضاء المجمع ، سيداتي ، سادتي :

ما أعظم ، غبطتي ، وما أشد فرحتي إذ أستقبل اليوم باسم المجمع صديقاً كريماً عرفته منذ لواذ سبعة وثلاثين عاماً ، فما زادني كرُّ الأيام ومرُّ الأعوام إلا إعظاماً لعلمه وخلقه ، وإكباراً لفضله ونبله ، وقدْراً لفطانته وزكانته ، ولستُ بدعاً في هذا الشعور ، فما لقيه أحد ممن يعرفون للرجال أقدارهم إلا أعْجِب بسعة ثقافته ، وعمق تفكيره ، ورحابة أفقه ، ونفاذ بصيرته ، ومتانة خلقه ، وتمكنه من العربية وآدابها وعلومها وتراثها وتاريخها ....

أرحب اليوم بالدكتور شاكر الفحام رصيفاً عزيزاً في مجمع اللغة العربية وركناً مكيناً للعربية فيه ، يعتمد عليه ويوثق به وتناط به آمال الغُيُر كلّ الغير على تراثنا وقوميتنا ولغتنا .

أيها السيدات والسادة :

عرفتُ الزميل الكريم وكان لا يزال في نضارة الشباب وغضارة العود

فراعني جدّه وعلمه ، ونباهته وخلقه ، وتوسمت يومئذ أنْ سيكون لهذا الفتى الواعد شأن في نصرة لغتنا والتمكين لها ، وفي الحفاظ على تراثنا وصونه ونشره وإشاعة ذخائره . وقد حققت الأيام ما توسمتُه فيه وما توقّعتُه له ، وإني لأرجو مع ذلك أن يكون غده خيراً من يومه كما كان يومه خيراً من أمسه ، وأن يمضي قُدُماً في ما أخذ به نفسه من إعزاز لعربيتنا وقوميتنا وتراثنا ، وأن يُشَدّ به عضدُ إخوانه المجمعيين في ذلك كله .

وَلَوَدِدْتُ لو لم تمضِ سُنّةٌ للمجامع بتقديم ترجمة للأعضاء الجدد بين يدي استقبالهم ، إذن لأعفيتكم من التحدث عن نشأة زميلنا الكريم وتقدمه في ميادين البحث الأدبي واللغوي والتاريخي ، فما بكم من حاجة إلى شيء من ذلك ، وقد عرفتموه مجلّياً في هذه الحلبات كلها ، كما عرفتموه نصيراً للمجمع حافظاً لرسالته مضطلعاً بنشرها ، أميناً عليها ، قوياً على حملها ، فلأجتزىء بكلمات موجزات ، كتحلّة القسم ، تلخص نشأة رصيفنا الجديد وتومىء إلى بعض آثاره وأخباره :

ولد شاكر الفحام في مدينة حمص عام ١٩٢١ في بيئة وَرِعَة محافظة وفي أسرة عرفت بالتفقه والتَّدَيُّن والصلاح ، فشبّ متمسكاً بآداب دينه ، وأخلاق قومه . وقد تلقى دروسه الابتدائية وبعض الثانوية في مدارس حمص الرسمية ، ثم تحوّل إلى دمشق ليستكمل الدراسة الثانوية فيها ، فلما فرغ منها عُيّن عام ١٩٤١ معلماً موقتاً في قرية من قرى الجولان الحبيب اسمها (تسيل) . ثم أوفد إلى القاهرة لدراسة الأدب في جامعتها ، فلما نال الإجازة بذلك عاد إلى الشام وطفق يدرّس العربية في ثانويات دمشق وحمص والحسكة . ثم توجه كرّة أخرى إلى القاهرة عام ١٩٥٧

لاستكمال دراساته الجامعية العليا ، فاختار شاعرين من شعراء البصـــرة موضوعاً لرسالته في (الماجستر والدكتوراه) ، فجاءت أولاهمـا عن بشار في قرابة ٤٤٠ صفحة أحاطت — فيما أحسب — بكل ما يمكن أن يقال في هذا الشاعر المجدّد ، ووقعت الثانية عن الفرزدق في ٤٠٠ صفحـة لم تترك زيادة لمستزيد في الحديث عن هذا الشاعر الفحل ، وستمضي السنون تلو السنين قبل أن يضيف البحث العلمي الجادّ شيئاً ذا بال إلى ما جاء به زميلنا الكريم في هاتين الرسالتين ، ولعل اختياره في البدء هذين الشاعرين يجلو لنا إيمانه بوجوب العودة إلى الجذور الأصيلة في آدابنا ، وإيثاره المنابع الصافية الثرّة من تراثنا .

وبعد عودته من القاهرة سُمّي عام ١٩٦٣ مدرّساً للعربية في كلية الآداب بجامعة دمشق ، وكان عمله هـذا أحبَّ الأعمال إليه ، وأرضاها لنفسه وأقربها إلى هواه ، ولكن ما لبثت الرياح من بعدُ أنْ جرت بغير مـا يؤثر ويشتهي ، فقد بُعِث سفيراً إلى الجزائر حيث أقام زهاء أربعة أعوام وطّد فيها دعائم المودة والمحبة بين القطرين العربيين : سورية والجزائر ، وعقد وشائج الصداقة بين رجالاتها ، فلمـا عاد سنة ١٩٦٨ إلى دمشق اختير رئيساً لجامعتها وأستاذاً فيها ، وانتخبه بُعَيْد ذلك أعضـاء المجمع زميلًا لهم فيه ، ثم تقلب بعد رئاسة الجامعة في مناصب وُسّدت إليه ، فأصبح رئيساً للجنة الثقافية في مجلس الوزراء ووزيراً للتعليم العالي ثم للتربية ... ولا يزال على رأس هذه الوزارة إلى اليوم ، إلى جانب قيامه بتدريس العربية في الجامعة .

على أن هذه المناصب التي تسنّمهـا وما تستتبعه من مشاغل مضنية متعبة لم تصرفه عن هواه الأول : البحث والمطالعة وخدمة العربية ، فهو

سفيرٌ في الجزائر ولكنه يتابع العناية بالفرزدق مثلاً ويصنع مقدمة وافية ضافية لديوانه الذي نشره مجمعنا مصوراً عام ١٩٦٥ ، وهو وزيرٌ للتعليم العالي وينشر في مجلة المجمع كتاب (اللامات) ويترجم لمؤلفه أبي الحسين أحمد بن فارس ، ويتحدث عما أُلّف في اللامات قبله وعن شيوخ المؤلف في نمط من البحث معجب محكم فريد . ويعمل ، وهو وزير للتربية ،على تحقيق أمنية طالما رنا المجمع إلى إنجازها ، وأعني بذلك نشر كتاب (الدلائل في غريب الحديث) لأبي محمد قاسم بن ثابت العوفي السرقسطي ، الذي كان المرحوم الأستاذ التنوخي قد عقد العزم على نشره ، ولكن لم يقيض له الوفاء بما أزمعه ، فيأتي الدكتور شاكر وينشر ، في الجزء الأخير الذي صدر من مجلة المجمع ، دراسة وافية في الموضوع ، يستهلها بالكلام على كتب الغريب قبل كتاب ثابت وكيف نشأ علم غريب الحديث ومن هم فرسانه المجلون .... وسيتلو هذه المقدمة إن شاء الله فصولٌ ودراسات ونصوص متصلة بهذا الموضوع لا أحب أن أستبق الحديث عنها قبل صدورها .

حدّثتكم أيها السادة عن زميلنا العالم المحقق ، وأود أن أضيف إلى ما تقدم كلمة عن شاكر والمجمع ، فقد أحب زميلنا الكريم مجمعنا هذا منذ أن شدا شيئاً من العربية ، وقد حدثني مرة أن من أسعد أيامه ذلك اليوم الذي هبط فيه دمشق لاستكمال دراسته الثانوية ، فقد أهْرع إلى الظاهرية التي طالما سمع بها ، وإلى المجمع الذي شدّ ما تاقَ إلى رؤيته ، فكانت العادلية والظاهرية من أحب معالم دمشق إليه ، ولقد ظل لهما وفياً ، وبهما حفيّاً ، ينهل من كنوزهما ويذاكر رجالاتها ويدفع عنهما الأذى ويكشف عنهما الضرّ إذا ما أراد بهما أحد شراً . أذكر أن مشروعاً رفع

إلى الدولة عام ١٩٦٩ رأى فيه القيّمون على المجمع إساءة له وإضراراً بالظاهرية ، وأوجسوا خيفة من عقابيله ، فلجأ بعضهم إلى شاكر ، وكان يومئـذ على رأس جامعة دمشق ، كي يعين في دفع النازلة ، فاستجاب لهم ، وتصرف بما عرف عنه من كياسة وسياسة وحنكة ، حتى نجح في طيّ ذلك المشروع . وقد أصبح منذئذ المدافع عن حياض المجمع ، المحامي عن عرينه ، المنتصر له إذا ما تعرّض لعداء حاقد موتور ، أو كره حاسد مقهور .

ويعد فزميلنا الجديد مدرسة في إشراق أسلوبه ، وجمال ديباجتـــه وإحكام نسجه ، وعذوبة بيانه ، وسلامة طبعه . أقرأ لكم نموذجاً من كتابته العلمية قبسته من أول صفحة وقعت عيني عليها في أحد كتبه ، يقول في حديث له عن تمصير البصرة :

« ... ذلك بأن القبائل العربية التي أذن لها أن تسيح في الأرض تعلي كلمة الله وتبشر بالهدى ودين الحق ، لم تلبث ، وقد يُسّر لها الفتح ورُزقت النصر ، أن استوطنت الحواضر ونزلت المدن ورابطت في الثغور ، تثبت دعائم الإسـلام وتنشر تعاليمه وتقيم في منازلها الجديدة حياة تـلائم مادعت إليه ونادت به ، وكان الخلفاء أمراء المؤمنين ، وعمر بن الخطاب خاصة ، يحضون القبائل على استيطان الحاضرة ، ويؤثرون أهلها على البُداة ، فإذا العرب يملئون البلاد مابين أقصى خراسان إلى إفريقية ليكونوا القوّامين على الدعوة التي ائتمنوا عليها ، وكان عجباً عاجباً أن يستجيب العرب هذه الاستجابة الطائعة ، يتقبلون ما دُعوا إليه ، ويسرعون متحمسين في إنفاذه والعمل به ، وإذا القبيلة الواحـدة التي كانت تشدها أواصر العصبية في جاهليتها إلى مواطن متقاربة لتظل قوية بتماسكها ، قد توزعت في الأمصار

المختلفة المتنائية ، لتساكن قبائل أخرى كانت تنازعها ، فإذا هم في الدار الواحدة إخوة يجمعهم الإسلام، وتظلهم رايته ، ويحميهم شرعه ، وإن المرء ليبهر لهذه المقدرة الفائقة التي قاد بها الخلفاء الأولون حركة الفتوح والاستيطان ، وللمعاني البعيدة التي رموا إليها حين حثوا الناس على إيثار الحاضرة ، وحين فرّقوا القبيلة أجزاءً وجهوا بكل منها إلى وجه من وجوه الفتح ، وحين جعلوا البلد الواحد قسمة بين قبائل شتى ... ثم حين أرسلوا حملة القرآن وصحابة النبي يُقرئون الناس القرآن ، ويعلمونهم أمور الدين ، ويأخذونهم بآدابه ، لتعصمهم العقيدة المتمكنة في النفس أن تنزع بهم نزعات الجاهلية ، وتنأى بهم عن تعاليم الإسلام .... » اه

هذا نموذج ، أيها السادة ، لم أتخيره ولم أتنخله ، قرأته لكم لتروا هذا الطراز المحكم من الأسلوب العربي المبين ما أحوجنا إلى تقيّله وبثه في أقلام الناشئة من كتابنا وطلابنا .

ولو كان في الوقت متسع لقرأت لكم شيئاً من محاضراته البارعة في الأدب الأندلسي أو الأدب الجاهلي على طلاب الجامعة ، أو أسمعتكم شذرات من بحوثه وتحقيقاته التي بلغت الغاية في التثبت والتمكن والإحاطة ، وفي صحة الحكم ، وإيثار القصد ، والبعد عن الهوى . وإذا قال القدماء في كتب الجاحظ : إنها تعلم العقل أولاً والأدب ثانياً فإن لنا أن نقول : إن دراسات شاكر تعلم صحة التفكير ، ودقة النقد ، وجمال التعبير .

وبعد فأعضاء المجمع ، وإن قيل إنهم الخالدون ، كتب عليهم ما كُتب على الذين من قبلهم، يتعاقبون على حمل الرسالة وأداء الأمانة ، فإذا سقطت الراية من يد أحدهم نهد لها من يمضي إلى إعلائها والسير بها إلى الغاية :

إذا مُقْرَمٌ منّا ذرا حدُّ نابه تَخَمَّط فينا نابُ آخر مُقْرَم

ولئن لقي الأمير الشهابي وجه ربه إن لنا في خلفه الدكتور الفحام عزاءً ورجاءً وأملاً .

بورك لأخي شاكر في هذا الحب الذي محضه إياه زملاؤه المجمعيون ، وفي دعوتهم إياه ليكون واحداً منهم في رحاب هذا المجمع ، وبورك لنـا – نحن المجمعيين – بالعضو الجديد يشد عضدنا ، ويشارك في حمـل رسالتنا ، ويساهم في الحفاظ على لغتنا وقوميتنا وعروبتنا باقيـة راسخة خالدة على وجـــه الدهر . والسلام عليكم ورحمة الله .

٣- كلمة الدكتور شاكر الفحّام

السيد رئيس المجمع ، السادة المجمعيون ،

السيد الأستاذ محمود المسعدي وزير الثقافة في الجمهورية التونسية الشقيقة ،

السادة الوزراء ، أيها الأخوات والأخوة الأعزة .

أقف في مقامي هذا يُظلّني التهيب ، أذكر بالتوقير والتجلة أولئك الأفذاذ الخالدين الذين وطّؤوا لنا الطريق ودمّثوا صعابه .

ظهروا والناس يخبطون في ظلماء ، تتقاذفهم السبل ، وقد أحيط بالعربية المبينة ، فإذا هي غريبة بين أهلها ، لا يكاد يفصح بها لسان ، فكانوا كإشراقة الفجر في يوم ربيع .

أتمثلهم أمام ناظريّ ، وقد ركزت الراية العربية في دمشق ، يوم الثلاثين من ايلول ١٩١٨ معلنة ميلاد الدولة العربية الجديدة . فهبوا يتنادون ، والهمة ملء برودهم ، يجيبون داعي العربية ، دائبين في خدمتها ، لا يملّون العمل ولا يعرفون الكلل : أنشئت الشعبة الأولى للترجمة والتأليف في ٢٨ تشرين الثاني ١٩١٨ فكانوا نواتها الحية ، نمت فأنبتت النبات الحسن ، فلما قام ديوان المعارف في ١٢ شباط ١٩١٩ مقامها بذلوا وجهدوا ، حتى

أذن الله بظهور المجمع مستقلاً في الثامن من حزيران ١٩١٩ بفرسانه الثمانية ، فمضوا يشقون طريقهم صعداً ، لا تثنيهم عقبة مهما صعبت ، ولا يصدّهم حاجز مهما علا : أحيوا المدرسة العادلية الكبرى لتكون مقراً لمجمعهم إيذاناً بهمة الإحياء الكبرى التي ينهضون بهـا ، وأخلصوا لما انتدبوا له : مسحوا عن وجه العربية ما علق به ، ونزّهوا العربية عن كل ما يتخوّن جماله

إنّا إذا حُطْمَةٌ حتّت لنا ورَقاً غارسُ العُودَ حتى ينبت الورقُ

لقد صدقوا العهد وأوفوا بالوعـد وعملوا ليلهم ونهارهم لا يفترون ، لله أبوهم ! جروا في ميدان العربية فبرّزوا ، وتغلغلوا في شعاب الكلام فأبانوا عن جمـاله ، وبذلوا حتى أنجحوا ، وعبّدوا الطريق لاحباً ناهجاً لمن جاء بعدهم ، وانضم إليهم إخوان لهم ، لحقوا بهم في مسيرتهم ، يشدّون من أزرهم ، ويقتفون خطاهم ، فاستد الساعد ، وتراءت العربيـة بهيجة ، « كالشمس يوم طلوعها بالأسْعُد » تختال بأثوابهـــا القشيبة ، مزهوة من الحسن . نادوها فلبت من قريب ، لم يستعص عليها شيء ، فإذا الناس يقرؤون صنوف العلوم بلسان عربي مبين ، لا عجمة فيه ولا رطانة ، يبهر بحسنه « مثل وشي اليمنة الحبرة » ، وتداول الراية رجال بعد رجال ، حراص على الأمانة ، يكمل لاحق ما بدأه سابق ، وهـــا هو ذا المجمع يتعالى شامخ الذرا ، دعائمه أعزّ وأطول ، يستقبل عامه السادس والخمسين لم تهن قوته ، ولا لانت قناته ، ماضياً يجري على غلوائه ، يستمد من قدسية هذه اللغة المباركة عزماً لا يفلّلُ حدّه .

في صورته ملامح نهضتنا العربية الحديثـة ، فهـــو أول مؤسسة ثقافية أرست الدولة العربية قواعدها ، فنسـج لها من حلل العربية الخالدَ الباقيَ على الدهر ، زين به وجه الدولة وأعاد إليها لسانهـا ، وأزاح عنها

غربتها ، وما زال يمدّ العربية بكل حاجها من كلم ومصطلحات لمستحدثات العصر ، لتظل العربية اللغة الفتية الناضرة على تطاول الزمن ، تحمل إرث الأجداد : علومهم وآدابهم ، وتعبر عن أفكار العصر : علومه وآدابه .

وأقرأ سيرة المجمع ، وأقلبُ صفحاته البيض النواصع ، فأشعر بالاعتزاز أن يقتدر المجمع — وكان يعاني من القلة والضنك ما يعاني — على صنع ما صنع ، ولست أقوى أن أعدد أياديه ولا من همي أن أعد منها ، ولكني أقف أمامها مكبراً لأولئك الرجال الأمجاد ، معجباً بسيرتهم ، رجال لو احتفلت الدنيا ما تزينت إلا بهم ، أما من قضى منهم ولقي وجه ربه فسقى الله أجداثهم الطاهرة صوب رحمته ، ولقاهم نضرة وسروراً ، وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً .

يبلى الفتى في قبره وفَعاله غضٌّ جديد

وليبارك الله أعمال الباقين ، ويشد من عضدهم ، ويفسح لهم في أعمارهم ليؤدوا رسالة العربية أحسن ما يكون الأداء ، وليكونوا الحفظة لها ، وليسلموا الأمانة إلى الأمناء من بعدهم كما تسلموها ممن سبقهم ، ولتتألق العربية وضاءة مشرقة أبد الدهر .

وإن مما يثلج الصدر أن مجمعنا لم يبق وحيداً في الساحة ، فقد رفده في عمله مجمعا القاهرة وبغداد ، وجامعات الوطن العربي التي ارتضت العربية لساناً علمياً لها ، وفي طليعتها جامعات الجمهورية العربية السورية ، فقطعت بالحجة الفالجة مزاعم المكابرين ، وأخرست ببيانها الناصع ألسنة المرجفين .

السيد رئيس المجمع

تلح عليّ ذكرى قديمة حبيبة ، حبستها النفس ضناً بها ، تلك هي ذكرى زيارتي الأولى لمجمع اللغة العربية ، وألتمس العذر أن استجزت قص خبرها .

كنا ، ونحن في حمص ، أيام الدراسة الثانوية ، نتسقط أخبار المجمع ومجلته ، ونستمع إلى أحاديث رفاق لنا ، يدرسون بدمشق ، عن دار الكتب الظاهرية وما حوته خزائنها من أعلاق الكتب النفيسة المخطوطة والمطبوعة ، وكنا نتشوف إلى اليوم الذي يتاح لنا فيه أن نزور دمشق لنقف في رحاب الظاهرية ومجمع الخالدين .

كان الفضل كل الفضل في تعلقي بالمجمع والظاهرية ، وفي تحبيب الخزانة العربية إليّ ، يعود إلى أستاذيّ الكبيرين : الأستاذ المرحوم عز الدين التنوخي ، طيب الله ثراه وبرّد مضجعه ، والأستاذ عبد الهادي هاشم ، درست عليهما فكانا لي خير معلمين ، أرشداني إلى تراث الأجداد ، وأخذا بيدي ، وبثا في قلبي حب العربية والتعصب لها . فرحم الله أبا قيس ، وأثابه ، وشكر الله للأستاذ عبد الهادي هاشم ومد في حياته ، وجزاهما على ما قدماه للعربية الجزاء الأوفى .

ثم تحقق الأمل يوم أبلغت أن قد قبلتُ بثانوية دمشق (جودت الهاشمي الآن) لدراسة البكالوريا الثانية - فرع الرياضيات - وتملكتني فرحة غامرة ، أحقاً أني سأعيش بدمشق حيث المكتبة الظاهرية والمجمع العلمي العربي ، وجئتُ دمشق طالباً داخلياً ، ونعمت بالتردد على الظاهرية أم المكتبات وملاذ التراث ، مرة بعد مرة ، كلما واتت الفرصة ، ثم بلغنا النبأ : أن الأستاذ الكبير محمد كرد علي رئيس المجمع يريد أن يحاضر في المجمع ، وجاهدتُ - علم الله - ليتاح لي أن أحضر واستمع .

كان ذلك في أمسية يوم من أيام أيار ١٩٤١ ، ما زلت أذكره وكأنه حدث أمس ، وكيف أنسى ، وأنا المتشوق لأرى تاج الخالدين وأنقع ظمأً تطاولت أيامه ، والذاكرة آنذاك حية متوقدة ، وعودُ الشباب رطيب ، والحكمة تقول : العلم في الصغر كالنقش في الحجر .

وفي هذه القاعة نفسها جلسنا نستمع للشيخ ـ سقته غوادي المزن ـ وهو جالس أمـام منصة صغيرة في زاوية القاعة ، يتحدث عن (غوطة دمشق) بصوت هادىء ، يتوقف أحياناً وعينه أبداً على القرطاس . لم يكن المحاضر الذي تخيلته ، المنطيق المفوّه ، ذا الصوت الجهوري ، المتدفق كبحر ، ولكني نعمت بحديث الشيخ ، وألفت نغمته الرتيبة وسكونه في جلسته ، فعل عالم محاضر ، واحتفظت بحديثه رطباً غضـاً في نفسي حتى اليوم ، ما ذكرته وذكرت فرحتي به إلا تمثلت بكلمة الأعرابي في حديث من أحبها :

وحديثهـــا كالقطر يسمعه   راعي سنين تتابعت جـدبا
فأصاخ يرجو أن يكون حيا   ويصيح من فرح هيـا ربا

وبعد ، فإني أتقدم إليكم ، يا سادتي المجمعيين ، وأنا عاجز أن أفيكم حقكم من الشكر والحمد ، فسحتم لي مكاناً في ندوتـكم الخالدة ، ونوهتم بي حين آثرتموني ، ولست بالسابق الموفي على الغاية ، وأرجو أن أعان على ماندبت إليه .

وأتلفت بوجهي إلى السادة الخالدين الذين شهدوا جلسة المجمـع في العاشر من تشرين الثاني ١٩٧٠ فكرموني بانتخابهم وأجلّوني باختيـارهم ، أرفع إليهم تحيتي الخالصة الطيبة اعترافاً بفضلهم عليّ ، وأصفي الشكر أستاذي وأخي الأستاذ عبد الهادي هاشم الذي أسبغ عليّ من أدبه وخلقه ما عظّم به صغيري ، وكثّر به قليلي .

ثم أعود فأستمطر شآبيب الرحمة على الراحلين من الخالدين بعد جلسة المجمع التي تم فيها انتخابي ، وكنت أرجو أن يسعدني الحظ بلقائهـم في هذا الحفل وهم المرحومون الدكتور محمد سامي الدهان والدكتور صلاح

الدين الكواكبي والأستاذ عارف النكدي ، وعزائي أنهم ببلائهم وإخلاصهم وذيادهم عن الفصحى كانوا حديثاً حسناً لمن روى .

سادتي المجمعيين :

يؤسفني أن تواترت عليّ أعمال لاتنتظـر ، شغلتني عن التهيؤ لحفل الاستقبال في موعده وأكرهتني أن أرجئه مرة بعد مرة ، وقد أبى عليّ السيد رئيس المجمع أن أمضي فيما أنا فيه وعزم عليّ فلم يسعني إلا أن ألبي رغبته ، على تزاحم الأعمال ، ولم أعـــدّ للأمر عدته ، ولا اتخذت لـه أهبتـه .

وحفلُ الاستقبال من سنن المجمع العريقة ، أشار به الأمير شكيب أرسلان — وما أكثر مآثر الأمير ومحامده في خدمة العرب والعربية — فاستحسنه المجمع وجرى عليه منذ عام ١٩٢٢ .

وتقتضيني سنة المجمع — وأجْمِلْ بها من سنة — أن أتحدث عن الراحل الخالد سلفي في هذا المقعد : الأمير مصطفى الشهابي .

وأستميحكم العذر إن لم أقدم إليكم ترجمة ضافية نقدية ، وإنما هي شذرات اخترتها ، أجزأتني في الدلالة على الرجل وعصره وعلمه ، واكتفيت بها بعد أن سبقني سابقون كتبوا عن الأمير صفحات حلوة ناصعة : كتب الأستاذ عدنان الخطيب نائب رئيس المجمع كلمته الحافلة في ذكرى الفقيد بعيد وفاته فاستقصى وأوعب ، وقيلت كلمات تحدث بها عارفوه في حفل تأبينه الذي أقامه مجمع القاهرة في التاسع والعشرين من تشرين الأول ١٩٦٨ ، وللأمير ترجمة ذاتية في المجمع تجمع بين التدقيق والاستقصاء ، أرجو أن أوفق لنشرها على صفحات مجلة المجمع التي أحبها الأمير ، ففيها غنية للمستزيد .

* * *

ينتمي الأمير مصطفى الشهابي إلى أمراء بني شهاب القرشيين المخزوميين، الذين استوطنوا وادي التيم في المائة السادسة للهجرة.

ولد في أول تشرين الثاني سنة ١٨٩٣ بمدينة حاصبيا قصبة وادي التيم ومقر الشهابيين القديم، لسبع عشرة سنة خلت من حكم السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ - ١٩٠٩) «وكان عهد السلطان عبد الحميد الثاني الذي ولدتُ وترعرعتُ في أيامه، من أفظع عهود الظلم والقسوة والرشوة والاستبداد، فقد كانت الأفواه مكمومة، والأقلام محطمة».

وكانت مدينة حاصبيا مسقطُ رأس الأمير مركز قضاء حاصبيا بقراه التسع عشرة، وترتبط إدارياً بلواء الشام (دمشق) أحد الألوية الأربعة التي تتألف منها ولاية سورية آنذاك(١).

عاش الشهابي في حاصبيا سنواته العشر الأولى، دخل مدرسة الحكومة الابتدائية في السادسة من عمره، فدرس فيها مبادىء القراءة والكتابة والقرآن والحساب والجغرافية، ثم انتقل في سن التاسعة إلى المدرسة الكاثوليكية ببلدته فتعلم مبادىء الفرنسية. ولما بلغ العاشرة من عمره(١٩٠٣) قدر له أن يغادر حاصبيا، فقد كان أبوه محمد سعيد بن جهجاه الشهابي موظفاً في مالية ولاية سورية، نقل عمله إلى مدينة بعلبك مركز قضاء بعلبك بقراه الست والسبعين، والمرتبطة إدارياً بلواء دمشق، فصحب معه ابنه إليها.

ولئن قدر للشهابي أن يفارق بلدته حاصبيا وهو غض العود لين الإهاب لم يجاوز العاشرة من عمره، إنَّ صورتها الجميلة لم تفارقه، ظلت منقوشة في صدره تملأ عليه نفسه، لم تزدها رحلاته وأسفاره، على تعددها

---

(١) الألوية الأربعة هي: لواء الشام (دمشق)، ولواء حماة، ولواء حوران ولواء الكرك (معان)، وكانت مدينة دمشق مركز ولاية سورية.

وتنوع ماشاهد فيها ، إلا جدة وتألقاً . كان يذكر دائماً ، بالحب والشوق ، تلك المدينة الغافية في حضن جبل الشيخ ، حرمون ، جبل الثلج(١) ، يحنو عليها بجناحه الغربي ، وهي تتيه مزهوة ، بمدرجها الجبلي الذي حبته الطبيعة بأجمل هباتها وهداياها ، وتغسل رجليها بمياه الحاصباني العذبة الرقراقـة ، تزهر بيوتها البيض ، تحفها من حولها جنان ذات بهجة ، فتذكر بقول الأوسية وقد سئلت : أي منظر أحسن ؟ فقالت : « قصور بيض في حدائق خضر » . وهل يقوى أن ينسى مسرح طفولته ومرابع صباه ؟ .. كان وهو يتحدث عنها يكاد يبسطها تامة بين يديك ، يجمع لك ماضيها وحاضرها ، يفتنُّ في الوصف ، حريصاً ألا تفوتك صغيرة من دقائق جمالها . يثب الفـرح من كلماته وهو يروي قصة صباه ، تراه قافزاً في الماء ، أو منطلقاً وراء صيد ، وكأنه يردد :

أحبُّ بلاد الله مابين منعج إليَّ وسلمى أن يصوب سحابها
بـلادٌ بها نيطت عليَّ تمائمي وأول أرض مس جلدي ترابها

---

(١) جبل الشيخ : جبل شاهق عالي الذرا ، في جنوبي دمشق إلى الغرب ، ويسمى في النصوص القديمة : حرمون . يبلغ ارتفاع أعلى قممه ٢٨١٤ م . (شارة حرمون) ؛ وتقوم على مقربة منها بقايا قصرشبيب التبعي . اطلق عليه العرب اسم جبل الثلج ، لأن الثلوج تكلل هامته « والثلج على رأسه كالعمامة » . قال حسان بن ثابت الأنصاري يذكر خاليه من غسان :

ملكا من جبـل الثلج إلى جانبي أيلة من عبد وحـر
ثم كانا خير من نال الندى سبقا الناس بإقسـاط وبر

ولما حل جند دمشق كورة البيرة في الأندلس ، سموا غرناطة : دمشق ، لأنها أشبه شيء بها ، وسموا جبل شلير (بلفظ التصغير) القائم في جنوبي غرناطة المطل عليها : جبل الثلج ، وشبهوه بالشيخ إذ تردى بالثلج وتعمم ، ولبس البرنس الأبيض .

ولا ينسى أن يختم كلماته بأن حاصبيا قد أطلعت عالمين كبيرين هما الفارسان : فارس نمر (١٨٥٥ - ١٩٥١) في مصر ، وفارس الخوري (١٨٧٧ - ١٩٦٢) في الشام ، ولقد عززهما رحمه الله بثالث بلغ في فنه الغاية .

قضى الشهابي ببعلبك سنة واحدة ، دخل فيها مدرسة (المطران) ، وانتقل بعدها بانتقال والده إلى معلقة زحلة مركز قضاء البقاع بقواه التسع والخمسين ، وأحد الأقضية التسعة التي يتألف منها لواء الشام[1] ، فالتحق فيها بمدرسة الموارنة وهي مدرسة حسنة التعليم كان من معلميها موسى نمور الذي صار في سنة ١٩٢٦ رئيساً لمجلس النواب اللبناني .

مكث الشهابي في مدرسة الموارنة سنة ليهبط بعدها دمشق في الثانية عشرة من عمره (١٩٠٥) فدخل المدرسة البطريركية الكاثوليكية وقضى فيها سنتين درس فيها العربية والفرنسية ومبادىء العلوم العصرية .

أتاحت هذه النشأة للشهابي أن يبدأ تعلم اللغة الفرنسية صغيراً ، في أيام صباه ، وتابع تعلمها فكانت خير زاد له في شبابه حين سافر من بعد إلى فرنسا للتخصص ، وفي كهولته حين بدأ الكتابة والتأليف ووضع المصطلح العلمي .

ولكن مايعنينا هنا هو أن نشير إلى جانب هام خلفته هذه الدراسة في نفسه ، ذلك أن الشهابي الطالب قد رأى عياناً غلوّ القوم في العناية بلغتهم ، وحماستهم لتعليمها ، وما كانوا يصطنعون من أساليب لتعويد الطلبة على الحديث بها وإجادة نطقها . « كنا نجبر على التكلم بالفرنسية ، حتى في

(١) الأقضية التسعة التي يتألف منها لواء الشام (دمشق) هي : قضاء الشام ، قضاء بعلبك ، قضاء البقاع ، قضاء النبك ، قضاء دوما ، قضاء وادي العجم ، قضاء حاصبيا ، قضاء راشيا ، قضاء الزبداني .

زمن الدولة العثمانية ، وكل من كان يتكلم بغير الفرنسية كان يغرم غرامة نقدية ، وقضية الخشبة المسماة : علامة ، التي تعطى للتلميذ المتكلم بغير الفرنسية قصة مشهورة » وحفزه ذلك أشد الحفز من بعد للدفاع عن العربية الفصحى والاعتزاز بها ، والدعوة لنشرها بين طبقات الشعب ، كان يحلم باليوم الذي تسود فيه الفصحى المعربة المبينة ، وكان يرمضه أن يشهد غفلة الأمة عن لغتها ، وتغافلها عن النزعات الشعوبية التي تشجع اللهجات العاميـة وتبيت الشر لهذه اللغة الخالدة التي حفظت على الأمة العربية وحدتها ، وظل حياته كلها مشرع القلم ذياداً عن الفصحى التي دفعت عن الأمـــة العربية غائلة التجزئة والشتات : « وبعد ، ان قوميتنا في خير مادامت لغتنا الفصحى في خير » .

غادر الشهابي دمشق وبلاد الشام وهو في الرابعـة عشرة من عمـره (١٩٠٧) ليسافر إلى الآستانة ، بصحبة شقيقه عارف الذي كان يكبره بأربع سنين ، والذي كان يدرس في المدرسة الملكية العالية بالآستانة ، والتحق الأمير مصطفى بمدرسة إعدادية فرنسية في حي (قوم قبو) تشرف عليها جمعيـة دينية مسيحية تدعى بالفرنسية Augustins de l'Assomption

وكان أخوه عارف من دعاة القومية العربية المتفانين في سبيلها ، لم يكتف بمتابعة دراسته في المدرسة الملكية العالية ، بل جمع إليها القيام بعبء تـدريس حلقة من الشباب العرب في الآستانة علوم اللغة العربية وتاريخ العرب وحضارتهم ، وكان الأمير مصطفى أحد رواد هـــذه الحلقة : تلقى على أخيه عارف ، واستمع إلى أحاديثه في القومية العربية ووسائل النهوض بالأمة العربيـة .

وامتدت إقامة الشهابي في الآستانة سنتين فتحتا عينيه على أشياء جديدة كثيرة ، ومدت من آفاق رؤيته ، دخل الآستانة والسلطان عبد الحميد يتابع

سياسة الاستبداد والقهر ، وشاهد بعد ذلك الاتحاديين (جمعية الاتحاد والترقي) وقد أطاحوا بالسلطان وأمسكوا بزمام الأمور فتظاهروا للعرب بالمودة ، ولاينوهم بادىء ذي بدء ثم مالبثوا أن قلبوا لهم ظهر المجن ، وأنكروا عليهم كل حق ، ونهجوا سياسة طورانية مغرقة في تعصبها وعنصريتها ، حاولوا أن يطمسوا بها حضارة العرب ومجدهم ، وأن يمحوا لغتهم ، وحفظ فيما حفظ تغنيهم بمجد جنكز خان وبطولاته ، يريدون أن يقرنوه ويعدلوه بالرسول العربي الكريم .

وكانت تسري إليه همسات الشبان العرب من قومه ، وهم يتحدثون عن أمتهم وماضيهم المشرق وما يتطلعون إليه في غدهم : كانت أحلامهم عراضاً ، وآمـــالهم بعيدة ، يتشوفون باللهفة والشوق إلى قيام الدولة العربية الواحدة ، يرونها قريبة منهم رأي العين ، « وكنت في تلك الأيام ، أي بين سنة ١٩٠٧ وسنة ١٩٠٩ تلميذاً في اسطنبول ، ولم تكن سني تجيز لي الاشتراك في أحاديث هؤلاء الشبان ، ولكنني كنت أسترق السمع ، وأصغي إلى تلك الأحاديث ، وقد علق بذهني ما تأكدته بعد سنين وهو أن اليقظة القومية كانت قد سرت إليهم جميعاً » ، « كان يهمس أحدنا في أذن أخيه قائلاً : أترى يتاح للأمة العربية شاعر قومي يوقظ منها النيام المسبتين والكسالى الخادرين » .

أنهى الأمير عارف دراسته في الآستانة عام (١٩٠٩) وعاد إلى دمشق وبصحبته الأمـير مصطفى ، وكان قد أنهى دراسته في المدرسة الاعدادية الفرنسية ، فدخل المدرسة السلطانية الثانوية (مكتب عنبر) بدمشق ، كان آنذاك في السادسة عشرة من عمره ، ولبث في المدرسة سنة واحدة ظل يذكرها بمرارة وأسى : « أتذكر أني درست سنة واحدة في المدرسة الثانوية الحكومية بدمشق ، وهي سنة ١٩٠٩ ، فكان مدرس العربية رجلا تركياً

شدا شيئاً من لساننا ، وهو لايفرق بين المذكر والمؤنث ، ويتكلم العربية بلهجة تركية سقيمة ، وكان يدرسنا لساننا بكتاب تركي لتعليم اللغة العربية » .

وشاء الحظ أن يأخذ بيد الشهابي ، تألفت بدمشق عام ١٩١٠ جمعية من كبار رجال الفيحاء ومفكريها سميت « جمعية البعثات العلمية » فاختارت لدراسة العلوم الزراعية ثلاثة من نابهي الطلاب هم : الأمير مصطفى الشهابي والأستاذ عز الدين التنوخي وعبد الغني الشهبندر ، وذهب الطلاب الثلاثة إلى فرنسا والتحقوا بالمدرسة المهنية في مدينة (شالون ـ سور ـ سون) ، وحصل الشهابي بعد سنة دراسية على شهادة الدروس الابتدائية العليا ليدخل من بعد مدرسة غرينيون الزراعية العالية(١) ، قضى فيها ثلاث سنين ليتخرج منها في الحادية والعشرين من عمره (١٩١٤) مهندساً زراعياً .

وليس من همـي أن أشير إلى شتى المؤثرات العلمية والأخلاقية التي تلقاها في فرنسا وإنما أكتفي بالإشارة إلى صلته بدعاة القوميـة العربيـة الذين قصدوا باريس ، وأسسوا جمعية (العربية الفتاة) ، كان يتردد عليهـم ويستمع إليهم ، ثم كان شهوده المؤتمر العربي بباريس في حزيران عام ١٩١٣ ، لم يتجاوز في عمله نطاق هذه الدائرة من الصلة ، فقد كان بطبعه معتدلاً يؤثر متابعة الدراسة ، والنجاح فيما قصد له ، تحدث عن المؤتمـر العربي الذي شهده بباريس فقال : « وكانت مهمتي فيه أنا ولفيف من الطلاب الرياضيين بسيطة ، لم تتعد التهيئة ومراقبة الأعداء وحفظ النظام » .

وغادر الشهابي باريس في صيف ١٩١٤ إلى فروق . عاصمة بني عثمان ، وتقدم إلى فحص شهادة التعادل العثمانية ، أسوة بخـريجي المدارس الطبيـة

(١) مدرسة غرينيون : مدرسة زراعية وطنية ، افتتحت في عام ١٨٢٦ في قصر شيد أيام لويس الثالث عشر ، بقرية ثيفرفال ـ غرينيون (قرية صغيرة في منطقة فرساي) ، وهي اقدم مدرسة من نوعها في فرنسا .

والحقوقية الأجنبية ، ليكون له الحق ببلوغ المناصب العالية في الدولة ، فنجح في فحصه .

وشبت الحرب العالمية الأولى ، واضطر الشهابي أن يلتحق بصفوف الجيش العثماني وتقلب في أعمال عدة : بدأ فدخل المدرسة الحربية في اسطنبول مرشحاً لرتبة ضابط احتياط في المشاة ، ثم التحق بمدرسة البرق والهاتف الحربية في قصر « يلدز » ليقضي فيها ستة أشهر ، يتخرج بعدها برتبة وكيل ضابط احتياط ، ويعين قائد فصيل في سرية البرق في القدس ، لينقل من بعد ترجمانا في رهط البرق واللاسلكي بدمشق ، حيث حاز رتبة ملازم ثان احتياط ، وحلت سنة ١٩١٦ بكل مآسيها ، فازدادت المجاعة في الشام ، ومن أجل مواجهة ذلك أنشأت الحكومة العسكرية سرايا زراعية ، وعين الشهابي قائداً لسريتين في مرج ابن عامر ثم في بيسان ومجدل طبرية ، فقام بتجارب زراعية علمية .

وفي سنة ١٩١٨ عين مديراً لزراعة الجيش بدمشق ، وكان جمال السفاح قد غادر الشام .

ولما انحسر سلطانُ الترك عن بلاد الشام وقامت الحكومة العربية في سنة ١٩١٨ ، بدأ الشهابي حياته الحكومية : شغل منصب مدير الزراعة والحراج خمس سنين (١٩١٨ - ١٩٢٣) ثم مدير أملاك الدولة إحدى عشرة سنة (١٩٢٣ — ١٩٣٤) ثم مدير الاقتصاد الوطني (١٩٣٥) ليتولى من بعد وزارة المعارف (١٩٣٦) ، واختير واحداً من أعضاء الوفد السوري المفاوض لمعاهدة (١٩٣٦)[1] ، ثم أصبح محافظ حلب (١٩٣٧ -

(١) كان الوفد السوري المفاوض لمعاهدة ١٩٣٦ مؤلفاً من ستة أعضاء هم السادة : هاشم الأتاسي رئيس الوفد ، وفارس الخوري ، وجميل مردم ، وسعد الله الجابري ، ومصطفى الشهابي ، وإدمون حمصي .

١٩٣٩) ، وأسندت إليه بعد ذلك وزارة المالية ووزارة الدولة للمالية والاقتصاد الوطني (١٩٤٣) ثم تسلم محافظة اللاذقية (١٩٤٣ - ١٩٤٥) فالأمانة العامة لرئاسة مجلس الوزراء (١٩٤٥) وعاد فأصبح محافظاً لحلب للمرة الثانية (١٩٤٦ — ١٩٤٧) فمحافظاً للاذقية للمرة الثانية (١٩٤٨ - ١٩٤٩) فوزيراً للعدل (١٩٤٩) وكان آخر ماوليه منصب وزير مفوض فسفير لسورية في مصر (١٩٥١ — ١٩٥٤) .

★ ★ ★

لعل أظهر صفات الفقيد الجد في العمل ، كان مولعاً بالقراءة ، والنظر في الكتب ، جلداً على المطالعة والتأليف ، يحب البحث ، ويوالي الدرس ، لايشغله عن ذلك شيء مهما جل" ، ومن أقواله : « إذا عاش المرء عيشة منتظمة استطاع أن يطالع أو يؤلف بمعدل ساعة أو ساعتين في كل يوم ، مهما تكن مهنته المعاشية شاقة » .

وقد هيأت له مناصبه الأولى التي شغلها في الدولة مدة سبع عشرة سنة أن يفيد من اختصاصه في الزراعة وأن يتعمقه : كان يتتبع المؤلفات الزراعية ويتعرف إلى الجديد فيها ، يضيف إلى ذلك معرفة نمت وازدادت من تجاربه وخبراته حين طبق معارفه تطبيقاً عملياً في نطاق بلاده بتربتها ومناخها ، مفيداً في ذلك أيضاً من التقارير التي تلقاها من موظفي الزراعة في وصف المناطق الزراعية المختلفة بسورية ، حتى غدا من أكبر علماء الزراعة في بلاد الشام .

وفي هذه المرحلة ألف كتبه الزراعية العلمية :

— ألف كتاب الزراعة العملية الحديثة في عام ١٩٢٢ (أعيد طبعه منقحاً عام ١٩٣٥) ، وهو مجموعة الدروس التي ألقاها في مدرسة الغوطة

الزراعية ، ولخص فيها فن الزراعة العامة والخاصة مع تطبيقاته العملية في البلاد السورية .

ـ وألف رسالة مسك الدفاتر الزراعية في عام ١٩٢٣ ، وهي رسالة تحتوي على الدروس التي وضعها طبق برنامج التدريس في مدرسة سلمية الزراعية .

ـ وألف كتاب الأشجار والأنجم المثمرة في عام ١٩٢٤ وهو يبحث في فن زراعة الأشجار والأنجم المثمرة مع تطبيقه على أقاليم بلاد الشام وأشباهها .

ـ وكان الحلقة الرابعة كتاب البقول ألفه في عام ١٩٢٧ وهو يبحث في زرع الخضر في أقاليم بلاد الشام ونظائرها .

ـ ثم أصدر كتاب الدواجن في عام ١٩٣٠ .

وبه ختم كتبه الزراعية التي ألفها لتكون مرجعاً لأرباب الزراعة وتلاميذ المدارس الزراعية في بلاد الشام .

ـ ولعل خير ما يمكن أن نصف به صنيعه في هذه الكتب كلمة له قالها في تصدير أحد كتبه : « خلاصة ما جاء في الموسوعات الأوربية ، مع خلاصة تطبيقها على ديار الشام وما شاكلها من الديار في إقليمه » .

ـ تهدّى الشهابي ، وهو يؤلف في علوم الزراعة ، إلى المجال الذي أخلص له نفسه ، واستأثر باهتمامه ، وقصر عليه جهده ووكده حتى كاد يكون فيه نسيج وحده ، وهو التأليف في المصطلحات العلمية الزراعية . كان واثقاً من نفسه حين خاض غمار هذه اللجة ، فهو متقن علوم الزراعة متضلع من علوم اللغة العربية ، عارف باللغة الفرنسية وأساليبها .

ـ كان أول كتاب ألفه في هذا الباب : معجم الألفاظ الزراعية في عام ١٩٤٣ ، فكان فتحاً في المصطلحات الزراعية ، إذ تأتّى لصاحبه

أن يجمع في نفسه كل الأدوات التي تيسر له النجاح والتفوق في عمله « فلا يظنن أني جمعت في هذا المعجم ألفاظ علوم وفنون لم أدرسها فإن تخرجي مهندساً زراعياً من مدرسة غرينيون الوطنية الزراعية في فرنسا منذ سنة ١٩١٤ ، وإشرافي بضع سنين على بعض المزارع ، وتقلدي منصب مديرية الزراعة فمديرية أملاك الدولة في سورية مدة خمس عشرة سنة ، كافية وحدها للاطلاع على مدلولات معظم ألفاظ المعجم » .

– كان الكتاب ثمرة جهد طويل متواصل ، بدأه في نحو عام ١٩٢٣ ، ليخرجه بعد عشرين سنة من التنقيح والتهذيب والمراجعة ، وتضمن الكتاب نحو تسعة آلاف لفظ فرنسي أو علمي في الزراعة والعلوم المتصلة بها ، جعل إزاءها ما يقابلها بالعربية ، منها ثلاثة آلاف كلمة عربية على الأقل من وضعه وتحقيقه لم يسبقه إليها أحد من أصحاب المعجمات الأعجمية العربية .

كان نواة الكتاب مقالات نشرها في مجلتي المجمع العلمي العربي بدمشق ، والمقتطف بالقاهرة ، أضاف إليها ما حققه أو وضعه أو اقتبسه في المصطلحات ، « فتألف منها جميعاً هذا المعجم الصغير » وقد آثر أن يلحق بمعظم الألفاظ العربية في المعجم شرحاً علمياً موجزاً للتعريف بها « تسهيلاً للمراجعين » .

– وتجلت عبقرية الشهابي في هذا الكتاب واهتدى إلى موهبته في هذا الفن فعني به أكبر العناية ووقف نفسه عليه و « كلٌّ ميسر لما خلق له » .

وعاد يردد النظر في الكتاب ويوالي البحث أربعة عشر عاماً أخرى ليقدّم من جديد في عام ١٩٥٧ طبعة الكتاب الثانية منقحة مزيدة ،

أصبح بها مجموع كلمات المعجم عشرة آلاف كلمة ، وهو أجــل كتبه وأعلاها شأناً وأبقاها ، به تجلت شخصية الشهابي المجمعي ، حتى أصبح علماً على فن المصطلح الزراعي ، لايذكر إلا ذكر به .

ـ وكان لابد من أن يمضي في الطريق الناهجة التي بدأها ، وأن يوضح الأسس والقواعد التي اعتمدها في وضع مصطلحاته العلمية ، فألف في ذلك كتابه : المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث في عام ١٩٥٥ . (أعيد طبعه منقحاً عام ١٩٦٥) .

ـ وكان كتاب : معجم المصطلحات الحراجية ، الذي نشره في عام ١٩٦٢ خاتمة كتبه في باب المصطلح ، وهو معجم يشتمل على ٩٨٧ مصطلح من مصطلحات الحراج بالانكليزية ، مع مايقابلها بالفرنسية والعربية . وقد ضم إلى المصطلحات التعريف بها .

ـ ولم نشر هنا إلى مقالاته الكثيرة الأخرى التي عرضت لهذا الفن وتحدثت عنه ، « نشرت حتى أول سنة ١٩٦٦ في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، ومجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٦٦ بحثاً ودراسة في اللغة والمصطلحات والعلوم المختلفة » .

ـ لابد لي هنا من أن أقف عند هذا الجهد المعجز الذي قام به الشهابي حتى تحقق له أن يكون المجمعي المنفرد في ميدانه .

لقد ألم في مطلع أيامه ببعض مبادىء العربية ، ولم يتح له التمكن منها والتعرف إلى أسرارها ، صُرف عن ذلك بدراساته المتخصصة في الزراعة ، قال في مقدمة كتابه الأول في الزراعة العملية الحديثة الذي ألفه في عام ١٩٢٢ : « وألتمسُ من القراء معذرة عما يجدونه في الكتاب من ضعف في التعبير ، أو أغلاط لغوية ومطبعية ، فمع اعترافي بقصر

الباع في اللغة العربية الكريمة قضت الظروف أن أطبع هذا المؤلف (وهو الباكورة) بعجلة زائدة دون أن أتمكن من عرضه على أرباب اللغة لتصحيح ألفاظه وسبكه بقالب متين » .

وقالت مجلة المجمع العلمي العربي حين قرظت الكتاب : « وعرّب [الشهابي] بعض الاصطلاحات مما لا يخلو من نظر قليل فيه ، لبعده أحيـــاناً عن مرمى الاشتقاق اللغوي ، والدقة في التعريب ، ولتعبيره بالألفاظ العامية » . ولكن الشهابي الذي كان يؤمن أن العبقرية كدح طويل ، عكف على دراسة كتب العربية العلمية والأدبية ، وجعل ذلك ديدنه ووكده ، يطالعها صباح مساء ، حتى انقادت له طيعة ، وكشفت له عن مكنونات سرها ، وعني بالمصطلح العلمي في عـــلوم الزراعة أتم العناية : توفر عليه ، ووقف له جهده ووقته ، وكاد يقصر نفسه على بحثه ، منقباً مدققاً ، « لابد لمن يجشم نفسه وضع المصطلحات العلمية باللغة العربية من أن يقتصر في عمله على الألفاظ المتعلقة بعلم اختص به ، واطلع على دقائقه » ، « ووضعُ المصطلحات العلمية أو تحقيقُها من أشـــق الأمور وأدعاها إلى الجلد والصبر والأناة والتخصص الواسـع بعـلم واحد ، حتى بفرع من عـلم واحد » وظل طوال حياته وفياً لهذه النزعة من التحقيق والتخصص ، يتابع كل مايصدر في موضوع المصطلحات العلمية الزراعية ، ويؤلف فيها ويحاضر ويناقش ويعقب ، وله في هذا الباب مقالات شتى نشرها في مختلف المجلات ، يوضح فيها رأيه ، وينافح عن فكرته .

بدأ ذلك في عام ١٩٢٤ ، ولما انتخب عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٩٢٦ دأب على عمله الدأب الصابر ، لاتزيده الصعاب إلا تصميماً ومضياً ، يقول في كتابه المصطلحات العلمية (ط ٢) : « وأنا أدلي دلوي في الدلاء منذ سنة ١٩٢٤ ، أي منذ أربعين سنة ، فلا أخرج

عن علوم الزراعة والمواليد ومصطلحاتها ، وقد أربى ما نشرته في المجلة [مجلة مجمع اللغة العربية] حتى آخر عام ١٩٦٤ على خمسين دراسة وبحثاً في المصطلحات » .

فما ملامح الطريقة التي اعتمدها الشهابي في وضع المصطلح ودافع عنها ؟ اهتدى الشهابي في وضع المصطلح بالنهج الذي سار عليه قدماء النقلة والمؤلفين العرب في نقل علوم يونان وفارس والهند وغيرها إلى العربية ، وأجمل هذا المنهج في النقاط التالية :

١ ـ تحري لفظ عربي يؤدي معنى اللفظ الأعجمي ، فإذا وجد في المعجمات العربية أو الكتب القديمة الموثوق بها كلمة صحيحة عربية أو معربة ، أو كلمة مولدة سائغة لها معنى موافق أو مقارب لمعنى الكلمة الأعجمية ، رجح تلك الكلمة الصحيحة أو المولدة السائغة على غيرها من الكلم ، وإذا وجد في المراجع المذكورة لمدلول الكلمة الأعجمية كلمتين : الأولى صحيحة ، والثانية مولدة ، رجح الأولى على رفيقتها أو ذكرهما معاً .

« وعمدتُ في تحري أصلح الألفاظ العربية إلى الأمهات من كتب اللغة ، ولا سيما المخصص لابن سيده والقاموس المحيط للفيروزابادي ، فأخرجت منها ، عدداً كبيراً من الكلمات التي تتصل بالعلوم الزراعية ، وكذلك أفردت ما وجدت من مصطلحات في مخطوطة كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية ، وفي كتاب الفلاحة الأندلسية لابن العوام الاشبيلي وهو مطبوع في مدريد ، ومخطوطة فضل الخيل لشرف الدين عبد المؤمن الدمياطي ، والفلاحة اليونانية لقسطا بن لوقا ، وعلم الملاحة في علم الفلاحة للشيخ عبد الغني النابلسي ، وحسن الصناعة في علم الزراعة لأحمد ندى ، ... والقانون لابن سينا ، ومخطوطة

الجزء الخامس من كتاب النبات لابي حنيفة الدينوري ، ومخطوطة الجامع لصفات أشتات النبات للادريسي ... » .

٢ - إذا كان اللفظ العلمي الأعجمي جديداً لامقابل له في لساننا ، ترجمه بمعناه إذا أمكن ترجمته أو وضع له لفظاً عربياً مقارباً بطريق الاشتقاق أو المجاز أو التضمين أو النحت .

٣ - إذا تعذر وضع لفظ عربي بالطرق المذكورة لجأ إلى التعريب .

هذه هي أصول المنهج الذي التزمه في وضع المصطلح واهتدى به ، يُضم إليها كثير من التفاصيل والدقائق التي توضح طرق تطبيق هذه الأصول والتي أفصح عن أكثرها في كتابه : المصطلحات العلمية في اللغة العربية ، وكان يرى أن مجال الترجمة والاشتقاق والمجاز في نقل ألفاظ المعاني الأعجمية إلى اللغة العربية أوسع من مجال التعريب ، أما في نقل أسماء الأعيان الأعجمية فالأمر معكوس . ويجعل الشهابي للترجمة شأناً كبيراً في وضع المصطلح ويدعم رأيه بقوله : « والدليل على ذلك أنني أوجدت في معجم الألفاظ الزراعية نحو ألفي لفظة عربية تدل على نباتات زراعية ما كان يعرفها أجدادنا وليس لها أسماء بلغتنا » .

فإذا تجاوزنا الترجمة ، فإن الشهابي يضع الاشتقاق في المرتبة الأولى في وضع المصطلح ويرى أن باب الاشتقاق واسع ، وأن فيه مجالاً لتنمية اللغة والمصطلح العلمي خاصة . وكان يشتق من أسماء الأعيان اشتقاقه من أسماء المعاني وقد أفاد من ذلك كثيراً في وضع مصطلحاته .

ويأتي المجاز في المرتبة الثانية ، ويذكر الشهابي كثرة المصطلحات التي تمت

بطريقه ، كالقطار والسيارة والمدرعة والطرادة والمدمرة والغواصة والباخرة[١].

أما النحت فقد تخوفه الشهابي ، ولم يلجأ إليه إلا قليلًا في حال الضرورة ، لأن النحت يحتاج إلى ذوق سليم ، وقد يكون ضرره أكبر من نفعه .

ولم يتسع الشهابي في التعريب ، ورأى ألا يؤخذ به إلا إذا تعذر العثور على كلمة عربية قديمة ، تقابل الكلمة الأعجمية ، أو تعذر إيجاد كلمة عربية تفيد معنى الكلمة الأعجمية بطريق الاشتقاق أو المجاز .

— وأصبح المصطلح العلمي شغل الشهابي الشاغل ، كانت تتجلى له مأساة المصطلح العلمي في أمرين :

أولهما : مسلك من آثروا التعريب ، فكانوا يقبلون الكلمة الأجنبية على علاتها لتدخل في أضعاف الجملة العربية ، وكان يرى أن مثل هذا الاتجاه خطر ، إذ أن هذه الكلمات لها دلالتها الاشتقاقية في اللغة الأجنبية ، فالقارىء الأجنبي حين يقرؤها يتبادر معناها إلى ذهنه ، أما القارىء العربي فهو أمام لفظ لايفقه أصوله ، ولو ترجم له اللفظ الأجنبي بدل تعريبه لفهم منه محتواه ومضمونه ، إلى جانب إغناء العربية بمعان جديدة بدل تهجينها بألفاظ أعجمية .

والثاني : تعدد الألفاظ الموضوعة للمصطلح الأجنبي الواحد ، وهو أمر لايقل خطراً عن سابقه ، فاللفظة الأجنبية الواحدة تنقل بألفاظ عربية

---

(١) في كلمة للأستاذ محمد الخضر حسين عرض للمجاز والنقل ومايكسبان اللغة من ثروة ، وما يقومان به في سد حاجات العلوم وما يتجدد من مرافق الحياة ، وأدخل كلمات القطار والبرق والمدرعة (أو الدارعة) والسيارة والغواصة في باب النقل (دراسات في اللغة : ٥ - ١٦) .

مختلفة ، باختلاف العلماء في الطريقة التي يريدون بها نقل اللفظة إلى العربية : أهي الترجمة أم الاشتقاق أم المجاز أم النحت أم التعريب ، وباختلاف أذواقهم اللغوية في اختيار اللفظة الملائمة ، ومثل هذا النهج يؤدي إلى الضياع وبعثرة الجهود ولا بد من أداة حكيمة فعالة للترجيح يمكن الركون إليها .

وقد انتهى الشهابي إلى ضرورة البدء بتأليف معجمين : معجم فرنسي عربي ومعجم انكليزي عربي يشتملان على أصح الألفاظ العربية في المصطلحات العلمية والفنية والفلسفية والأدبية وألفاظ الحضارة ، مما يحتاج إليه في التعليم الثانوي وفي قسم من التعليم العالي على الأقل : تعرّفُ الألفاظ العربية فيها تعريفاً علمياً موجزاً دقيقاً ، وتلتزم الحكومات العربية باستعمال ألفاظ المعجمين في إداراتها ومحاكمها ومدارسها الرسمية والأهلية .

وقد استأثرت به هذه الفكرة استئثاراً ملك عليه نفسه إذ وجد فيها وحدها طريق الخلاص من فوضى المصطلح العلمي ، ولهذا مالهج بها وردّد ذكرها في غير موضع من كتبه ومقالاته .

— وكان من أعمال الشهابي في باب المصطلح العلمي ، توليه رئاسة اللجنة التي عهد إليها بوضع المعجم العسكري . وقد اتخذت اللجنة المعجم العسكري الكندي أساساً لعملها ، وصدر المعجم في عام ١٩٦١ ، وكان أوسع معجم عسكري عربي ، اشتمل على نحو خمسة وثلاثين ألف لفظة في كل قسم من قسميه : الفرنسي ـ العربي ، والانكليزي ـ العربي .

— لم يفت الشهابي ، وهو المنقب في بطون المعجمات العربية القديمة يسائلها عن طلبته من المصطلح ، أن يتبين تخلفها عن الاستجابة لمطالب العصر العلمية ، على مابذله أصحابها الأقدمون من جهود صادقة في تصنيفها ، وقد دل الشهابي على تسعة أنماط من العيوب ساقها نماذج لما يعتور المعجمات العربية

القديمة من نواقص وعيوب ، مما ألمّ به وهو يتابع موضوع المصطلح العلمي وقد قصر القول فيما ضربه من أمثلة على أسماء المواليد ، مجال اختصاصه ، لم يجاوزه إلى سواه من ألوان العلوم والمعارف . وخرج من ذلك إلى ضرورة أن يكون المعجم صورة دقيقة لمعارف العصر وعلومه . ولكن ما الطريق إلى ذلك ؟ رأى الشهابي أن العود إلى المعجمات القديمة بالتشذيب والتنقيح لتلبي متطلبات العصر ، من أشق الأمور ، وهو مضيعة للجهد والوقت ، والطريق الصحيح أن نبدأ تصنيف معجم لغوي جديد يشتمل على الضروري من ألفاظ المعجمات القديمة ، وعلى مايستقر عليه الرأي من ألفاظ العلوم والفنون والمخترعات الحديثة ، وأن تعرف جميعها تعريفاً علمياً صحيحاً على مقتضى المعاني في معارف العصر .

* * *

وثمة ميدان آخر لايتصل بالزراعة ومصطلحها ، ألف فيه الشهابي وحاضر ، ذلك هو موضوع القومية العربية ويقظتها وصراعها الاستعمار ، وكنت بينت في مطلع الترجمة أن الشهابي عاش في الآستانة بصحبة أخيه الأكبر الأمير عارف ، وكان الأمير عارف من أشد دعاة القومية العربية حماسة وأكثرهم اندفاعاً وتوقداً ، عمل في سبيل القضية العربية سراً وجهراً في الآستانة ودمشق وبيروت .

وتلقى الأمير مصطفى عن أخيه حب العروبة والعربية ، وكان من شهود اليقظة العربية ، عرف الدعوة العربية في أواخر أيام السلطان عبد الحميد حين كان طالباً في الآستانة ، واطلع على نشاط الشبان العرب في الآستانة وباريس في ظلّ حكم الاتحاديين ، وكان من المؤمنين بالقومية العربية

ذا صلة بدعاتها ، فلما وقعت الواقعة بين العرب والترك ، وقام جمـال السفاح بفعلته الشنعاء ، كان الأمير عارف الشهابي في مقدمة قوافل الشهداء الذين أعدموا شنقاً ببيروت في السادس من أيار عام ١٩١٦ ، قضى في ربيـع العمر وهو ابن سبع وعشرين سنة ، أنضر ما كان شباباً ، وأشد ما كان تضحية وعطاء . وكانت الصورة بليغة التأثير في الأمير مصطفى الذي أحب أخاه أشد ما يكون الحب ونعم بصحبته في الآستانة واستمع إلى أحاديثه في القومية العربية وفي دعوة العرب إلى النهوض ليستأنفوا مجدهم الغابر ، ويقيموا دولتهم الواحدة ، وظل الشهابي يذكر لأخيه فضله وتعليمه ، وأنه معلمه الأول في هذا الباب : علمه حب العروبة ، وعلمه حب العربية ، صرح بذلك في الإهداء الذي صدر به كتابيه : معجم الألفاظ الزراعية ، والقومية العربية .

ولما قامت الحكومة العربية بدمشق عام ١٩١٨ أصبح الشهابي أحد أعضاء جمعية (العربية الفتاة) ، وتوالت الأحداث سراعاً ، وشاهد الشهابي المستعمرين الفرنسيين وهم يطيحـون بآمال العـرب وينزلون بالبلاد صنوف الشرور والآثام ، وتكشفت له نياتهم الخبيثة بكل شناعتها حين سافر إلى باريس عام ١٩٣٦ عضواً في الوفد السوري المفاوض .

كان مؤمناً بالقومية العربية الايمان الراسخ « .. نهضتنا الحديثة يجب أن تبنى على أساس القومية العربية الخالصة ... ولا حياة لنا إلا بالتشبث بالنزعة القوميـة الصحيحة المبنية على احترام السلف الصالح والإشادة بمجده وعظمتـــه ، والتمسك بكل ما أبقاه لنا من تراث علمي وأدبي يصلـح لهـذه الأيام ».

وقـــد خلّـف الشهابي في هـذا المجال كتابيه في الاستعمار وفي القوميـة العربيـة :

ألف كتاب الاستعمار في عامي ١٩٥٦ و ١٩٥٧ ، وبحث فيه تاريخ الاستعمار وأساليب المستعمرين ، وطرائقهم في استغلال الشعوب المستعمرة ثم أفرد البلاد العربية بدراسة خاصة ، وإذا كان الشهابي قد ألقى كتابه محاضرات في معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ، فإنه كان قد بدأ التفكير في تأليفه منذ سنة ١٩٣٦ وله مقالة بعنوان (الاستعمار الأوربي للعالم الشرقي) كتبها في عام ١٩٤٨ حين كان محافظاً للاذقية ، تضمنت بذور ما جاء في كتاب الاستعمار .

ثم أصدر كتابه في القومية العربية عام ١٩٥٩ (أعيد طبعه عام ١٩٦١) وكان قد ألقاه محاضرات في معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة وبدأه بالحديث عن القومية عامة وعواملها ليخلص من ذلك إلى الحديث عن القومية العربية ونشوئها ويقظتها ، ومظاهر نضالها في العهد العثماني ، ثم في ظل الاستعمار الغربي ، وقد عرض الشهابي لتعريف العربي فذهب إلى أنه من تكلم العربية وأراد أن يكون عربياً ، ثم لخص مضمون دعوة القومية العربية التي بسطها في كتابه بقوله في الخاتمة : « ويتضح من ذلك أن القومية العربية ليست فلسفة قومية ضيقة ، ولامذهباً اجتماعياً محدوداً ، قوامه الأثرة أو التعصب أو البغضاء ، بل هي فلسفة اجتماعية مثالية بناءة تقدمية ، تدعو كل عربي إلى محبة أمته العربية ، ووطنه العربي ، وإلى الاعتزاز بماضي هذه الأمة ، وإلى العمل التقدمي لحاضرها ولمستقبلها ، كما تدعو إلى محبة الإنسانية ، وإلى خير البشرية ، وإلى حق كل شعب على الأرض بتقرير مصيره ».

ويحسُّ قارىء كتابيه في الاستعمار والقومية أن قيمتها الأولى تكمن في أن مؤلفها كان أحد شهود الحركة القومية أيام يقظتها ، فهو يتحدث حديث عيان ومشاركة ، أو حديث سماع لايقل صدقاً عن العيان ، « وكثير

من المعلومات التي اشتملت عليها المحاضرات مقتبسة من مذكراتي أو معتصرة من ذاكرتي ، فقد شهدت في الشام مولد عقيدتنا القومية المنظمة في أوائل القرن الحاضر ، واتصلت منذ ذلك الزمن إلى يومنا هذا بمعظم زعمائها من شهداء وأحياء ، فحقّ علي أن أدلي دلوي بين الدلاء وأن أطرح رأيي في جملة الآراء » .

ومن هنا فإن عبارة المؤلف في كتابيه كانت تعنف وتشتد ، وهو يذكر أحداثاً في العهد العثماني شاهدها ولابسها ، كان كره الأتراك العثمانيين يتجلى في سطوره ، وكيف ينسى لهم أنهم أرادوا وأد القومية العربية ، ومحو اللغة العربية .« أما عهد الأتراك العثمانيين فقد كان في الجملة أسوأ عهد مر على العربية وآدابها : اتخذوا اسطنبول عاصمة لهم وجعلوا التركية وحدها لغة حكومتهم الرسمية حتى في بلادنا العربية ، وكان ذلك ضربة أصابت لغة القرآن في الصميم » .

ويتصل بهذا الميدان العلمي ماقام به الشهابي من محاضرات ومقالات وأحاديث تناول فيها موضوعات قومية وأدبية وفلسفية وفنية ، فقد كان رحمه الله جم النشاط ، كثير القراءة ، لم يحبس نفسه على دراسة العلوم الزراعية ووضع المصطلح العلمي ، على شدة تعلقه بها ، بل فسح لها فقرأ أمهات الكتب العربية قراءة درس واستفادة ، وتابع مسيرة الأدب العربي الحديث منذ أوائل هذا القرن ، وساعده اتقانه اللغة الفرنسية فطالع كتب أعاظم الأدباء الفرنسيين ، وأفاد من أفكارها وصورها البيانية ، وتجلت آثار ذلك في مقالاته : أفكاراً وأسلوباً ، بل إنه يصرح لك أحياناً بالمطالعات التي أوحت إليه مقالته ، فعله حين كتب مقالة : العلم والفلسفة والأخيلة الشعرية ، أو حين ترجم بتصرف مقالتي المصنفات والانتقام . وقد ضم الشهابي مجموعة من

هذه المقالات في كتاب سماه (الشذرات) نشره في عام ١٩٦٦ .

أيها الحفل الكريم :

قال ابن مناذر : سألت أبا عمرو بن العلاء : حتى متى يحسن بالمرء أن يتعلم ؟ قال : ما دامت الحياة تحسن به . ولم أجد صفة تصدق على فقيدنا الشهابي صدق هذه الجملة ، فهو يحب الكتاب حباً جماً يستبد به ، وهل ننسى أن من جليل أعماله بناءه داري الكتب في حلب واللاذقية حين كان محافظاً لهما ، استجابة لهذه النزعة الأصيلة في نفسه ، وهو دؤوب على الدرس والمطالعة لايسأم العمل ، يتبين ذلك جلياً واضحاً من نظر في كتبه وتابع مقالاته ، إن مؤلفاته في الثلاثينات دونها في الأربعينات أو الخمسينات مادة وأسلوباً . ويروعك وأنت تنظر في طبعتين لكتاب من كتبه هذا التدقيق في الأسلوب ، وهذه الزيادات والإضافات والتصحيحات . كان حبه للمعرفة وإيثاره جانب الحق وتعلقه بنصاعة البيان العربي تدفعه أن يعيد النظر فيما ألف وكتب ، ويدقق فيه وينقح ويستكمل النقص ، يساعده على ذلك كثرة مطالعاته وتنوعها ، وأكتفي بمثل واحد أسوقه لأدلل على ما قدمت ، ذلك هو كتاب معجم الألفاظ الزراعية ، فأنت حين توازن بين طبعتيه ، تجد المؤلف وقد صارحك بأنه عدل في طبعته الثانية عن بعض المصطلحات العربية إلى ماهو أصلح منها ، ونقح بعض مواد الطبعة الأولى وشرح بعضها بإيجاز ، وأضاف نحو ألف مادة جديدة ، واستكثر من المصادر التي رجع إليها ، أما حديثه عن طريقته في وضع المصطلح فقد تبدل تبدلاً تاماً .

كان الشهابي مطبوعاً على التنقيح والتثقيف في مادته وفي أسلوبه ، يؤثر في كتابته الأسلوب العلمي الذي يجنح إلى المساواة بين المضمون والعبارة ، إلا في مقالاته الأدبية التي لابد من أن يتسق فيها بين المضمون

والأسلوب ، وكان يضمن أحياناً مقالته الأدبية أبياتاً من الشعر يزين بها كلمته . وقد ترد في عبارته الفاظ ندر استعمالها وهي عذبة على السمع فآثرها ليغني لغة الكتابة ، أو لتحل محل الالفاظ الاعجمية الدارجة. وهو أثر من آثار حبه العربية ، وتعلقه بها .

— ولكن الشهابي لم ينج ، بل لعله ما أراد أن ينجو من غلبة فنه الزراعي عليه ، تتراءى لك وأنت تقرأ مقالة له أدبية ، كلماتـه الزراعية الحلوة ، يستعين بها وهو يعرض لصفة الطبيعة وما تجملت بـه من أنواع النبات وصنوف الحيوان ، بل إني أراه كان يتعمد ذلك ، يدفعه إليه ما كان يمر به من أغلاط الكتاب أو جهلهم حين يعرضون لصفة الطبيعة ، وفي مقالته (أدباؤنا والألفاظ العلمية) إشارة إلى ذلك بينة . وأمر ثان كان يغريه باصطناع الألفاظ العلمية في مقالاته الأدبية وهو أن يثبت بالعمـل طواعية اللغة العربية على تمثل هذه الكلمات ، إنه لايريد للكلمات العلمية أن تظل حبيسة الكتب بل يريد لها أن تخرج إلى الفضاء الواسع ودنيـا الناس ، تتداولها الألسنة وتجـــري بها الأقلام ، فكأنما كان يرمي من مقالاته الأدبية أن تكون نماذج حية لمرونة اللغة العربية وتقبلها الألفاظ العلمية الدقيقة أحسن قبول .

* * *

هذه لمع تناولت بها جوانب من حياة فقيدنا العالم المجمعي ، أهلتـه لتبوؤ تلك المكانة العالية الرفيعة في أوساط العلماء واللغويين ورشحته لمناصب علمية شغلها بكفاية ومقدرة .

انتخب الفقيد في سنة ١٩٢٦ عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي بدمشق ، وانتخب بعدها في سنة ١٩٤٨ عضواً مراسلاً لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ثم انتخب سنة ١٩٥٤ عضواً عاملاً فيه . وانتخبه المجمـع العلمي العراقي في سنة ١٩٦١ عضواً مراسلاً .

وفي ١٤ تموز ١٩٥٦ انتخب نائباً لرئيس المجمع العلمي العربي .

وفي ١٥ تشرين الأول ١٩٥٩ انتخب رئيساً للمجمع العلمي العربي بدمشق لمدة أربع سنوات خلفاً للرئيس الراحل خليل مردم ، فكان ثالث رئيس للمجمع ، بعد الأستاذين الجليلين محمد كرد علي وخليل مردم ، ثم جدد انتخابه لرئاسة المجمع مرة ثانية وثالثة . ومنحته الجمهورية العربية السورية جائزة الدولة التقديرية في ٨ تشرين الثاني ١٩٦٦ فكان أول من منح هـذه الجائزة .

★ ★ ★

عرفته ، رحمه الله ، في عام ١٩٦٣ ، وكنتُ إذ ذاك وزيراً للتربية ، وكان المجمع مرتبطاً بها : جاء يحدثني في أمور المجمع ، وما ينتظره له وكيف تتحقق وحدة المصطلح العلمي ، كان بادي النشاط ، عالي الهمة ، وكأنه لايأبه لما ألمَّ به من مرض ، والتقينا بعد ذلك مرات ، وكنا معاً من خطباء الحفل الذي أقامته وزارة الثقافة والإرشاد القومي في التاسع والعشرين من نيسان ١٩٦٤ على مدرج جامعة دمشق ، تأبيناً للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد . كانت كلمته عن (العقاد في مجمعي اللغة) وكانت كلمتي عن (العقاد الناقد) ، وسافرت من بعد إلى الجزائر ، وكان يسعدني أن أقرأ له مقالاته في المصطلح ، ذلك الموضوع الذي نذر له نفسه ، فجوّد فيه ماجوّد حتى بلغ الغاية ، وظل حياته كلها مشرع القلم ، يدعو الدعوة الحارة لتكون العربية لغة العلم في الجامعات ، ويسعى السعي الحثيث لإنجاح مشروعه في توحيد المصطلح العلمي حتى وافاه الأجل ، وهو وراء مكتبه ، في الثالث عشر من أيار سنة ١٩٦٨ ، وقد أتم آخر مقالة له (في النسب إلى كيمياء وأشباهها) . وقد أوصى أن ينقش على قبره :

أم اللغات قضيت العمر أخدمها فهي الشفيعة في غفران زلاتي

فليرحم الله أبا لميس الرحمة الواسعة العميقة جزاء ما قام بـــه في خدمة العربيـة .

★ ★ ★

يطيب لي وأنا في ختام كلمتي أن أنوه بما لقيه مجمع اللغة العربية من رعاية السيد الرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية الذي تفضل فاستقبل رئيس المجمع والمجمعيين في التاسع عشر من أيار سنة ١٩٧٣ ، وتحدث إليهم عن مكانة اللغة العربية والتراث في حفظ وحدة الأمة العربية ، واتصال حاضرها بماضيها المشرق ، وأكد لهم تصميم القطر على الالتزام بالعربية في التدريس في كل مراحل التعليم ، لأنها المقوم الأساسي في قيام النهضة العربية وأبدى السيد الرئيس تقديره لرسالة المجمع وعمل المجمعيين في حماية العربية وتنميتها وإحياء تراثها ، واستمع إلى ما عرضه رئيس المجمع من شؤون المجمع وأمر بدعم ميزانيته وتوسيع ملاكه وبناء مقر له جديد(١) ، يوازي مكانته العلمية ليأتي عمله في مستوى المهام الكبيرة المنوطة به .

أشكر لكم جميعاً تفضلكم بالحضور

والسـلام عليكم

(١) خصصت محافظة مدينة دمشق قطعة أرض في حـــي المالكي بجانب ثانوية محمد بن القاسم الثقفي ليشيد عليها مبنى مجمع اللغة العربية بدمشق . وقام وزير التعليم العالي بارساء حجر الأساس في التاسع عشر من تشرين الثاني ١٩٧٥ ، في حفل اقيم تحت رعاية السيد رئيس الجمهورية العربية السورية ، تقديراً لمكانة المجمع ، وتنويهاً برسالته في خدمة العربية .

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الثالث من عام ١٩٧٥

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو المحقق	مكان الطبع وتاريخه
نشأة الخط العربي وتطوره	محمود شُكر الجبوري	بغداد ١٩٧٤
المجموعة الإحصائية السنوية	وزارة التخطيط العراقية	〃 ١٩٧٢
الإسلام أولاً	محمد الفرحاني	بيروت ١٩٦٥
تاريخ داريا	الخولاني .تحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني	〃 ١٩٧٥
الحروب الصليبية الأوربية التاسعة	محمد الفرحاني	〃 ١٩٧٣
دراسات في تاريخ الخط العربي	الدكتور صلاح الدين المنجد	〃 ١٩٧٢
فارس الخوري وأيام لا تنسى	محمد الفرحاني	〃 ١٩٦٥
رسائل من السجن	أحمد طالب الإبراهيمي. تعريب الصادق مازيغ	تونس ١٩٦٩
الأرض غير المقدسة	ا. سي فورست . ترجمة محمود فلاحة	دمشق ١٩٧٥
اقتصاديات التجارة الداخلية في سورية	منير الحمش	〃 〃
انتحار الديمقراطيات	كلود جوليان . ترجمة عيسى عصفور	〃 〃

اســم الكتاب	اسم المؤلف أو المحقق	مكان الطبع وتاريخه
الأوائل (القسم الأول)	أبو هلال العسكري. تحقيق محمد المصري ـ وليد قصاب	دمشق ١٩٧٥
باقة من العبير واللهب	علي محمد حسن	ـ ـ
بستان السحب	أحمد سليمان الأحمد	ـ ـ
بقايا صـــور	حنا مينه	ـ ـ
بقعة ضوء	رياض عصمت	ـ ـ
بول سيزان	طارق الشريف	ـ ـ
تاريخ القضاء الإداري ونظام مجلس الدولة في سورية (نصوص دستورية وإدارية غير منشورة).	الدكتور عدنان الخطيب	القاهرة ١٩٧٥
الترموديناميك الهندسية وانتقال العمل والحرارة	ج. ف س روجرز ، ي رمايهيو .ترجمة برهان داغستاني	دمشق ١٩٦٥
التعويض الكامل في طب الأسنان	ج لوجوايو .ترجمة الدكتور عبد الغني السروجي ، مراجعة الدكتور ميشيل خوري	ـ ـ
دور العلم والتكنولوجيا في البلدان النامية	غراهام جونس . ترجمة هشام دياب	ـ ـ
ديوان بدر الدين الحامد ، شاعر العاصي (١ ـ ٢)		ـ ـ
رديف المقاتلين (الجبهة الداخلية في حرب تشرين التحريرية)	القيـــادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي	ـ ـ
السيف الخشبي	عادل أبو شنب	ـ ـ

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو المحقق	مكان الطبع وتاريخه
شعر أبي حية النميري	جمعه وحققه الدكتور يحيى الجبوري	دمشق ١٩٧٥
الطبيعة في الفيزياء المعاصرة	فرنر هازنبرغ ، ترجمة قسطنطين قدسي	〃 〃
العالم الفقير يتحدى	غونار ميردال ، ترجمة عيسى عصفور	〃 〃
عسر الحضارة	فرويد ، ترجمة الدكتور عادل العوا	〃 〃
عندما جاءت عصافير الدوري	ليدا ميليفا ، ترجمة عيسى فتـوح	〃 〃
قراءة رأس المال (الجزء الثاني)	لويس ألتوسر ، ترجمة تيسير شيخ الأرض	〃 〃
الكليـات (القسم الثاني)	أبو البقاء الكفوي، تحقيق د. عدنان درويش - محمد المصري	〃 〃
ماهو علم البيئة	د.ف اوين ، ترجمة باسل الطبـاع	〃 〃
المسرح المغربي	أديب السلاوي	〃 〃
مصدر الأزمة الخطيرة	لاديكين ، ترجمة هاشم حمـادي	〃 〃
الممثلون يتراشقون الحجارة	فرحان بلبل	〃 〃

اســم الكتاب	اسم المؤلف أو المحقق	مكان الطبع وتاريخه
نصوص مختارة	سان سيمون ، ترجمة سعيد القضماني، مراجعة يحيى علي أديب	ـ ـ
غمائم الخريف	رياض معلوف	زحلة ١٩٧٤
تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير الأعلام (الجزء الثاني)	الذهبي ،تحقيق حسام الدين القدسي	القاهرة ١٩٧٤
شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (١ - ٢)	الحميري	القاهرة
مع رجال الفكر في القاهرة	مرتضى الرضوي	القاهرة ١٩٧٤
الخبرات التاريخية المجتناة من الإصلاح الزراعي في بلادنا		كوريا ١٩٧٤
التاريخ المنصوري	محمد بن علي الحموي	موسكو ١٩٦٣
أعلام الطب الحديث (الجزء الأول)	كريم الشيخ إسماعيل آل كاشف الغطاء	النجف ١٩٦٧
جبابرة العقل البشري (١-٢)	كريم الشيخ إسماعيل آل كاشف الغطاء	النجف ١٩٦٠
خوارق الإدراك لما وراء الحس والحواس الخمس	كريم الشيخ إسماعيل آل كاشف الغطاء	النجف ١٩٧٤
الزورق والرياح	محمد رضا آل صادق	النجف ١٩٧٥

تصويبات لأخطاء في الأعداد السابقة

أ ـ في المجلد التاسع والأربعين :

ص	س	الصواب
٨٣٨	١٧	وذلك لوقوعها
٨٣٩	١٢	ولذا
٨٤٤	١١	لقد رأى الرواة في
٨٥٥		٦٩٠ م

ب ـ في المجلد الخمسين :

ص	س	الصواب
٣٢٧	٢	عبد الرحمن المرتضى
٤٧٦	١	الخمسين
٤٧٩	١٢	خواطري
٤٩١	١٨	Nisan
٥٠٥	١٠	بالرؤى
٥٧٢	١٤	١٨/٢
٥٧٨	٢	إلاّ
٦٠٧	١٤	من
٦١٥-٦٢٣		في رؤوس الصفحات اليسرى ذكر اسم المترجم والصواب اسم صاحب المقال : روداف زلهايم
٦١٨	١٨	ناشرا
٦٦٨	١٥	ثلاثة عشر ألف
٦٨٤	٤	إثرهـن
٦٨٤	٦	ما أسطعت
٦٨٩	٨	خاص الخاص

الفهارس العامة للمجلد الخمسين

١ ـ فهرس المواد

منسوقة على حروف المعجم

ب – فهرس الأعلام – كتاب المقالات

منسوقة على حروف المعجم

فهرس الجزء الرابع من المجلد الخمسين

المقـــالات

الصفحة

التعريف والنقد

آراء وأنبـاء